الحج إلى الكعبة

فى التوراة والزبور والإنجيل والقرآن

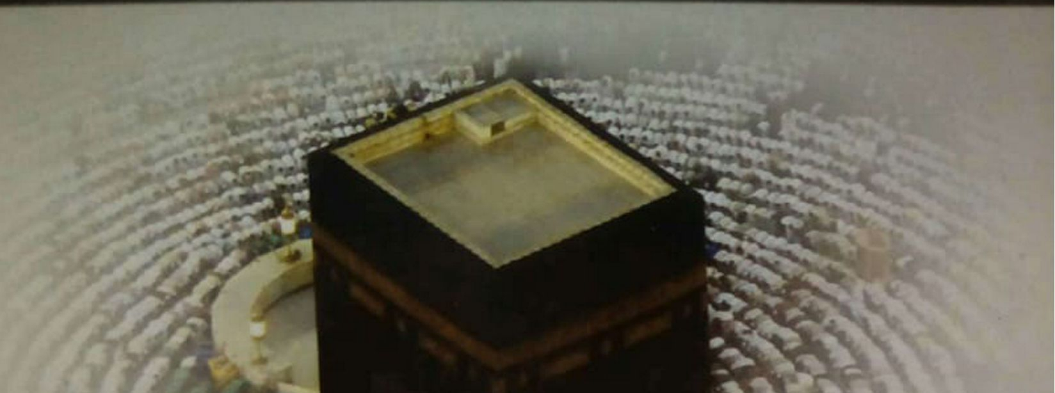

د . أحمد حجازى السقا

مكتبة النافذة

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحجُّ إِلَى الكَعْبَةِ

فى

التوراةِ والزَّبورِ والإِنجِيل والقُرآن

تأليف

الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

أستاذ مقارنة الأديان

جامعة الأزهر

الناشر

مكتبة النافذة

al-maktabeh
www. .com
مكتبة المهتدين

http://www.al-maktabeh.com

الحجُّ إلى الكعبةِ

في

التَّوراةِ والزَّبورِ والإنجيلِ والقرآن

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحج إلى الكعبة في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن

تـأليـــــف: د/ أحمد حجازي السقا

الطبعة الأولى : (٢٠٠٣)

رقم الإيــداع: ١٥٥٢٧ / ٢٠٠٣

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر :

مكتبة النافذة

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

Email : alnafezah@hotmail.com

http://www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم للكتاب

للسيد صاحب الفضيلة الأستاذ
الدكتور الشيخ صفوت جوده أحمد

يشرفني شرفا عظيما أن أقدم للقراء الكرام هذا الكتاب النفيس. كتاب الحج إلى الكعبة للأستاذ الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا. فإنه قد بيَّن فيه أن للكعبة قدر عظيم من قديم الأزمان. وأن اليهود أنكروا قدرها؛ لما حرفوا التوراة ونبذوها وراءهم ظهريا، وليتهم أنكروا وسكتوا. فإنهم عملوا مسجدا في «أورشليم» وأمروا أشياعهم بالحج إليه؛ لينسى الناس على طول الأيام الحج إلى الكعبة. فلما رأى السامريون اليهود أن الحج إلى «أورشليم» قد جلب لإخوانهم منافع؛ عملوا لهم مسجدا في «شكيم» وأمروا أشياعهم بالحج إليه.

وعن هذا يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وهذه الحقيقة ليست واضحة في كتب أسلافنا، ولا في كتب المعاصرين لنا من العلماء الراسخين في العلم. وقد وضحها المؤلف وذكر لها الأدلة من القرآن والتوراة والإنجيل. وأكثر من الاستشهاد بسفر الزبور لداود عليه السلام. ونقل في كتابه هذا وجهة نظر أهل الكتاب في القبلتين المزوّرتين. ورد عليها من كتبهم وألزمهم الحجة وقطع عنهم العذر. مهتديا بقول أسلافهم لعصاة منهم: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

مكتبة المهتدين الإسلامية

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ .

وقال المؤلف: إن النصارى في السنة الأولى التي وُلد فيها سيدنا محمد ﷺ عملوا لهم مسجدا في «صنعاء» اليمن، وجعلوه قبلة ليصرفوا أشياعهم عن «مكة المكرمة» كما عمل اليهود وقت مارجعوا من السبي البابلي. ونقل في كتابه هذا كلام شيخنا الإمام ابن فَرْح القرطبي في تفسير سورة الفيل.

ونقل في كتابه هذا كلام شيخنا الإمام ابن كثير في بدء بناء الكعبة وفي رفع قواعدها من إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - ليرى للناس أفكار المتقدمين عن هذا الموضوع

وصحح ما جاء في الكتب الإسلامية عن هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام فإنهم قالوا إنه هاجر إلى الشام ثم نزل إلى مكة المكرمة. وقد قال هو: إنه هاجر إلى مكة المكرمة، ولم يهاجر إلى الشام. واستدل بقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ .

والأرض المباركة هي أرض مكة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

وقال: إن محل إقامة إبراهيم عليه السلام «مكة» ومات فيها ودفن، وأنجب فيها أولاده من زوجاته الثلاث هاجر وسارة وقطورة. واستدل على ذلك بعبارات من التوراة أحسن تفسيرها.

وقال: إن مواعيد الله مع إبراهيم تمت في إسماعيل وحده. لأنه هو

١ - وحيد أبيه ووحيد سارة ووحيد هاجر، بحسب شريعة ذاك الزمان.

٢ - ولأن الله قال لإبراهيم: خذ ابنك وحيدك لتذبحه. فيكون الذبيح إسماعيل؛ لأن إبراهيم لم ينجب إسحق في ذاك الوقت.

٣ - ولما افتداه الله؛ أعطاه العهد بالنبوة والملك على الأمم والشعوب في ابنه الذي

http://www.al-maktabeh.com

لم يكن له ولد غيره. وهو إسماعيل عليه السلام.

٤ - وبعد أربعة عشرة سنة. وهبه ابنا من سارة هو إسحق عليه السلام ليمهد نسله لمحمد ﷺ الذي سيأتي من إسماعيل بحسب الموعد. ولذلك جاء في القرآن الكريم أن إسحق نافلة لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ .

٥ - وبارك الله إسماعيل بملك ونبوة، وبارك الله في إسحق بملك ونبوة. فإذا انقضت تظهر بعدها بركة إسماعيل من محمد ﷺ ففي سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ .

ومن الجديد في هذا الكتاب النفيس:

أن المؤلف يحسن التطابق بين ما في القرآن وما في كتب التوراة والزبور والإنجيل. فموضوع «بكّة» - شرفها الله تعالى - يذكر المؤلف أنه في الزبور ٨٤ وموضوع «البُدن» يذكر موضعه.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وموضوع «الإفاضة من عرفات» يذكر موضعه. . . وهكذا، والتطابق مفروض على المسلمين معرفته؛ لإفحام أهل الكتاب؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ويأمر المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

وقد أوحى الله من علمه على المسلمين في القرآن الكريم.

وقد بيَّن المؤلف من هذا العلم: أن الله يقول: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وذكر النصوص الدالة على ذلك من سفر المزامير. وأن الله يقول: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وذكر النص على ذلك من سفر المزامير - وهو سفر الزبور ــ وأن الله قال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ وذكر المؤلف النصوص التي تدل على منسك مكة، ومنسك جبل صهيون، ومنسك جبل جرزِّيم، ومنسك «صنعاء» اليمن.

وهكذا تطابق يدل على أنه قد قام بفرض الكفاية عن المسلمين. فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

صفوت جوده أحمد

منفلوط

http://www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإنه لما استوت سفينة نوح ـ عليه السلام ـ على «الجودي» وهو جبل الجود والرحمة في مكة المكرمة ـ التي سماها داود ـ عليه السلام ـ «بكّة» بنى نوح مذبحا للرب، وقرب عليه القرابين، ونزلت النيران من السماء فأكلتها، علامة على الرضا من الله. ثم إن الناجين من الغرق من بعده قد ارتحلوا شرقا إلى أرض العراق. وهي أرض شنِعار. ومنها تفرقوا في كل الأرض. وإلى مكة كانوا يأتون ليروا مذبح نوح، فيشكرون الله على أن نجاهم من الغرق.

وصار هذا المذبح كعبة لهم مدة طويلة من الزمان. وكانوا يطلقون عليه «بيت الله» ويقولون: إن الله في أشهر الحج ينظر إلى الحجاج نظر رحمة.

ولما طال بالناس الزمان وسوست الشياطين لكثيرين منهم بوضع الأصنام عند «بيت الله» فرأى الله أن يُسيِّر إليهم إبراهيم خليله ليردهم إليه، وليطهر بيته من الأصنام، فخرج من أرض آبائه مهاجرا إلى «مكة» التي بارك الله فيها للعالمين. وكان معه لوط ـ عليه السلام ـ وحاربا عباد الأصنام بالسيوف، وطهرا الكعبة للطائفين والعاكفين والركع السجود. وأقام إبراهيم بزوجاته وأولاده في مكة عند بئر زمزم. المعروف ببئر الحي الرائي.

* * *

٢ ـ واستمر حج الأمم إلى مكة من زمان نوح ـ عليه السلام ـ إلى زمان عودة بني إسرائيل من سبي بابل في عهد الملك كُورُوش ملك فارس سنة ٥٣٨ ق .م وكان بنو

مكتبة المهتدين الإسلامية

إسرائيل يحجون مع الأمم إلى الكعبة. ويدل على ذلك: إن مناسك الحج مكتوبة في سفر الزبور لداود ـ عليه السلام ـ . ولما عادوا بإذن من الملك كوروش إلى فلسطين عادوا.

أ ـ بتحريف التوراة ب ـ وإنكار نبوة محمد ﷺ ج ـ وأن دعوة موسى لليهود وليست للأمم د ـ وأن بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ أغراب عن بني إسرائيل. هـ ـ وتغيير كعبة الحج من مكة إلى فلسطين.

ثم اختلف بنو إسرائيل.

أ ـ فاتّهم السامريون العبرانيين بتحريف التوراة. ورد العبرانيون الاتهام عليهم.

ب ـ وقال السامريون: إن النبي الأمي الآتي سيكون مثل موسى في الحروب والانتصار على الأعداء والملك على البلاد والمعجزات. وقالوا: ولن يأتي هذا النبي من بني إسرائيل جميعا.

ج ـ ولم يختلفوا في التوقف عن دعوة الأمم، ولم يدعوا.

د ـ وقال العبرانيون: إن السامريين أغراب عن جنس إبراهيم. وإذ ليس في اللغة العبرانية غين؛ نطقوا «أغراب»؛ «أعراب» أو «عُرب» في «غُرب»

وفي الإنجيل أنهم شتموا المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ بقولهم: «إنك سامري، وبك شيطان» [يو٨:٤٨] وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يرد عليهم قولهم غربة بني إسماعيل عنهم، ويقول: إن اليهود اليوم هم «الغرباء» لأن الدين الحق مع بني إسماعيل، واليهود لم يؤمنوا. وإنما أسلم منهم قوما نفاقا ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ نفاقا.

وفي إنجيل لوقا هذه الرواية:

في الأصحاح السابع عشر من إنجيل لوقا:

«وفي ذهابه إلى أورشليم؛ اجتاز في وسط السامرة والجليل. وفيما هو داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال برص. فوقفوا من بعيد، ورفعوا صوتا قائلين: يا يسوع. يا

http://www.al-maktabeh.com

معلم؛ ارحمنا. فنظر وقال لهم: اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة. وفيما هم منطلقون؛ طهروا. فواحد منهم لما رأى أنه شُفي؛ رجع يُمجدُ الله بصوت عظيم، وخر على وجهه عند رجليه شاكرا له. وكان سامريا.

فأجاب يسوع وقال: أليس العشرة قد طهروا. فأين التسعة؟ ألم يُوجد من يرجع ليُعطي مجدا لله غير هذا الغريب الجنس؟ ثم قال له: قم وامض. إيمانك خلّصك» [لو ١٧:١١-١٩]

* * *

وفي الفصل التاسع عشر من إنجيل بَرْنابا:

«ولما انتهى يسوع من العبادة؛ نزل من الجبل مع تلاميذه، والتقى بعشرة بُرص. صرخوا من بعيد: يا يسوع ابن داود ارحمنا. فدعاهم يسوع إلى قربه، وقال لهم: ماذا تريدون مني أيها الأخوة؟ فصرخوا جميعهم: أعطنا صحة. أجاب يسوع: أيها الأغبياء، أفقدتم عقلكم حتى تقولوا: أعطنا صحة؟ ألا ترون أني إنسان نظيركم؟ ادعوا إلهنا الذي خلقكم. وهو القدير الرحيم؛ يشفكم. فأجاب البرص بدموع: إننا نعلم أنك إنسان نظيرنا، ولكنك قدوس الله، ونبي الرب؛ فصلِّ لله ليشفينا. فتضرع الرسل إلى يسوع قائلين: يا معلم ارحمهم.

حينئذ أنَّ يسوع وصلّى قائلا: أيها الرب الإله القدير الرحيم. ارحم وأصغِ السمع إلى كلمات عبدك. ارحم رجاء هؤلاء الرجال، وامنحهم صحة لأجل محبة إبراهيم أبينا، وعهدك المقدس. وإذ قال يسوع ذلك؛ تحوّل إلى البرص، وقال: اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة بحسب شريعة الله.

فانصرف البُرص وبرئوا على الطريق. فلما رأى أحدهم أنه برئ؛ عاد ينشد يسوع، وكان إسماعيليا. وإذ وجد يسوع؛ انحنى احتراما له قائلا: إنك حقا قدوس الله. وتضرع إليه بشكر لكي يقبله خادما. أجاب يسوع: قد برئ عشرة، فأين التسعة؟ وقال للذي برئ: إني ما أتيت لأُخدمَ، بل لأخدِمَ. فاذهب إذاً إلى بيتك، واذكر ما أعظم ما فعل الله بك. لكي يعلموا أن الوعود الموعود بها إبراهيم وابنه، مع ملكوت الله؛ آخذة في الاقتراب.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فانصرف الأبرص المُبْرأ، ولما بلغ جِيـرَةَ حيِّه؛ قصَّ ما صنع الله به بواسطة يسوع» [بر ١٩:١١-٣٤]

* * *

في هذه الرواية:

١ ـ أن عيسى ـ عليه السلام ـ كان متبعا للتوراة ولم ينسخها. بدليل أنه أمر البرص بلقاء العلماء ليعملوا لهم شعائر الطهر من البرص كما في التوراة.

٢ ـ اعترف بأن المجد لله وحده خالق السموات والأرض.

٣ ـ وصف السامري بالغريب الجنس عن نسل إبراهيم بحسب اعتقاد العبرانيين فيهم.

وقد أورد بَرْنابا هذه الرواية. وقال فيها: إن الغريب الجنس كان إسماعيليا.

ويحسب برواية برنابا؛ لا يكون بنو إسماعيل في زمن عيسى ـ عليه السلام ـ عبّاد أصنام؛ لأن الإسماعيلي أعطى مجدا لله.

ومحمد ﷺ في سفر الزبور يقول عن نفسه بظهر الغيب لله: «صرت أجنبيا عند إخوتي وغريبا عند بني أمي» [مز ٦٩:٨] أي أن بني إسماعيل صاروا أغرابا في نظر اليهود؛ ولما حرف اليهود كتبهم، واستبعدوا الأمم من الدخول في دينهم. ومنهم العرب، واستبعدوا التصريح باسم محمد. بدليل أنه هو النبي الأمي المكتوب عنه في التوراة وهم لا يريدونه. حاربوه حتى أنه صرخ إلى الله: «خلصني يا الله» ـ «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب» وقال لله: إنني أريد الحرب من أجلك. من أجل بيتك «لأن غيرة بيتك أكلتني» ثم قال لله: «نجني» ـ «ولاتحجب وجهك عن عبدك؛ لأن لي ضيقا. استجب لي سريعا» وشتم اليهود بقوله: «لتصر دارهم خرابا، وفي خيامهم لا يكن ساكن» وقال: إن الله استجاب له: «لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه»

وقد شرحنا هذا المزمور في كتابنا «اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة»[١]

(١) نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

http://www.al-maktabeh.com

هـ - واتفق السامريون والعبرانيـون على تغيير منسك الحج. من مكة إلى فلسطين. وذلك لأن الكعبة واضـعها الأول هو نوح - عليه السلام - وقد أمـر بالحج إليها؛ لأنه صاحب شريعة عـامة بعد الطوفان. وجدّد إبراهيم بناءها، وحدّد مـنطقة الحرم بأعلام فوق الجبـال، وفي مداخل الطرق المؤدية إلى الكعبة. ولما جاء مـوسى صاحب التوراة أمر بالحج إليها. وأقـام مدة عند الكعبة، ومنها أرسل الجواسيس لـفتح فلسطين وإليها عادوا. وقالوا له: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾

وحج بنو إسرائيـل إليها قـبل موسى ومن بعده. والدلـيل على ذلك: أن داود كان بعد موسى بنحـو خمسمائة عام. وهو الذي فـتح فلسطين مع طالوت - عليه السلام - وبعد نحو خمـسمائة عام؛ ترك بنو إسرائيل فلسطين قسـرا إلى «بابل» ثم رجعوا بعد مائة عام تقريبا. كما في القرآن الكريم. ففي مدة الألف والمائة سنة من موسى إلى زمن الرجـوع. في أي بلد كـان يحج بنو إسـرائيل والأمم؟ هل في فـلسطين؟ لا يمكن أن يكون الحج في فلسطين؛ لأن مـوسى صـاحب الشريعـة ليس في توراته تحـديد مكان للحج في فلسطين. وإذ في الزبور من بعد أن فتحت فلسطين ومن قبل الفتح؛ مناسك الحج إلى «بكة» تكون الكعبة هي منسك الحج.

ولما رجع اليهود من سبي بابـل إلى فلسطين؛ أسسوا كعبة لتكون عوضـا عن كعبة مكة. وأطلقوا عليها لقب «مذبح» أو «هيكل» أو «مسجد» وكذبوا على داود وسليمان بقولهم: إن داود أسس في «أورشليم» الكعبة للحـجاج من اليهود والأمم، ومات من قبل أن يتم البناء؛ فأكمله سليمان ابنه. وجعله كعبة، وجعله أيضا قبلة في الصلوات.

انظر في صلاة سليـمان عقب الفـراغ من الهيكل. تجد أنه يقـول فيهـا لله تعالى: «وإذا جاء الغريب الذي لا ينتمي إلى بني إسرائيل شعبك. إذا جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك. فالناس يسمعـون باسمك العظيم ويدك القديرة وذراعك الممدودة. وصلى في هذا الهيكل؛ فـاسمع أنت من السمـاء، من مكان سكناك، واستجب مـا يرجوه منك هذا الغريب؛ ليعـرف جميع أمم الأرض اسمك، ويخافـوك، مثل بني إسرائيل شعبك، ويعلموا أن اسمك في هذا الهيكل الذي بنيتُه لك.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وإذا خرج شعبك لمحاربة أعدائهم حسب مشيئتك، وصلّوا إليك جهة المدينة التي اخترتها، والهيكل الذي بنيته لاسمك؛ فاسمع أنت من السماء صلاتهم وتضرعهم وانصر حقهم» [٢ أخ ٦:٣٢:٣٥]

وهذا النص مكرر في الأصحاح الثامن من سفر الملوك الأول. بلا ترتيب بين القبلة والحج من الآية ٣٨ ـ ٤٣

ومعنى هذا:

أن عندنا منسكين للحج. المنسك الأول هو الكعبة في مكة. وواضعه نبي من الأنبياء صاحب شريعة هو نوح ـ عليه السلام ـ والمنسك الثاني هو المسجد الذي وضعه اليهود في فلسطين ليكون كعبة بدل كعبة مكة. ويقول اليهود: إن المسجد الذي اتخذناه كعبة في فلسطين ما اتخذناه من لدنا، وإنما اتخذناه بأمر من داود وسليمان. وهما نبيان. وحجتهم داحضة عند الذين أوتو العلم. وذلك لأن داود وسليمان كانا على شريعة موسى. ويقول اليهود: إن آباءنا أطلقوا على كعبة فلسطين هيكل سليمان، وهو أقصى عن مكة» أي يبعد عنها. وإن المسلمين هدموه وبنو المسجد الأقصى على أنقاضه. ونحن نريد هدم المسجد الأقصى؛ لنبني الهيكل ليكون كعبة للحجاج في هذا الزمان كما كان كعبة في الزمان الأول. وقولهم باطل. وذلك لأن عندهم كعبتين لا كعبة واحدة. كعبة على جبل جِرزّيم. وكعبة على جبل صهيون. والتي هي على جبل صهيون هي المعروفة بالمسجد الأقصى.

أما عن الكعبة الثالثة:

وهي الكعبة التي بناها المسيحيون ـ لا النصارى ـ فسبب بناء المسيحيين لها؛ هو نفسه سبب بناء اليهود للهيكل الذي نسبوه زورا إلى دواد وسليمان. وزعموا: أن المسلمين أسموه بالمسجد الأقصى، وبنوه على أنقاض الهيكل. ففي الروايات الإسلامية ما نصه: أن «أبرهة» بنى «القُلَّيس» بـ «صنعاء» وهي كنيسة لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض. وكان نصرانيا [١] . ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يُبن مثلها لملِك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج

(١) الصحيح: وكان مسيحيا، بدل: وكان نصرانيا.

http://www.al-maktabeh.com

العرب... إلخ»

انظر إلى قوله: «ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب»

ومعنى هذا: أن اليهود صرفوا الحج عن مكة إلى «فلسطين» وذلك ببنائهم لهيكل سليمان ليكون منسك الحج، وأن المسيحيين صرفوا الحج عن مكة إلى «اليمن» وذلك ببنائهم لكنيسة «القليس»

ولما صرف اليهود الحج من مكة إلى أورشليم بعد بنائهم الهيكل الذي نسبوه زورا إلى سليمان لهذا الغرض؛ سلط الله عليهم «تِيطُوس» الروماني سنة ٧٠ ميلادية فهدم من أورشليم والهيكل جزءا، وسلط الله عليهم من بعده «إدريانوس» الروماني سنة ١٣٢ ميلادية فسوى الهيكل بالأرض، وحرثها وبذر فيها ملحا لتكون الأرض سبخة لا تصلح لبناء ولا لزراعة.

ولما صرف المسيحيون الحج من «مكة» إلى «صنعاء» في اليمن وتقدموا بجيش عظيم لهدم الكعبة، والملك على أهل مكة ليقتلوا كل ذكر يولد في عام الفيل: إذ عندهم وعند اليهود في الكتب أن النبي الآتي على مثال موسى سيولد في هذا العام؛ سلط الله عليهم الطير الأبابيل. أما الكعبة فإنها حرم آمن، ولذلك بقيت وعُظِّمت تعظيما.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

البيان:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تخبر. واللفظ استفهام. والمعنى: تقرير. والخطاب للنبي ﷺ ولكنه عام. أي ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل. أي قد رأيتم ذلك، وعرفتم موضع منّتي عليكم، فما لكم لا تؤمنون.

ولِمَ لَم يقل المفسر ـ وهو الشيخ القرطبي ـ إن: ألم تر المراد بها: أيها اليهودي. وهو يريد بها اليهود جميعا. أي ألم تخبروا بما حل بالمسيحيين، وهم طائفة منكم؟ لم لم يقل هكذا وهو يفسر على التهديد للذين رأوا؟

إنه يخاطب اليهود جميعا في شخص واحد منهم على طريقتهم في ذكر معاني

مكتبة المهتدين الإسلامية

التوراة. ففي سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد» [تث٦: ٤] يخاطب اليهود جميعا والأمم معهم في شخص أبيهم يعقوب ـ عليه السلام ـ.

كأنه يقول: يا يهودي سوف تلقى هلاكا على يد محمد ﷺ إذا لم تؤمن بنبوته. كما سمعت أننا أهلكنا الذين جاءوا إلى هدم بيتنا. ولو أن قائلا قال: إن التهديد لأهل مكة. فإنه يُردّ عليه بالقرآن. وذلك لأن الإنذار والتهديد؛ يعقبهما الهلاك للمنذرين والمهددين إذا لم يستجيبوا. والله قد حفظ مكة وأهلها من الهلاك؛ فلذلك لم ينذرهم ولم يهددهم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾

يدل على أن الغرض من هدم الكعبة كان كيدا لدين الإسلام من قبل ظهوره.

وقوله تعالى: ﴿أَبَابِيلَ﴾ أي مجتمعة

وقيل: إن الطير كان لونه أخضر. ومنقاره لونه أصفر

وقيل في معنى ﴿سِجِّيلٍ﴾ : أي مما كُتب عليهم أن يعذبوا به.

وقيل في ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ :أي كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل

ومن أيام «إدريانوس» الروماني سنة ١٣٢ ق.م واليهود العبرانيون لا يحجون. لا إلى كعبة مكة، ولا إلى كعبة أورشليم التي هي هيكل سليمان. الذي يسميه المسلمون عن جهل بالمسجد الأقصى. فإن الإسراء كان في مسجد بعيد لم يذكر الله اسمه. وذلك لأن إدريانوس قد شتتهم في أراضي الأمم، وحرم عليهم الرومان الإقامة في فلسطين. ثم إن الرومان سمحوا لليهود بزيارة أرض الهيكل في التاسع من أغسطس كل سنة. وهو يوم هدمه.

أما السامريون. فإن هيكلهم الذي قد اتخذوه قبلة؛ قد وضع الرومان فيه صنما. ولم ينتفعوا باتخاذهم كعبة بدل كعبة مكة. ومن الأراضي التي شتتهم فيها الرومان؛ أرض الحجاز. وقد أقاموا فيها، وامتهنوا مهنة الزراعة والتجارة، وتعاملوا بالربا. وأقام علماء من بني إسرائيل عند الكعبة، وكانوا يصلون عندها ﴿مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ أي صلاة

http://www.al-maktabeh.com

لا معنى لـها كصلوات المتـصوفـة في حلقات الذكـر. بتصفـير وصـراخ وآهات. كأن المتصوفـة ورثة اليهود الأشرار وإذا لقى أحد منهم إنسـانا هو آت إلى الكعبة من بلاد بعيدة؛ يصده عن الإتيـان مرة أخرى. وعن هذا في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

وحرم الله على المؤمنين أن يصلوا خلف هؤلاء العلماء؛ لأنهم عدموا الطهر برماد البقرة الصـفراء الفاقع لونها. وقد بينا هذا المعنى في غـير هذا الكتاب(١). وبـينـا: أن النبي ﷺ طردهم من مكة عن أمر الله تعالى وهو : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وبينا أن سورتي الأنفال والتوبة يتحدثان عن اليهود لا العرب، فإن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في جميع سور القرآن هم اليهود وليسوا العرب.

ولأن المسيـحيين طائفة من اليـهود. وقبلتهم بحـسـب كذبهم تكون إلى جهـة قبلة العبـرانيين. وحجـهم بحسب كذبهم يـكون إلى هيكل سليمان. ولما هدمه إدريانوس الروماني؛ بنوا كنيسة القيامة. ولماذا بنوها ولم يطلبوا من الرومان وهم الحاكمون، وهم مسيحيون أن يعيدوا بناء هيكل سليمان للحج وللقبلة؟

لأن المسيح عيـسى ـ عليه السلام ـ لما تنبأ عن هدم هيكل سليمـان قال: «لا يترك ههنا حجر على حجر إلا وينقض» [متى ٢٤:٢] وقد هدم ـ كما في الكتب ـ ونقضت حجارته. ولما اعتنق الرومان المسيحية في سنة ٣١٣ ميلادية فكروا وقدروا. وقالوا: لو أعـدنا الهـيكـل على حـالتـه الأولى؛ فـإن ذلك يعـني أن الحـجـارة قـد وُضـعت مكانها. والمسيح يقول: إنها لن توضع في أمـاكنها من بعد نقضـها. ومخالفـة المسيح ستظهر كذبه. وإذا ظهر كذبه يلزم أنه ليس نبيـا ولا إلها. وعندئذ يترك الناس المسيحية ويرجعون إلى اليهودية وينتظرون محمدا ليؤمنوا به.

ولهذا بنوا كنيسة القيامة لتحل محل هيكل سليمان في الكعبة والقبلة. ولذلك ترى

---

(١) هيكل سليمان عند المسلمين وأهل الكتاب نشر **مكتبة النافذة** تاليف د / احمد حجازي السقا.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المسيحيين في كل سنة يحجون إلى أورشليم. ومن يرجع منهم إلى بلده يناديه الناس بقولهم له: «يا مقدس» أي يا من ذهب إلى أورشليم التي هي «القدس»

وبذلك يكون للمسيحيين مكان حج هو كنيسة القيامة. ولا يكون لليهود مكان حج إلى هذا اليوم. ويتمنى اليهود إعادة بناء هيكل سليمان ليحجوا إليه. والمسيحيون يمنعونهم من إعادة بنائه؛ لئلا تضيع الديانة التي عملوها. والمسلمون يمنعونهم من هدم المسجد الأقصى. لئلا يعيدوا بناء هيكل سليمان ويحجوا إليه.

واليهود والمسيحيون جميعا ليسوا على حق في أمر كعبتهم. وهم يعلمون علم اليقين أنهم ليسوا على حق من كتبهم التي يدرسونها. وقد ذكر الله في القرآن الكريم مما في كتبهم ما يدل على أن كعبتهم الأولى هي كعبة مكة. وأن الكعبة التي بناها اليهود في فلسطين - وهي المعروفة بهيكل سليمان - هي كعبة مزورة. وأن الكعبة التي بناها المسيحيون في أرض اليمن - وهي المعروفة بكنيسة الكليس - هي كعبة مزورة.

وهذه آيات تدل على ذلك:

أولا: في سورة البقرة:

يخبر أن اليهود لم يجعل الله لهم قبلة في الصلاة. وإذا أرادوا الصلاة فليصلوا إلى أية جهة. وأن العرب والأمم كانوا على شريعة التوراة مع اليهود؛ لأنها كانت شريعة عالمية إلى أن يظهر محمد رسول الله ﷺ فينسخها. وعبر الله عن العرب في شخص محمد ﷺ فقال له في شأن القبلة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ أنت وقومك. وهي الاتجاه في الصلاة إلى أية جهة. وقال له: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ أي أنه لم تكن لك قبلة إلى جهة ثابتة. وأنت الآن صاحب الشريعة. وإذا خيرناك إلى جهة ثابتة؛ فإننا نعلم أنك ستختار جهة الكعبة ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

ووصف علماء بني إسرائيل بالسفهاء. وحكى عنهم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ وقد قالوا: ما صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ ؟ لأن القبلة في التوراة كانت إلى أية جهة. وبنو إسماعيل كانوا يصلون إلى أية جهة. ومن الجهات جهة مكة وجهة

http://www.al-maktabeh.com

فلسطين. وقد رد على هؤلاء السفهاء بقوله: ﴿ لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

وهذا الرد منه إشارة منه إلى نص التوراة الذي لا يحدد جهة. وهو: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا؛ آتي إليك وأباركك» [خروج ٢٠:٢٤ -]

ثم قال: إن الذين كانوا على القبلة القديمة. وهي الاتجاه إلى أية جهة ثم سيتحولون إلى القبلة الجديدة، من اليهود والمسيحيين وغيرهم؛ لن يضيع الله عليهم ثواب أعمالهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ وأكد على عدم ضياع ثواب أعمال اليهود خاصة بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ لأن لفظ ﴿ النَّاسِ﴾ في القرآن الكريم يدل على اليهود.

وبين أن أهل الكتاب يعلمون من كتبهم أنه لم تكن لهم قبلة من قوله: «في كل الأماكن» ويعلمون أنهم أسسوا هيكل سليمان؛ ليكون لهم قبلة ومنسك حج، بدون دليل من التوراة؛ فإن داود ـ عليه السلام ـ قد ذكر مناسك الحج في الزبور. وهو متبع للتوراة، وكل أنبياء بني إسرائيل مأمورون بالتعبد بما فيها، وبعدم الخروج على أحكامها. وما عملوه من بعد موت داود؛ لا يكون من فعل داود.

وليلاحظ في الرد عليهم أمران:

الأمر الأول: أن كتاب الزبور قد سلمه داود إلى بني إسرائيل من قبل موته. وكتب منه نسخا ونشرها. وفيه شعائر الحج التي كان عليها الناس من لدن نوح إلى زمانه. وفيه ذكر «بكة» المباركة. Baca

{لاحظ: أن الباء كابيتل B للدلالة على اسم بلد في التراجم الانجليزية}

والأمر الآخر: أن ابتداء حج اليهود إلى فلسطين، كان بعد موت داود.

ويترتب على هذين الأمرين: أن حجهم إلى فلسطين ليس بأمر من داود، ولا من موسى، ولا من إبراهيم، ولا من نوح ـ عليهم السلام ـ ولذلك جاء في القرآن الكريم عند فرض الحج: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ والإتمام يدل على شعائر أراد الله أن يزيد عليها في شريعة الإسلام.

ومما جاء في الزبور عن الوقوف بعرفة ثم الانحدار إلى الكعبة: «لأني كنت أمرّ مع

مكتبة المهتدين الإسلامية

الجمّاع أتدرج معهم إلى بيت الله، بصوت ترنّم وحمد. جمهور معيِّد» [مز ٤٢:٤]

واستمر اليهود والمسيحيون في الصلاة نحو هيكل سليمان، وفي الحج إليه إلى أن ظهر دين الإسلام. ولم يكن العرب ولا محمد رسول الله ﷺ يحجون إلى هيكل سليمان، ولا إلى هيكل السامريين، وما كانوا يتجهون في الصلاة على سبيل الوجوب والفرض إلى جهة «بيت المقدس» هكذا في الكتب «بيت المقدس» يعنون هيكل سليمان في مدينة «القدس» التي هي أورشليم.

وذلك لأن موسى ـ عليه السلام ـ صاحب الشريعة لم يوجب ولم يفرض جهة معينة في الصلاة. وليس من حق نبي من بعده من بني إسرائيل إيجاب جهة وفرضها. وكل الأماكن ـ إذ لله المشرق والمغرب ـ تصح فيها الصلاة إلى أية جهة ـ بحسب شريعة موسى ـ لذلك كان العرب جميعا في الأيام الأولى لظهور الإسلام ومنهم محمد رسول الله ﷺ يصلون إلى جهة الجنوب، جهة الكعبة، وإلى جهة الشمال جهة بيت المقدس، وإلى جهة الشرق نحو العراق، وإلى جهة الغرب نحو مصر. فلما نزل القرآن بحكاية القبلة القديمة وبإلزام المسلمين بجهة مكة. التزموا بجهة مكة على سبيل الوجوب والفرض. وعن هذا جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

ثانيا: في سورة الحج:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

يعني بالذين كفروا: اليهود خاصة. ويقول: إنهم بعد كفرهم؛ يصدون عن سبيل الله. بمنع الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، وأيضا: يصدون عن الحج إلى الكعبة. كما قال في آية أخرى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

مع أنهم يعلمون أن ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وعلمهم القريب هو من قصة أصحاب الفيل.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

http://www.al-maktabeh.com

﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

وسيأتي بيـان من هو المؤذن. أما ههنا فإننا سنذكر نصـوصا من نبوءات الزبور تدل على ذبح الأنعام عند الكعـبة تقربا إلى الله في أيام الحج، وتدل على قـضاء التفث، والوفاء بالنذر، والطواف حول البيت العتيق.

١ ـ في المزمور السادس والستين:

«ادخل إلى بيتك بمحرقات. أوفيك نذوري، التي نطقت بها شفتاي وتكلم بها فمي في ضيقي، أصعد لك محرقات سمينة، مع بخور كباش. أقدم بقرا مع تيوس»

البيان:

المراد بقوله بيتك: الكعبـة المعظمة في مكة؛ لأن الزبور فيه الكلام عن «بيت الله» من قبل أن يفتح بنو إسرائيل فلسطين. ويقول: إنه قدمت فيه المحرقـات السمينة التي هي ﴿ الْبُدْنَ﴾ وقدمت فيه الأغنام والبقر والماعز. وتقديم الأنعام قرابين لله؛ يدل على أن القرابين قد قدمت على بيت ليس في فلسطين.

٢ ـ في المزمور المئة والسادس عشر:

«أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه» ـ «فلك أذبح ذبيحة حـمد، وباسم الرب أدعو. أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه. في ديار بيت الرب. في وسطك يا أورشليم»

البيان:

يتكلم النبي بظهر الغيب عن نفسه ويظهر كلامه داود فيقول: إنني سأوفى بنذوري لله أمام كل المؤمنين به. في ديار بيت الرب. أي في أرض مكة؛ لأن فلسطين ليس فيها بيت للرب. وذلك لأن تأسيس هيكل سليـمان ليكون بيتا للرب ـ زورا ـ بـدل الكعبة كـان من بعد الرجـوع من سـبي بابل. فـقوله «في وسطك يا أورشـليم» لبس للحق بالباطل. وسيأتي البيان.

ويقولون في كتبهم: إن داود ـ عليـه السلام ـ لما شرع في بناء بيت المقدس؛ الذي هو معروف بهيكل سليـمان؛ اجتهد اجتهادا عظيـما في إتمام بنائه ولكنه مات من قبل أن يتم بناؤه. والذي أتمه من بعده هو سليمان ابنه. ومناسك الحج إليه ابتدأت في عهد

مكتبة المهتدين الإسلامية

سليمان. هذا هو قولهم. ومعلوم أن داود قد مات وكتاب الزبور كان قد سلمه إلى قومه من قبل موته. وعلى هذا فإننا أمام إشكال ينبغي على اليهود والمسيحيين حله. وهو أن في الزبور مناسك حج. فيها وفاء بنذر، وطواف ببيت مقدس. والناس يعرفون طرقه في قلوبهم من كثرة حجهم إليه. فإما أن تكون هذه المناسك مكتوبة في الزبور من بعد موت داود، وإما أن يكون من قبل موته قد كتب عن أمر الله عن مناسك معروفة للعالم أجمع. فإذا كان المكتوب من وحي الله في زمان داود؛ يكون ما عند اليهود في المناسك ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ من بعد داود. وإذ ابتداء مناسك الحج إلى فلسطين عندهم من عصر سليمان ـ كما يزعمون ـ والحق: أنه من بعد الرجوع من بابل أي من بعد موت داود؛ فإن المكتوب في الزبور عن مناسك الحج يكون إلى كعبة مكة.

٣ ـ وفي المزمور السادس والعشرين يقول النبي المنتظر بظهر الغيب عن نفسه ويحكي كلامه داود ـ عليه السلام ـ: «أغسل يدي في النقاوة؛ فأطوف بمذبحك يارب. لأسمّع بصوت الحمد، وأحدث بجميع عجائبك. يارب أحببت محل بيتك، وموضع مسكن مجدك. . . في الجماعات أبارك الرب»

البيان:

القائل هذا القول هو النبي محمد ﷺ بظهر الغيب [١]. فإن مفسري الزبور

(١) سفر الزبور فيه نبوءات يتكلم فيها إنسان عن نفسه، وينقل كلامه إلى الناس داود ـ عليه السلام ـ ويفسر المفسرون من أهل الكتاب هذا الأمر بقولهم: إن الله تعالى لما وعد بنبي سيأتي على مثال موسى ليقيم الدين؛ صوّره في الأزل كأنه موجود يتكلم ـ وما هو بموجود بجسمه؛ لأنه لم يخلق بعد ـ وأجرى على لسانه كلاما. فيه أوصافه وأخلاقه. وأوحى إلى داود بكلامه ليبلغه للناس حتى إذا ما جاء ينظرون في أوصافه وأخلاقه. فإذا كانت مطابقة للمكتوب عنه في الزبور؛ يعرفون أنه هو النبي المنتظر. والأوصاف والأخلاق منطبقة على محمد رسول الله.

ومثال ذلك:

١ ـ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وفي الزبور ٢٧: «استمع يا رب. بصوتي أدعو؛ فارحمني واستجب لي. لك قال قلبي: قلت: اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب. لا تحجب وجهك عني»

٢ ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾؟ وفي الزبور ٢٧: «إن أبي وأمي قد تركاني، والرب يضمني. علمني يا رب طريقك. واهدني في سبيل مستقيم»

٣ ـ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي الزبور ١١٩: «رفيق أنا لكل الذين يتقونك، ولحافظي وصاياك»

http://www.al-maktabeh.com

يقولون: إن فيه نبوءات كثيرة عن النبي الأمي الآتي على مثال موسى. ولا يقولون: إنه هو محمد رسول الله ﷺ. ونصوص النبوءات تدل عليه. وهو هنا يقول عن نفسه لله: إنني سأكون مع الذين يقضون تفثهم بغسل أيديهم في النقاوة. فإذا اغتسلت واطهرت وأخلصت قلبي إليك؛ عندئذ أطوف، وأقول عند الطواف بالمذبح: «إن الحمد والنعمة لك» وختم الكلام بقوله «في الجماعات أبارك الرب» أي أن دعوته عالمية لجميع أمم الأرض. وسيكون الحج لجميع الأمم.

ويقول الله تعالى عن مناسك الحج: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

وفي الزبور ١١٨ معنى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وبيان ذلك:

أن نوحا ـ عليه السلام ـ من بعد الطوفان قد بنى «مذبحا» لله، وقرب عليه قرابين من الحيوانات الطاهرة. وهذا «المذبح» هو الذي يعرف الآن بالكعبة في «مكة» لأن الناس من بعد الطوفان ارتحلوا شرقا إلى أرض شنعار. وهي أرض العراق. ويطلق بنو إسرائيل على «المسجد» لقب المذبح. ففي التوراة: أن إبراهيم بنى مذابح للرب، ودعا فيها باسم الرب الإله السرمدي. وأن إسحق بنى مذابح ويعقوب. وعلى لغتهم هذه قال داود ـ عليه السلام ـ: «فأطوف بمذبحك» أي لأطوف بالكعبة البيت العتيق الذي وضعه نوح من بعد الطوفان. ذلك قوله: «أغسل يدي في النقاوة؛ فأطوف بمذبحك يا رب. لأسمع بصوت الحمد، وأحدث بجميع عجائبك. يا رب أحببت محل بيتك، وموضع مسكن مجدك» [مز٢٦: ٦-٨]

وهذا هو النص على بناء نوح للمذبح:

«وبنى نوحا مذبحا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح؛ فتنسم الرب رائحة الرضا» [تك ١١: ١-٢]

وإذ ارتحالهم إلى الشرق يكون استواء الفلك في مكة. وإذ أول بيت للرب هو مذبح نوح. وهو نبي كريم صاحب شريعة. يكون المقصود من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ هو البيت الذي وضعه نوح. الذي يعرف في العالم بالمذبح. إذ لا يوجد أقدم منه؛ لأن الطوفان قد أغرق الكفار، ومحا

مكتبة المهتدين الإسلامية

كل قائم على وجه الأرض.

ويقول داود ـ عليه السلام ـ: «أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح» أي أن كل ذبيحة تقدم إلى مكة؛ تسير حتى تصل إلى الكعبة التي هي المذبح. ويتوقف سيرها، وتربط في قرون المذبح حتى يحين موعد ذبحها. وهذا هو معنى ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وداود وهو يتكلم في هذا الزبور عن ربط الذبائح عند الكعبة. ذكر أوصاف محمد رسول الله وبين أن شريعته هدى ونور وأن الله أرسله رحمة للعالمين. ومن ذلك:

«افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصا. الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلّص. آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب. الرب هو الله. وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح. إلهي أنت فأحمدك. إلهي فأرفعك. احمدوا الرب لأنه صالح؛ لأن إلى الأبد رحمته» [مز١١٨]

وقد استدل عيسى ـ عليه السلام ـ بهذا الزبور على مجيء محمد رسول الله ﷺ في موضعين، ذكرهما متى في إنجيله [متى٢١: ٤٢ ـ ومتى ٢٣: ٣٩]

وفي الحديث النبوي أن محمدا ﷺ هو اللبنة، وهو خاتم النبيين.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾

البيان:

في توراة موسى ـ عليه السلام ـ في أوصاف محمد رسول الله ﷺ أن من لا يؤمن به من اليهود في الأيام الأولى؛ يهلك على يديه هلاكا رديا في معركة حربية تكون في فلسطين في أرض «هَرْمَجَدُّون» في ساعة لا يعلمها إلا الله. واليوم الذي ستكون فيه هذه المعركة يسمى بيوم الرب العظيم [١].

---

(١) راجع كتابنا معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر في التوراة والإنجيل والقرآن - نشر **مكتبة النافذة**.

http://www.al-maktabeh.com

وفي سورة الحج يحكي الله عن معرفتهم بهذا العـذاب، واستعجالهم له؛ استهزاء بالله ورسولـه. ورد عليهم بقوله وهو يذكـر مناسك الحج: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْـدَهُ﴾ بعذابهم في يوم الرب. وقد تحقق الوعد في معركة اليارموك في زمان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ثم قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ يلفت نظرهم به إلى أن مناسك الحج إلى الكعبـة؛ موجودة في سفر الزبور. فلمـاذا تحجون إلى هيكل سليمان، وإلى هيكل حرزِيم؟

وقوله هذا في المزمور الرابع والثمانين الذي ذكر «بكّة» Baca «لأن يوما واحدا في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العـتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار»

وأخيرا يذكر: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾

ويبين به: أنه جعل منسـك حج واحد لجميـع الأمم. وهو كعبة مـكة. أما منسكهم وهو هيكل سليمان أو هيكل جرزيم ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ لا نحن.

* * *

وقد تبين من التعريف بهذا الكتاب:

أن الله ذكر في القرآن ثـلاث كعبات. كعـبة مكة التي هي أول بيت وضع للناس. وهي الكعبة الصـحيحة. وكعـبة فلسطين التي هي ثاني بيت وضعه اليـهود للحج إليه بدل كعبة مكة. وهي قـبلة مزورة. وكعبة صنعاء التي هي ثالث بيت وضعـه المسيحيون للحج إليه بدل كعبة مكة. وهي قبلة مزورة.

والآن إلى موضوع الكتاب.

والله ولي التوفيق.

د / أحمد حجازي أحمد علي السقا

الحاصل على الدكتوراة من كلية أصول الدين

جامعة الأزهر في موضوع: «البشارة

بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل»

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الأول
في
مواعيد إبراهيم

يكفي من التوراة في إثبات نبوة محمد ﷺ أن الله تعالى وعد إبراهيم عليه السلام بأن تتبارك الأمم في نسله. وقد كان هذا الوعد في حياة إسماعيل عليه السلام. ولم يكن لإبراهيم حال الوعد ولد غيره.

ويبدأ تنفيذ الوعد من محمد ﷺ لقوله: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾

والمدة من إبراهيم إلى محمد ﷺ جعل الله فيها نسل إسحق ممهدين الطريق له. وقد ابتدأوا في التمهيد له من موسى عليه السلام. ويدل على ذلك:

١ - أن الذبيح ابن إبراهيم الذي فداه الله بذبح عظيم؛ هو وحيد إبراهيم، ووحيد هاجر، ووحيد سارة.

٢ - وأن العهد قد تم بين الله وبين إبراهيم عقب نجاة الوحيد من الذبح. ولم يكن لإبراهيم ولد غيره.

وإذا قدر المسلم على إظهار هذين الأمرين من التوراة، والتدليل عليهما منها؛ فإنه يكون قد أثبت للعالم صحة نبوة محمد ﷺ .

وأما إسحق عليه السلام فإنه قد ولد بعد الوحيد بأربعة عشرة عاما، بعدما تمت المواعيد، ولم يعد له ولا لغيره مدة فيها. وبيان ذلك: أن إبراهيم وهو سن التاسعة والتسعين. بعدما تمت المواعيد وانتهت. قال الله له عن سارة: «أباركها وأعطيك أيضا منها ابنا» فقوله «أيضا» يدل على مُبارك أول. وهو الوحيد؛ لأن إسحق من بعد إسماعيل لا يُدعى وحيدا. وإذْ هو ثان لأول. والأول صاحب المواعيد. يكون إسحق ممهدا له وموطئا. وعن هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ أي أن إسحق نافلة لإبراهيم وليس مثل الفرض الذي لابد منه.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وإسحق يُدعى لإبراهيم نسلا، ولكنه نسل ممهد، لنسل أصلي موعود به. ذلك قوله: «لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك»

ولنثبت أولا: أن الذبيح المفدىً هو الوحيد:

١ - في زمان إبراهيم وما قبله أن السيدة الحرة إذا كانت لم تنجب، أو إذا كانت منجبة وتريد الراحة من تعب الإنجاب. فإنها كانت تقدم جاريتها لزوجها، وتقول في نفسها: «لعليّ أُرزق منها بنين» فإذا أنجبت يكون المولود. ابنا للحرة، ويرث فيها وترث فيه.

وسارة رضي الله عنها لما لم تكن قد أنجبت لإبراهيم؛ قدَّمت له هاجر جاريتها ليدخل عليها «فقالت ساراي لأبرام: هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة. ادخل على جاريتي. لعلى أُرزَقُ منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراي. فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجرَ المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له. فدخل على هاجر؛ فحبلت...»

فإسماعيل على قولها «لعلي أرزق منها بنين» هو ابن لسارة ووحيدها؛ لأنها لا تنجب وهو أيضا وحيد هاجر أمه الطبيعية، ووحيد إبراهيم أبيه.

ومثل إسماعيل في الإنجاب. أولاد يعقوب عليه السلام. فإن «ليئة» أنجبت رأوبين وشمعون ولاوِي ويهوذا. ثم توقفت عن الولادة. و«بِلهة» جارية «راحيل» أنجبت دانْ ونَفْتالي. و«زلفة» جارية «ليئة» أنجبت جاد وأشير. ثم إن «ليئة» أنجبت يَسّاكر وزبُولون، وابنة تسمى «دينة» و«راحيل» أنجبت يوسف وبنَيامين.

انظر إلى قول «راحيل» ليعقوب عليه السلام: «هوذا جاريتي بلهة. ادخل عليها فتلد على ركبتيّ، وأرزق أنا أيضا منها بنين» نجد هذا القول مثل قول سارة: «ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين»

وهؤلاء جميعا ورثة في يعقوب وهم من حرائر وجواري.

وبعدما بينا من التوراة أن إسماعيل هو الابن الوحيد للثلاثة. إبراهيم وهاجر وسارة؛ نثبت أنه هو الذبيح المَفْدِيّ. فنقول:

قال الله لإبراهيم عليه السلام بعدما نجاه من النار: «اذهب من أرضك ومن

http://www.al-maktabeh.com

عشيرتك ومن بيت أبيك، إلى الأرض التي أريك؛ فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك. وتكون بركة وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»

وفي التوراة: «وذهب معه لوط» وفيها: «فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب»

وأرض الجنوب هي أرض مكة المكرمة؛ لأنها جنوب فلسطين. وبينما هو في مكة المكرمة «قال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى؛ لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد»

يعني بالأرض: أرض مكة. وشمالها وجنوبها وشرقهاوغربها. وبعدما وعده بها لنسله لا لنفسه هو وحده «بنى هناك مذبحا للرب»

وقد قال المسيح عيسى عليه السلام: إن أرض الجنوب هي مكة، وقال: إن النسل الموعود بالأرض هو نسل إسماعيل عليه السلام لأن إبراهيم وقت أن وعده الله بإرث نسله للأرض؛ لم يكن له إلا إسماعيل. وهذا هو ما تصرح به التوراة. فإن فيها: أن الله قال لإبراهيم: «خذ ابنك وحيدك» والوحيد هو إسماعيل. لأنه وحيد الثلاثة «وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك»

فلما قدمه للذبح «ناداه ملاك الرب من السماء. وقال: إبراهيم إبراهيم. فقال: هأنذا. فقال: لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئا؛ لأني الآن علمت أنك خائف الله؛ فلم تمسك ابنك وحيدك عني»

ولما لم يمسك ابنه الوحيد عن الله. قال له: «بذاتي أقسمت. يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة. وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي»

والمراد من النسل الذي سيكثّره: نسل إسماعيل فقط؛ لأن إسماعيل هو الموجود وحده وقت التأكيد على المواعيد بإرث الأرض. والنسل الذي سيتبارك فيه جميع أمم

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأرض هو نسل إسماعيل فقط. والبركة تكون بشريعة إلهية، والشريعة لا يقوم بها إلا نبي. وهو محمد ﷺ.

فإذا جاء بعد ذلك ولد لإبراهيم. فإنه لا يكون له في المواعيد شيء؛ لأنها تمت من قبل ولادته.

وقد شاءت إرادة الله أن يكون نسل إسحق ممهدا لمحمد ﷺ والممهد يرث الأرض مدة التمهيد له، إلى أن يأتي الوارث الحقيقي. فيبطل إرث الممهِّد، ويظهر إرث الممهَّد له. ولكن بني إسرائيل حاملي بركة إسحق عليه السلام يزعمون أن نسل إبراهيم هو كل نسل إسحق. من فرع إسرائيل ابنه. وأن هذا النسل هو الذي سيرث الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. وكتبوا في التوراة أن الله بارك في إسماعيل، وبارك في إسحق أيضا. وجعل بركة إسحق ملكا ونبوة، وجعل بركة إسماعيل ملكا فقط «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره. كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية»

كيف يعطي عهدا في إنسان لم يولد بعد؟ وكيف يدَّعون أنه هو الذبيح؟ ولو كان هو صاحب العهد وذُبح ولم يُفد؛ لكان الله مخلف وعده. والله لا يخلف الميعاد.

* * *

وبيَّن الله تعالى في التوراة والإنجيل لعلماء بني إسرائيل ولسائر الأمم أن سيظهر محمد من آل إسماعيل بن إبراهيم ليكون للعالمين نذيراً، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم وفي بدء الإسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويداً رويداً، حتى يكونوا كباراً، يعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «سر أمامي. وكن كاملاً. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً» والمعنى: امش في الناس بالدعوة إلى ديني وعرفهم بي لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملاً أي أمة وقدوة في عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة، أجعل عهدي معك بالنبوة والرسالة

http://www.al-maktabeh.com

والملك على الأمم، وقد التزم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن أجل ذلك قال له: سأجعل عهدي بالنبوة والرسالة والملك على الأمم في نسل إسحق ـ عليه السلام ـ إذا مشوا بالدعوة إلى وكانوا قدوة في عمل الخير. فقال إبراهيم لله: وإسماعيل ولدي البكر. أتمنى أن تجعل العهد في نسله أيضاً. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركاً بين إسماعيل وإسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا ما قاله إبراهيم ـ عليه السلام ـ لله تعالى حسبما تنص التوراة. فإن فيها: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة».

وقد حمل بركة إسحق بالتوراة موسى ـ عليه السلام ـ وحمل بركة إسماعيل بالقرآن ـ محمد عليه السلام ـ وبيان ذلك:

١ - أن إسماعيل ـ عليه السلام ـ سكن مع أمه في برية فاران. وهي أرض مكة المكرمة ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية. وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر».

هذا هو مكان سكنى إسماعيل المبارك بالملك والنبوة.

٢ - وقد قسم موسى - عليه السلام - بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن:

(أ) سيناء: مكان نزول التوراة. (ب) وساعير: مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بني إسرائيل. (جـ) وفاران: مكان نزول القرآن. فقال في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتي من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».

وفي هذا النص بيان كثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال: «وأتى من ربوات القدس» وفي بعض التراجم: وأتي مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفي هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال: «جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» أي أن الصحابة الأجلاء في يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدميه: كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله: أي لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣ - وقد نبَّه يعقوب الذي هو إسرائيل بنيه حال موته على مجئ نبي السلام الذي متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله: «لايزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩:١٠].

والمعنى: لايزول الملك من بني إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بني إسرائيل، حتى يأتي «شيلون» نبي السلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض. وليس شيلون إلا محمد ﷺ لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤ - ولما كان موسى - عليه السلام - هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقي شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذين أحاط بهما وهما فوق الجبل، وقالوا لموسى - عليه السلام -: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته. فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله: أحسنوا في ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبياً مثلك وأجعل كلامي في فمه. أي سيكون نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبي الذي سيأتي مماثلاً لموسى هو محمد - عليه السلام - لأن الله قد بارك في إسماعيل - عليه السلام - وجعل له ملكاً ونبوة، كملك بني إسحق ونبوتهم فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بني إسحق كلهم: بنو إسرائيل. وبدأت من بني إسرائيل من موسى - عليه السلام - فإنه صاحب الشريعة. وكان رئيساً مطاعاً، وجاهد في سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة.

http://www.al-maktabeh.com

ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك. مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟

فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه» [تث١٨: ١٥-٢٢].

كيفية انطباق النبوة على محمد ﷺ:

أولاً: إن من أوصاف هذا النبي المنتظر: أن يكون نبياً. لا إلهاً. وقد زعم النصارى: أن أوصاف النبي الذي تتحدث عنه هذه النبوءة: تنطبق على عيسى - عليه السلام - وزعمهم باطل. لأن بعضهم يقول: إن عيسى إله. وبعضهم يقول: هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك والبروتستانت يقولون: إن عيسى هو الإله الثاني. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون: إن عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس في صورة بشر. وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وعن مذهب الأرثوذكس يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهذا مع ما في التوراة وما في الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شئ. ففي الأصحاح السادس من سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفي الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله في

مكتبة المهتدين الإسلامية

قوله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه» وقال: إن الله لم يره أحد. وحيث إن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لا يكون هو الله، لقوله: «الله لم يره أحد قط».

وفي نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل: شهادة يحيى - عليه السلام - الذي هو يوحنا المعمدان - بأنه ليس هو النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى في سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصراً لعيسى - عليه السلام - وكان وهو يدعوان اليهود لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبي المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى - عليهما السلام - يقول يوحنا: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر: أني لست أنا المسيح. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبي أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبي المشار إليه في سفر التثنية. وحيث إنهما معاً دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات - أي إن دعوتهما واحدة - فإن النبي المنتظر يكون آتياً من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه:

(أ) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرِز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤:١٧].

(ب) «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى٣:١-٢].

ثانياً: ومن أوصاف النبي المنتظر: أن يكون من إخوة بني إسرائيل. ولو كان هذا النبي من بني إسرائيل ما كان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث إن:

(أ) لإسماعيل بركة.

(ب) وأنه أخ لإسحق الذي هو جدهم.

فإن المراد من إخوتهم: أنه سيأتي من آل إسماعيل لأن لإسماعيل بركة. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن»

http://www.al-maktabeh.com

ثالثاً: ومن أوصافه المماثلة لموسى في الحروب والانتصار على الأعداء. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر في بني إسرائيل مثل موسى. وعليه فإن الآتي يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه. ففي الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل».

رابعاً: ومن أوصافه: أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد ـ عليه السلام ـ أما الأنبياء من موسى إلى محمد ـ عليه السلام ـ فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح فإنهم كتبوا أنه على دين موسى لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس»[متى٥:٧] .

وقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦] . فقد بيَّن أنه موافق على التوراة التي هي أمامه في عصره. ولقد كان الربانيون والأحبار يفسرون التوراة، ويضيفون على التفسير من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة. وأما عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه كان مفسراً لها ولم يكن محرماً ومحللاً من تلقاء نفسه كما كان يفعل الربانيون والأحبار. بل إنه ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠] من الربانيين والأحبار.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة:٤٧] . فإن معناه: وليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة، فإن في الإنجيل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» وفي الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى: قول عيسى ـ عليه السلام ـ : «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون».

مكتبة المهتدين الإسلامية

خامساً: ومن أوصافه: أن يكون نبياً أمياً غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامي في فمه».

سادساً: ومن أوصافه: أن يكون أميناً على الوحي الإلهي. وهذا مستفاد من قوله: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

سابعاً: ومن أوصافه: أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي. أنا أطالبه» أي الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامناً: ومن أوصافه: أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدعى النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة في سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله: «وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي» أي فيكون جزاؤه القتل.

تاسعاً: وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أي إذا ظهر من يقول إني أنا هو ذلك النبي. فكيف نعرف أنه صادق؟

فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهي: أنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقاً في دعوى النبوة.

وهذا مستفاد من قوله: «وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هي: «فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه».

عاشراً: أن يكون ملكا على بني إسرائيل والأمم. لقوله: «له تسمعون».

وقد ظهر مما تقدم: أن محمداً ﷺ مكتوب عنه في التوراة في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية مع المقارنة بالنصوص الأخرى الدالة على بركة إسماعيل ـ عليه السلام ـ ومكتوب عنه في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.

وظهر أن التوراة قد وصفت أصحابه بأنهم قديسون طاهرون، وأنهم لا يعصون رسول الله ولا يستكبرون عن طاعته. ففي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر

http://www.al-maktabeh.com

التثنية: «وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣: ٢-٣].

وقد جاء في القرآن الكريم عن صفات أتباع رسول الله ﷺ:

١ - أنهم يرثون الأرض. ليحكموا بالحق والعدل المنصوص عليهما في القرآن الكريم. فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

٢ - وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، فقد قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

٣ - وأنهم يكونون في بدء الإسلام جماعة صغيرة، ثم يكبرون. فقد قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذه الصفات مذكورة إلى اليوم في التوراة وفي الإنجيل، مع صفات أخرى لرسول الله محمد ﷺ تدل على أنه رحمة للعالمين.

مكتبة المهتدين الإسلامية

صفات أتباع الرسول ﷺ في التوراة والزبور والإنجيل

١ - فعن أن المسلمين يرثون الأرض إلى الأبد:

نذكر هذا النص من الزبور - وهو قد نزل بعد الذكر أي التوراة - بخمسمائة عام تقريباً: «لا تغر من الأشرار، ولا تحسد عمال الإثم، فإنهم مثل الحشيش، سريعاً يقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب، وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه، وهو يجري ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه، من الرجل المجري مكائد. كف عن الغضب واترك السخط، ولا تغر لفعل الشر، لأن عاملي الشر يقطعون، والذين ينتظرون الرب، هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير. لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر. القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب. الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون، لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعي. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفي. أما الصديق فيترأف ويعطي. لأن المباركين منه يرثون الأرض. والملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسَرُّ. إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مسند يده. أيضاً كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقاً تخلي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حدْ عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه، لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته. الرب لا يتركه في

http://www.al-maktabeh.com

يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه، فيرفعك، لترث الأرض، إلى انقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً، مثل شجرة شارقة ناضرة. تتميز فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فإن العقب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيبادون جميعاً. عقب الأشرار ينقطع أما خلاص الصديقين، فمن قبل الرب حصنهم في زمان الضيق، ويعينهم الرب وينجيهم، ينقذهم من الأشرار ويخلصهم، لأنهم احتموا به» [مزمور ٣٧].

٢ - وعن أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم:

في سفر المزامير - وهو من أسفار التوراة العبرانية -: «لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه» [المزمور ١٤٩].

٣ - وعن أنهم يكونون في بدء الإسلام جماعة صغيرة ثم يكبرون:

ففي إنجيل متى ومرقس ولوقا. ذكر عيسى ـ عليه السلام ـ أمثلة كثيرة لملكوت السموات ومنها هذا المثل المشار إليه في سورة الفتح في القرآن الكريم.

(أ) النص عند متى: «يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها» [متى ١٣: ٣١-٣٢].

(ب) النص عند مرقس: «وقال: بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأي مثل نمثله؟ مثل حبة خردل متى زرعت في الأرض فهي أصغر جميع البذور التي على الأرض، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصاناً كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» [مرقس ٤: ٣٠-٣٢].

(جـ) النص عند لوقا: «فقال: ماذا يشبه ملكوت الله؟ وبماذا أشبهه؟ أنه يشبه حبة خردل أخذها إنسان، وألقاها في بستانه، فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء في أغصانها» [لوقا ١٣: ١٨-١٩]

* * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

قول موسى لله:

«أظهر لي عبدك في سناء مجدك»

وعد الله بني إسرائيل بنبي (١) يأتي من بعد موسى عليه السلام. ويقول لهم ما يقوله الله له. ليعملوا به، ويتركوا شريعة موسى. وبين الله لهم: أنه سيكون صاحب عرش عظيم يلقى ربه الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق، في يوم الرب.

فلما سمع موسى بذلك النبأ؛ طلب من الله تعالى أن يريه مجد هذا النبي الأمي الآتي على مثاله. وهو يعلم أن مجده هو مجد الله نفسه؛ لأنه وهو متحدان في الهدف، ولأن الله هو الذي سيرسله لهداية العالم إليه. ففي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج:

«فقال: أرني مجدك. فقال: أجيز كل جودتي قدامك. وأنادي باسم الرب قدامك. وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم»

والرب: هو السيد. والسيد: هو النبي الأمي الآتي على مثال موسى. وذلك لأن الله قال في أوصافه: إن هذا النبي سيأتي باسم الله. وقال عنه داود عليه السلام إنه سيده في المزمور المائة والعاشر ذلك قوله: «قال الله لسيدي الملك...» وفي ترجمة: «قال الرب لربي...» أي الله لسيدي. وقال المسيح لبني إسرائيل إن النبي الآتي هو

---

(١) من كلام محمد بظهر الغيب «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجئ وأتراءى قدام الله؟ صارت لي دموعي خبزا، نهارا وليلا إذ قيل لي كل يوم: «أين إلهك»؟. هذه أذكرها فأسكب نفسي علي: لأني كنت أمر مع الجماع، أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد، جمهور معيد. لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين في؟ ارتجي الله، لأني بعد أحمده، لأجل خلاص وجهه.

يا إلهي نفسي منحنية فيّ. لذلك اذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعر. غمر ينادي غمرا عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت عليّ. بالنهار يوصي الرب رحمته وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزينا من مضايقة العدو. بسحق عظامي عيرني مضايقي بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟. لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيّ؟ ترجي الله لأني بعد أحمده. خلاص وجهي وإلهي» [مزمور ٤٢]

http://www.al-maktabeh.com

سيدكم. ذلك قوله: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم...» - «فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة الي يأتي فيها ابن الإنسان» وفي رواية لوقا: «فكونوا أنتم إذاً مستعدين؛ لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان»

وفي كلام موسى عن محمد ﷺ: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي، الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطالبه. وأما النبي الذي يُطغى؛ فيتكلم باسمي كلاما، لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي؛ فلا تخف منه»

تفسير المسيح «أظهر لي عبدك في سناء مجدك» بأنه مجد محمد ﷺ

نص توراة موسى وهو «أرني مجدك» ترجمه المسيح عيسى عليه السلام بقوله: «أظهر لي عبدك في سناء مجدك» والطبعة العربية كتبت «أظهر لعبدك» وهو خطأ مطبعي.

وهذا هو نص كلام المسيح:

«حينئذ قال الكاتب: عفوا يا معلم لأني قد أخطأت. قال يسوع: الله يغفر لك لأنك إليه قد أخطأت. فقال من ثم الكاتب: لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع الذي أوقف الشمس كما قد فعلت خادمي ونبيي الله. وهو كتاب موسى الحقيقي. ففيه مكتوب: أن إسماعيل هو أب لمسيا وإسحق أب لرسول مسيا. وهكذا يقول الكتاب: إن موسى قال: أيها الرب إله إسرائيل القدير الرحيم اظهر لي عبدك في سناء مجدك. فأراه الله من ثم رسوله على ذراعي إسماعيل وإسماعيل على ذراعي إبراهيم. ووقف على مقربة من إسماعيل إسحق، وكان على ذراعيه طفل يشير بإصبعه إلى رسول الله قائلا: هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شئ. فصرخ من ثم موسى بفرح: يا إسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة. اذكرني أنا عبد الله. لأجد نعمة في نظر الله بسبب ابنك الذي لأجله صنع الله كل شئ» [بر ١٩١]

مكتبة المهتدين الإسلامية

رأي اليهود في «أظهر لي عبدك...»

يقول اليهود: إنه من بعد موسى النبي بزمان طويل؛ ظهر رجل يهودي اسمه «يهوذا هناسي» وأرى الناس أحاديث نبوية. وقال: إنها مأثورة عن موسى النبي وكانت تتداول مشافهة حتى تتبعتها وكتبتها. فعظمه اليهود غاية التعظيم. وقالوا: إنه هو النبي الآتي الذي طلب موسى رؤية مجده، ففي كتاب التلمود الصادر عن الكنيسة المصرية ما نصه:

«ويرد في تقاليد اليهود عن هناسي: أن الله عندما أمر موسى بحمل الرسالة إلى الشعب. وكان قد فتح عينيه وكشف له المستقبل، فرأى أحد الأشخاص اللامعين المجدين. فسأل الله من عسى أن يكون هذا الشخص؟ فأعلمه الله: أنه يهوذا هناسي»

وفي الأناجيل الأربعة: أن المسيح عيسى عليه السلام قد ذم علماء اليهود الذين كانوا يلقبون الربي يهوذا هناسي بسيدنا الأعظم، وقال: إن التلمود ليس من كلام موسى، وأنه مكتوب لإبطال الشريعة. وعلى قول المسيح هذا؛ لا يكون التلمود كتابا صحيحا، ولا يكون يهوذا هناسي صاحب المجد المرتقب [1].

ففي الأصحاح السابع من إنجيل مرقس:

«واجتمع إليه الفَرِّيسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم. ولما رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون خبزا بأيد دنسة أي غير مغسولة؛ لاموا. لأن الفريسيِّين وكل اليهود إن

---

(١) من كلام محمد بظهر الغيب: «اقض لي يارب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلت بلا تقلقل. جربني يارب وامتحني. صف كليتي وقلبي. لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك. لم أجلس مع أناس السوء. ومع الماكرين لا أدخل. أبغضت جماعة الأئمة ومع الأشرار لا أجلس. أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يارب. لأسمع بصوت الحمد وأحدث بجميع عجائبك. يارب أحببت محل بيتك. وموضع مسكن مجدك.

لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي. الذين في أيديهم رذيلة ويمينهم ملآنة رشوة. أما أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني. ورجلي واقفة على سهل في الجماعة أبارك الرب» [مزمور ٢٧]

http://www.al-maktabeh.com

لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون. متمسكين بتقليد الشيوخ. ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون. وأشياء أخرى كثيرة تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة. ثم سأله الفريسيون والكتبة لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزا بأيد غير مغسولة؟ فأجاب وقال لهم: حسنا تنبأ إشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب: «هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا. وباطلا يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس» لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس. غسل الأباريق والكؤوس وأمورا أخر كثيرة مثل هذه تفعلون. ثم قال لهم حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم. لأن موسى قال: « أكرم أباك وأمك» و«من يشتم أبا أو أما فليمت موتا». وأما أنتم فتقولون: إن قال إنسان لأبيه أو أمه قربان أي هدية هو الذي تنتفع به مني. فلا تدعونه في ما بعد يفعل شيئا لأبيه أو أمه. مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه. وأمورا كثيرة مثل هذه تفعلون»

﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾

وفي القرآن الكريم: أن اليهود لما عبدوا العجل، وموسى فوق جبل سيناء؛ عاقبهم الله بأن يقتل بعضهم بعضا. توبة من الله. فوقع منهم نحو ثلاثة آلاف. فلما رأى موسى هذه المصيبة؛ تشفع فيهم بقوله: «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى: من أخطأ إليّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب؛ اهد الشعب إلى حيث كلّمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك. ولكن في يوم افتقادي؛ أفتقد فيهم خطيتهم» [خر ٣٢:٣٢ -]

إن موسى يقول لله تعالى: إذا أنت لم تغفر لليهود خطية عبادة العجل. فما هي الفائدة من نبوتي وقد أهلكتهم؟ وأنت قد اخترتهم من بين الشعوب ليعرفوا الشعوب بك، وليمهدوا الطريق للنبي الآتي مثلي. فإذا أنت أهلكتهم فمن يعرف بك؟ ومن يمهد الطريق للنبي الآتي؟ امحني من كتاب الأنبياء، وامح النبي الآتي أيضا. إذ لا فائدة من بعدهم لنا نحن الاثنين.

والمحو من الكتاب ضده الإثبات في الكتاب. وفي زبور داود يقول النبي الآتي لله

مكتبة المهتدين الإسلامية

بظهر الغيب: عداء اليهود لي أنت تعلمه. وعبر عنه بأساليب مجازية بديعة. وقال له: «في يوم خوفي أنا عليك أتكل» ـ «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء، في يوم أدعوك فيه» ـ «أوفي ذبائح شكراً لك؛ لأنك نجيت نفسي من الموت. نعم. ورجليّ من الزلق؛ لكي أسير قدام الله في نور الأحياء»

وقال النبي ﷺ لله: لتكن همومي من أجلك، واكتبها في كتابك. ولا تجعل همومي عند أعدائي «اجعل أنت دموعي في زِقك. أما هي في سِفرك»؟ أي في كتابك.

وقال عنه داود في المزمور المائة والتاسع والثلاثين أنه قال لله تعالى: «لم تختف عنك عظامي حينما صُنعت في الخفاء، ورُقمت في أعماق الأرض. رأت عيناك أعضائي، وفي سفرك كلها كُتبت يومَ تصورتْ. إذ لم يكن واحد منها»

يقول لله تعالى: إنني كنت عندك في البدء، في فكرك. كأني إنسان أعيش بين الناس. وأنت رأيت أعضائي وهي مصورة منذ بدء الخليقة. كما هو مكتوب: أن آدم لما طرد من الجنة رأى على بابها كتابة نصها: لا إله إلا الله. محمد رسول الله.

وأنت قد كتبتها في سفرك يوم تصورتها. ويوم تصورتها لم أكن مخلوقا بالجسم «إذ لم يكن واحد منها»

* * *

وقال الله لموسى: لن أمحوك من كتاب الأنبياء. ولا النبي الآتي على مثالك. ومن أخطأ إليّ في المستقبل وقت ظهور هذا النبي أمحوه من كتابي. أما من لم يخطئ، وقبله؛ فإن رحمتي سأكتبها له. وفي القرآن الكريم إشارة صريحة إلى كتاب الأنبياء وهي ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾

وقوله: «اذهب اهد الشعب إلى حيث كلمتك»

يعني به: اهدهم إلى أن رحمتي سأكتبها لمن يؤمن بهذا النبي الأمي. والدليل على هذا المعنى: قوله: «ولكن في يوم افتقادي؛ أفتقد فيهم خطيتهم» ويوم الافتقاد هو يوم ظهوره.

http://www.al-maktabeh.com

ولأن مدة شريعـة موسى هي المدة الأولى. ومدة شريعة الآتـي على مثاله هي المدة الآخرة. قال مـوسى لله تعالى: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا ﴾ في كتاب الأنـبياء ﴿ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ أي في مدة الشريعة الأولى ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي في مدة الشريعة الآتية مع النبي الأمي الآتي ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي اهتدينا.

وقد رد الله عليه بقوله: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ وهذا الرد قد جاء في التوراة عـقب قول مـوسى لله: «أظهر لي عـبـدك في سناء مجـدك» هكذا: «فقـال: أرني مجدك. فقال: أجيـز كل جودتي قدامك، وأنادي باسم الرب قدامك، وأتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم»

ومن عادة محرفي التوراة أنهم يفـرقون بين عناصر الموضوع بكلام هو في الموضوع لينسوا القارئ الغرض الأصلي من الموضوع. وقد كتبوا هذا الموضوع هكذا:

١ ـ نزل موسى من على الجبل. فرآهم يعبدون العجل

٢ ـ ألقى الألواح

٣ ـ أحرق العجل بالنار، وذراه على وجه الماء، وسقى بني إسرائيل

٤ ـ قتل الله منهم نحو ثلاثة آلاف رجل

٥ ـ قال موسى: إنني سأصعد إلى الله لأتشفع فيكم

٦ ـ وطلب غفران ذنوبهم. وإلا فامحني من كتابك

٧ ـ وأمرهم بالقتال في سبيل الله

٨ ـ وعمل موسى لنفسه خيمة

٩ ـ وطلب موسى من الله أن يسير أمام بني إسـرائيل ملاك يهديهم إلى طريق فتح البلاد. ووافق الله على طلبه.

١٠ ـ «فقال أرني مجدك» أي عرش النبي الآتي ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾

١١ ـ ثم أعطاه لوحين بدل اللوحين اللذين كـسرهما.

لغو بولس في «أظهر لي عبدك»

حول بولس هذه النبوءة العظيـمة إلى القضاء والقدر. وادعى أن الإنسـان مسير لا

مكتبة المهتدين الإسلامية

مخير. ليبعدها عن محمد ﷺ وهو يعلم أن التوراة فيها أن الإنسان مخير لا مسير. وقد صرح المسيح عيسى عليه السلام بمذهب الحرية. واستند في تصريحه على آية من التوراة. حرف بولس معناها إلى الجبر. وليس هذا هو موضع بيان هذا الموضوع. ويكفي أن نذكر نص كلام بولس وقد شرحناه في كتابنا «اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة»

نص كلام بولس:

«فماذا نقول. ألعل عند الله ظلما؟ حاشا. لأنه يقول لموسى: إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف. فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم. لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي ينادي باسمي في كل الأرض. فإذا هو يرحم من يشاء ويقسي من يشاء. فستقول لي: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته. بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله. ألعل الجبلة تقول لجابلها :لماذا صنعتني هكذا؟. أم ليس للخزّاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان؟. فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك. ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التي أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا. كما يقول في هوشع أيضا :«سأدعوا الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه: لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي». وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل: «وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص؛ لأنه متمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمرا مقضيا به على الأرض» وكما سبق إشعياء فقال: «لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة»

فماذا نقول؟ إن الأمم الذين لم يسعوا في إثر البر أدركوا البر. البر الذي بالإيمان. ولكن إسرائيل وهو يسعى في إثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس. فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة. كما هو مكتوب :«ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة. وكل من يؤمن به لا يخزى»

http://www.al-maktabeh.com

أما عن معنى الافتقاد:

فإنه يوم ظهور النبي الأمي المماثل لموسى؛ لأنه إذا ظهر يحرر اليهود من ذل الأجانب. ومن يكفر به من اليهود يأخذ عقابا مضاعفا. العقاب الأول هو عقاب عبّاد العجل. والعقاب الآخر هو هلاكهم على يديه في يوم الرب، في الأيام الأولى لظهوره. فزكريا عليه السلام لما وُلد له يحيى «امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا: مبارك الرب إله إسرائيل؛ لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه» [لو١:٦٨] أيضا تثنية ٣٢: ٣٥ وعاموس ١٣: ١٤ ورومية ٢: ٥و٦ ومعجزة إحياء عيسى عليه السلام لابن الأرملة تدل على ذلك أيضا. ونصها في إنجيل لوقا:

«في اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير. فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها: لا تبكي. ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال أيها الشاب: لك أقول: قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم ؛فدفعه إلى أمه. فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله. قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه»

افتقاد الله لشعبه:

لما عبدوا بنو إسرائيل العجل، وموسى على جبل طور سيناء، وطلبوا رؤية الله الذي أرسل موسى كأن الآيات التي أظهرها الله لهم لا تدل على وجوده؛ عاقبهم الله بقتل نحو ثلاثة آلاف. لما ندموا وتابوا. وقال لهم: «في يوم افتقادي؛ أفتقد فيهم خطيتهم» [خر٣٢: ٢٤] أي في يوم إظهاري محمدا لهم ليكلمهم بكلامي. سوف أنظر إلى الكافرين به منهم. وإنهم بكفرهم به يكونون مشبهين بالذين عبدوا العجل، ومقتدين بهم في رفض كلامي. ولذلك أضع على ذنوبهم ذنوب الذين عبدوا العجل. وأشدد عليهم العذاب.

فيوم الافتقاد هو اليوم الذي سيظهر فيه النبي الآتي على مثال موسى. وهو يوم يجب أن يفرح له اليهود؛ لأنه سيحررهم من عبودية الأجانب. وبالحرية يكون الله قد

مكتبة المهتدين الإسلامية

افتقدهم ورحمهم. ويدل على ذلك: أن عيسى عليه السلام لما ظهر في بني إسرائيل؛ مجّد اليهود الله قائلين: «قد قام فينا نبي عظيم؛ وافتقد الله شعبه» [لوقا٧:١٦] وسارة امرأة إبراهيم قد كانت عاقرا؛ فلما أراد الله لها أن تلد. عبر عن رحمته بها بقوله: «وافتقد الرب سارة» [تك ٢١:١] وبنو إسرائيل وهم في مصر كانوا تحت العبودية فلما أراد أن يحررهم من ذل فرعون، وأن يخرجهم من مصر ليجعل لهم ملكا. قال: «الرب افتقد بني إسرائيل» [خر ٤:٢١]

وقال عاموس النبي: إن عبّاد الأصنام يعاقبون مع بني إسرائيل يوم أن يعاقبهم على ذنوبهم «اسمعوا واشهدوا على بيت يعقوب. يقول السيد الرب إله الجنود. إن يوم معاقبتي إسرائيل على ذنوبه، أعاقب مذابح بيت إيل؛ فتقطع قرون المذبح وتسقط إلى الأرض» [عا ٣:١٣-١٤]

فإذا ظهر محمد ﷺ وافتقد الله شعبه كما قال: «ولكن في يوم افتقادي؛ أفتقد فيهم خطيتهم» فإنه سيضع ذنوب الذين عبدوا العجل على ذنوب الكافرين به. ويعطيهم عذابا مضاعفا. وهذا هو النص بتمامه:

في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج:

«فقال الرب لموسى اذهب انزل. لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال: لماذا يا رب يحمى غضبك. على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟. لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بحيث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟. ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك.

اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه. فانصرف موسى ونزل من

http://www.al-maktabeh.com

الجبل ولوحا الشهادة في يده. لوحان مكتوبان على جانبيهما. من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين.

وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه. فقال لموسى: صوت قتال في المحلة. فقال: ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة. بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسّرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل.

وقال موسى لهرون: ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة؟ فقال هرون: لا يحم غضب سيدي. أنت تعرف الشعب أنه في شر. فقالوا لي: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم: من له ذهب فلينتزعه ويعطني؛ فطرحته في النار؛ فخرج هذا العجل. ولما رأى موسى الشعب أنه مُعَرًى. لأن هرون كان قد عراه للهزء بين مقاوميه؛ وقف موسى في باب المحلة. وقال من للرب فإليّ. فاجتمع إليه جميع بني لاوي. فقال لهم: هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى: املأوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه. فيعطيكم اليوم بركة.

وكان في الغد أن موسى قال للشعب: أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة. فأصعد الآن إلى الرب لعلي أكفر عن خطيتكم. فرجع موسى إلى الرب. وقال: آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب. والآن إن غفرت خطيتهم. وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى: من أخطأ إلي أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهد الشعب إلى حيث كلمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك. ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم. فضرب الرب الشعب. لأنهم صنعوا العجل الذي صنعه هرون» [خر ٣٢]

مكتبة المهتدين الإسلامية

مشيئة الله:

تنص التوراة على أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وتنص على أنه قيد مشيئته وحكمه بقوانين أودعها في كونه، لا يغيرها أبد الدهر.

أ ـ أما أنه يفعل ما يشاء. ففي سفر إشعياء: «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى نطّقتك وأنت لم تعرفني؛ لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها؛ أن ليس غيري. أنا الرب وليس آخر. مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام. وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه» [إش ٤٥:٥ـ٧]

ب ـ وأما أنه قيّد مشيئته. ففي سفر التثنية: «إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء، ويأخذها لنا ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها، ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها. بل الكلمة قريبة منك جدا. في فمك وفي قلبك؛ لتعمل بها. انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر» [تثنية ٣٠:١١ـ١٥]

وفي التوراة أن الله يصنع كل شئ بحسب مشيئته. ومن ذلك: «إن إلهنا في السماء. كلما شاء؛ صنع» [مز ١١٥:٣] «وأن أفعل مشيئتك يا إلهي» [مز ٤٠:٨]

وفي القرآن الكريم نصوص على المشيئة المطلقة والمشيئة المقيدة. ومن ذلك: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ فقد أثبت المشيئة المطلقة. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ فقد أثبت المشيئة المطلقة ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ فقد أثبت المشيئة المطلقة. وعن تقييد المشيئة. يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وهو نفس معنى: «ولكن في يوم افتقادي؛ أفتقد فيهم خطيتهم» فقد أثبت مشيئة

http://www.al-maktabeh.com

مقيدة. معناها: عذاب بسبب خطايا. وضدها: رحمة بسبب طاعات.

الاعتقاد في يوم الرب:

وفي توراة موسى عن النبي الأمي الآتي على مثاله: أنه سيبيد اليهود الكافرين به في الأيام الأولى لظهوره. في معركة تسمى معركة الساعة، وتكون في يوم معروف بأنه يوم الرب؛ لأن الحرب لله. ومكان هذه المعركة منطقة «هَرْمَجَدُّون» في أرض فلسطين، ومن كلام أنبياء بني إسرائيل عن هلاك اليهود الكافرين في هذا اليوم: «اضربوا بالبوق في صهيون. صوتوا في جبل قدسي. ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام، يوم غيم وضباب. مثل البحر ممتدا على الجبال. شعب كثير وقوي لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضا بعده إلى سني دور فدور...» [يوئيل ٢]

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثاني
في
إمامة إبراهيم عليه السلام

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾

يقول[١] تعالى منبهًا على شرف إبراهيم خليله عليه السلام وأن الله تعالى جعله إمامًا للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي، ولهذا قال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم أي: اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي (فأتمهن) أي: قام بهن كلهن كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧] أي: وفي جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: بشرائع وأوامر ونواه، فإن الكلمات تطلق، ويراد بها الكلمات القدرية كقوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]

---

(١) من تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله

مكتبة المهتدين الإسلامية

وتطلق، ويراد بها الشرعية، كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: كلماته الشرعية، وهي إما خبر صدق، وإما طلب عدل إن كان أمرًا أو نهيًا، ومن ذلك هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، أي: قام بهن قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي: جزاء على ما فعل، كما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله الله للناس قدوة، وإمامًا يقتدى به ويحتذى حذوه.

وقد اختلف في تعيين الكلمات التى اختبر الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام، فروى عن ابن عباس في ذلك روايات، فقال عبد الرزاق، عن معمر عن قتادة قال ابن عباس: ابتلاه الله بالمناسك، وكذا رواه أبو إسحاق السبيعى عن التميمى عن ابن عباس.

وقال عبد الرزاق أيضًا، أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، قال: ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء، قال ابن أبي حاتم: وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبى والنخعى، وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك،

(قلت): وقريب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء، ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة». قال وكيع: انتقاص الماء يعنى الاستنجاء، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال: «الفطرة خمس: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط»، ولفظه لمسلم. وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أخبرنا ابن وهب، أخبرنى ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن ابن حنش بن عبد الله الصنعانى عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: عشر ست في الإنسان وأربع في المشاعر، فأما التي في الإنسان حلق العانة، ونتف الإبط، والختان وكان ابن هبيرة يقول: هؤلاء الثلاثة واحدة، وتقليم الأظفار وقص الشارب والسواك

http://www.al-maktabeh.com

وغسل يوم الجمعة، والأربعة التي في المشاعر: الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة. وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلى بهذا الدين أحد فقام به كله إلا إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قلت له: وما الكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات في براءة ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى آخر الآية، وعشر آيات في أول سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، و﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١] وعشر آيات في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخر الآية فأتمهن كلهن فكتبت له براءة، قال الله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧] هكذا رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند وهذا لفظ ابن أبي حاتم، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن، فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم، ومحاجته نمروذ في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافه، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله، وما ابتلى به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء، قال الله له: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] على ما كان من خلاف الناس وفراقهم.

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن، يعني البصري ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: ابتلاه بالكوكب فرضي عنه، وابتلاه بالقمر فرضي عنه، وابتلاه بالشمس فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه، وابتلاه بالختان فرضي عنه، وابتلاه بابنه فرضي عنه؛ وقال ابن جرير: أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع، أخبرنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول: أي والله لقد ابتلاه بأمر فصبر عليه، ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول، فوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفًا، وما كان من المشركين، ثم ابتلاه بالهجرة، فخرج من

مكتبة المهتدين الإسلامية

بلاده وقومه، حتى لحق بالشام مهاجرًا إلى الله، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة، فصبر على ذلك، وابتلاه بذبح ابنه والختان، فصبر على ذلك،

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عمن سمع الحسن يقول في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: ابتلاه الله بذبح ولده وبالنار وبالكوكب والشمس والقمر، وقال أبو جعفر ابن جرير: أخبرنا ابن بشار أخبرنا سلم بن قتيبة، أخبرنا أبو هلال عن الحسن ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، قال ابتلاه بالكوكب وبالشمس والقمر، فوجده صابرًا، وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فمنهن ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ومنهن ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ومنهن الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد بعث في دينهما؛ وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح، أخبرنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال الله لإبراهيم: إنى مبتليك بأمر فما هو؟ قال: تجعلنى للناس إمامًا؟ قال: نعم، قال: ومن ذريتى؟ قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال: تجعل البيت مثابة للناس؟ قال: نعم، قال: وأمنا؟ قال: نعم، قال: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك؟ قال: نعم، قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله؟ قال: نعم، قال ابن نجيح: سمعته عن عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره، وهكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: ابتلى بالآيات التى بعدها ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: الكلمات ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥] الآية، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية، قال: فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم، وقال السدي: الكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم ربه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

http://www.al-maktabeh.com

﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقال: القرطبي: وفي الموطأ وغيره، عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إبراهيم عليه السلام أول من اختتن وأول من ضاف الضيف، وأول من قلم أظفاره، وأول من قص الشارب، وأول من شاب فلما رأى الشيب، قال: ما هذا؟ قال: وقار، قال: يارب زدني وقارًا. وذكر ابن أبي شيبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال: أول من خطب على المنابر إبراهيم عليه السلام، قال غيره: وأول من برد البريد وأول من ضرب بالسيف، وأول من استاك، وأول من استنجى بالماء، وأول من لبس السراويل. وروي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي إبراهيم، وإن أتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم» (قلت): هذا حديث لا يثبت، والله أعلم. ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الأشياء من الأحكام الشرعية.

قال أبو جعفر بن جرير ما حاصله: أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر وجائز أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعين إلا بحديث أو إجماع، قال: ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له. قال: غير أنه قد روي عن النبى ﷺ في نظير معنى ذلك خبران أحدهما ما حدثنا به أبو كريب، أخبرنا راشد بن سعد، حدثني زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس قال: كان النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله، الذي وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨] إلى آخر الآية» قال: والآخر: ما حدثنا به أبو كريب، أخبرنا الحسن عن عطية، أخبرنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] قال: «أتدرون ما وفى؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «وفي عمل يومه أربع ركعات في النهار»

ورواه آدم في تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير به، ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين، وهو كما قال: فإنه لا يجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما، وضعفهما من وجوه عديدة،

مكتبة المهتدين الإسلامية

فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه، والله أعلم. ثم قال ابن جرير: ولو قال قائل: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهبًا لأن قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وسائر الآيات التى هى نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التى ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم، (قلت): والذي قاله أولا من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله لأن السياق يعطي غير ما قالوه، والله أعلم.

وقوله قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ﴾ قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لما جعل الله إبراهيم إمامًا سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته فأجيب إلى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم، والدليل على أنه أجيب إلى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في ذريته صلوات الله وسلامه عليه فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه؛ وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فقد اختلفوا في ذلك. فقال خصيف عن مجاهد في قوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: إنه سيكون في ذريتك ظالمون، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون لي إمام ظالم، وفي رواية: لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به. وقال سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمام ظالم يقتدى به.

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا مالك بن إسماعيل أخبرنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال أما من كان منهم صالحًا فأجعله إمامًا يقتدى به، وأما من كان ظالمًا فلا ولا نعمة عين. وقال سعيد بن جبير ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ المراد به المشرك لا يكون إمام ظالم، يقول لا يكون إمام مشرك، وقال ابن جريج عن عطاء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ومن ذريتى فأبي أن يجعل من ذريته إمامًا ظالمًا، قلت لعطاء ما عهده؟ قال أمره، وقال ابن أبي حاتم أخبرنا عمرو ابن ثور القيساري فيما كتب إلى أخبرنا الفريابى حدثنا إسماعيل حدثنا سماك بن

http://www.al-maktabeh.com

حرب عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال الله لإبراهيم إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي فأبي أن يفعل ثم قال ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا ينبغى أن يوليه شيئا من أمره وإن كان من ذرية خليله، ومحسن ستنفذ فيه دعوته وتبلغ له ما أراد من مسألته. وقال العوفي عن ابن عباس ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال يعني: لا عهد لظالم عليك في ظلمه أن تطيعه فيه، وقال ابن جرير حدثنا إسحاق أخبرنا عبدالرحمن بن عبد الله عن إسرائيل عن مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس قال ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال ليس للظالمين عهد وإن عاهدته أنقضه وروي عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك،

وقال الثورى عن هارون بن عنترة عن أبيه قال ليس لظالم عهد، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فآمن به وأكل وعاش، وكذا قال إبراهيم النخعى وعطاء وعكرمة، وقال الربيع بن أنس عهد الله الذي عهد إلى عباده دينه يقول لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣] يقول ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق، وكذا روى عن أبي العالية وعطاء ومقاتل بن حيان وقال جويبر عن الضحاك لا ينال طاعتى عدوّ لى يعصينى ولا أنحلها إلا وليا يطيعني. وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سعيد الأسدي، حدثنا سليم بن سعيد الدامغانى، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عن النبى ﷺ قال: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال لا طاعة إلا في المعروف، وقال السدى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يقول عهدى نبوتى - فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية، على ما نقله ابن جرير وابن أبي حاتم رحمهما الله تعالى

واختار ابن جرير أن هذه الآية وإن كانت ظاهرة في الخبر، أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالما، ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام، أنه سيوجد من

مكتبة المهتدين الإسلامية

ذريتك من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره. والله أعلم. وقال ابن خويز منداد المالكي: الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكما ولا مفتيا ولا شاهدا ولا راويا.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (١٢٥)﴾

قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى: يقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: لا يقضون فيه وطرًا، يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: مثابة للناس يقول يثوبون، رواهما ابن جرير. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يثوبون إليه ثم يرجعون، قال وروي عن أبي العالية وسعيد بن جبير، في رواية وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع بن أنس والضحاك نحو ذلك، وقال ابن جرير: حدثني عبد الكريم بن أبي عمير حدثني الوليد بن مسلم، قال: قال أبو عمرو يعني الأوزاعي، حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: لا ينصرف عنه منصرف، وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا، وحدثني يونس عن ابن وهب قال: قال ابن زيد ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه، وما أحسن ما قاله الشاعر في هذا المعنى أورده القرطبي:

جعل البيت مثابًا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

وقال سعيد بن جبير في الرواية الأخرى وعكرمة وقتادة وعطاء الخراساني ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي مجمعا ﴿وَأَمْنًا﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: أى أمنا للناس. وقال أبو جعفر الرازى: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ يقول وأمنا من العدو وأن يحمل فيه السلاح، وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يسبون، وروى عن مجاهد وعطاء والسدى وقتادة والربيع ابن أنس قالوا: من دخله كان آمنا.

ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا، من كونه مثابة للناس، أي جعله محلا تشتاق إليه

http://www.al-maktabeh.com

الأرواح، وتحن إليه، ولا تقضى منه وطرا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله تعالى، لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام، في قوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ويصفه تعالى بأنه جعله أمنا من دخله أمن، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه، فلا يعرض له، كما وصف في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] أى يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء، كما قال ابن عباس: لو لم يحج الناس هذا البيت، لأطبق الله السماء على الأرض، وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولا، وهو خليل الرحمن، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]

وفي هذه الآية الكريمة، نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده فقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو، فقال ابن أبي حاتم: أخبرنا عمرو بن شبة النميرى، حدثنا أبو خلف، يعني عبد الله بن عيسى، أخبرنا داود بن أبي هند عن مجاهد عن ابن عباس ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: مقام براهم الحرم كله وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك، وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج عن ابن جريج، قال: سألت عطاء عن ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فقال سمعت ابن عباس قال: أما مقام إبراهيم الذي ذكر ههنا، فمقام إبراهيم هذا الذي في المسجد، ثم قال: ومقام إبراهيم يعد كثيراً مقام إبراهيم الحج كله، ثم فسره لي عطاء فقال: التعريف وصلاتان بعرفة، والمشعر، ومنى، ورمى الجمار، والطواف بين الصفا والمروة، فقلت أفسره ابن عباس؟ قال لا. ولكن قال مقام إبراهيم الحج كله. قلت: أسمعت ذلك لهذا أجمع؟ قال: نعم سمعته منه. وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: الحجر مقام إبراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقال السدى: المقام الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه. حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره، وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصرى وقتادة والربيع بن أنس. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا الحسن بن محمد ابن الصباح، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج، عن جعفر بن محمد عن أبيه. سمع جابرًا يحدث عن حجة النبي ﷺ، قال: لما طاف النبي ﷺ، قال له عمر: هذا مقام أبينا؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقال عثمان بن أبي شيبة: أخبرنا أبو أسامة عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: قال عمر: قلت: يارسول الله هذا مقام خليل ربنا؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وقال ابن مردويه: أخبرنا دعلج بن أحمد، أخبرنا غيلان بن عبدالصمد، أخبرنا مسروق بن المرزبان، أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب، أنه مر بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله أليس نقوم بمقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقال ابن مردويه: أخبرنا على بن أحمد بن محمد القزوينى، أخبرنا على بن الحسين، حدثنا الجنيد، أخبرنا هشام بن خالد، أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر، قال: لما وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم، قال له عمر: يا رسول الله هذا مقام إبراهيم الذي قال الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾؟ قال: نعم، قال الوليد: قلت لمالك: هكذا حدثك واتخذوا؟ قال: نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب، وقد روى النسائى من حديث الوليد بن مسلم نحوه.

وقال البخارى: باب قوله ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ مثابة يثوبون يرجعون، حدثنا مسدد، أخبرنا يحيى عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربى في ثلاث أو وافقنى ربى في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل

http://www.al-maktabeh.com

الله آية الحجاب. قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن فقلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر، أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأنزل الله ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، وقال ابن أبي مريم: أخبرنا يحيى بن أيوب، حدثني حميد، قال: سمعت أنسا عن عمر رضى الله عنهما، هكذا ساقه البخاري ههنا، وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصرى، وقد تفرد عنه بالرواية البخاري من بين أصحاب الكتب الستة، وروى عنه الباقون بواسطة، وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال إسناد الحديث، وإنما لم يسنده لأن أبي أيوب الغافقى فيه شيء، كما قال الإمام أحمد فيه هو سيء الحفظ، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أخبرنا حميد عن أنس، قال: قال عمر رضى الله عنه: وافقت ربى عز وجل في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آيه الحجاب. واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، فنزلت كذلك، ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد، عن أنس عن عمر، أنه قال: وافقت ربى في ثلاث أو وافقنى ربى في ثلاث، فذكره. وقد رواه البخاري عن عمر وبن عون والترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وابن ماجه عن محمد بن الصباح، كلهم عن هشيم بن بشيربه. ورواه الترمذي أيضا عن عبد بن حميد، عن حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة والنسائى، عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة كلاهما، عن حميد وهو ابن تيرويه الطويل به. وقال الترمذى: حسن صحيح. ورواه على المدينى بن زريع، عن حميد به، وقال: هذا من صحيح الحديث وهو بصرى، ورواه الإمام مسلم بن حجاج في صحيحه بسند آخر ولفظ آخر، فقال: أخبرنا عقبة بن مكرم، أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، قال: وافقت ربى في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقال أبو حاتم الرازى: أخبرنا محمد ابن عبد الله الأنصارى، أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: وافقنى ربى في ثلاث أو وافقت ربى في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله لو حجبت النساء، فنزلت آية الحجاب، والثالثة: لما مات عبدالله بن أبىّ، جاء رسول الله ﷺ ليصلى عليه، قلت: يارسول الله تصلى على هذا الكافر المنافق؟ فقال: إيها عنك يا ابن الخطاب فنزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] وهذا إسناد صحيح أيضا، ولا تعارض بين هذا ولا هذا بل الكل صحيح ومفهوم العدد إذا عارضه منطوق قدم عليه، والله أعلم، وقال ابن جريج: أخبرنى جعفر عن محمد عن أبيه، عن جابر: أن رسول الله ﷺ رمل ثلاث أشواط ومشى أربعا حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين،

ثم قرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقال ابن جرير: حدثنا يوسف بن سلمان، أخبرنا حاتم بن إسماعيل، أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر، قال: استلم رسول الله ﷺ الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين، وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل، وروى البخارى بسنده عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن عمر يقول: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين، فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة، وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها، وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخارى، وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها،

ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية:

http://www.al-maktabeh.com

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة   على قدميه حافيـا غير ناعـل

وقد أدرك المسلمـون ذلك فيه كمـا قال عبدالله بن وهب: أخـبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب: أن أنس بن مالك حدثهم، قال: رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه، غير أنه أذهبـه مسح الناس بأيديهم، وقال ابن جرير: أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع، أخبـرنا سعيد عن قتادة ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه.

وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفتـه الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى، (قلت) وقد كان هذا المقام ملصقًا بجدار الكعبة قديمًا ومكـانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقـعة المستقلة هناك، وكان الخليل عليـه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعـه إلى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتـركه هناك ولهذا، والله أعلم، أمر بالصلاة هناك عند الفـراغ من الطواف، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشـدين الذين أمرنا باتباعهم، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر» وهو الذي نزل القرآن بوفـاته في الصلاة عنده، ولهذا لم ينكر ذلك أحد مـن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين،

قال عبد الرزاق عن ابن جريج: حدثنى عطاء من أصحابنا، قال: أول ما نقله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وقال عبـد الرزاق أيضًا عن معمر، عن حمـيد الأعرج، عن مجـاهد، قال: أول من أخر المقام إلـى موضعه الآن عـمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقال الحافظ أبو بكر أحـمد بن على بن الحسين البيهقى: أخـبرنا أبو الحسين بن الفضيل القطان، أخبرنا القاضى أبو بكر أحمد بن كـامل، حدثنا أبو إسماعيل محمد ابن إسمـاعـيل السلمى، حدثنا أبو ثابت، حدثنا الدراوردى عن هشـام بن عروة، عن أبيه، عن عائشـة رضي الله عنها: أن المقام كان زمـان رسول الله ﷺ، وزمان أبي بكر رضي الله عنه، ملتصقًا بالبـيت، ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا إسناد صحـيح مع ما تقـدم، وقال ابن أبي حـاتم: أخبرنا أبي أخـبرنا ابن أبي عـمر

مكتبة المهتدين الإسلامية

العدني قال: قال سفيان، يعني ابن عيينة وهو إمام المكيين في زمانه: كان المقام من سفع البيت على عهد رسول الله ﷺ، فحوله عمر إلى مكانه بعد النبي ﷺ وبعد قوله ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا، فرده عمر إليه، وقال سفيان: لا أدرى كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله، وقال سفيان لا أدرى أكان لاصقًا بها أم لا؟ فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه، والله أعلم، وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: أخبرنا ابن عمر وهو أحمد ابن محمد بن حكيم، أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام، أخبرنا آدم هو ابن أبي إياس في تفسيره، أخبرنا شريك عن إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد، قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام، فأنزل الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فكان المقام عند البيت، فحوله رسول الله ﷺ على موضعه هذا. قال مجاهد: وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن، هذا مرسل عن مجاهد، وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد: أن أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم، والله أعلم.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

قال الحسن البصري: قوله ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ قال: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس، ولا يصيبه من ذلك شيء، وقال ابن جريج: قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى أمرناه ،كذا قال: والظاهر أن هذا الحرف إنما عدى بإلى لأنه في معنى تقدمنا وأوحينا، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ قال: من الأوثان، وقال مجاهد وسعيد بن جبير ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ أن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس. قال ابن أبي حاتم، وروى عن عبيد

http://www.al-maktabeh.com

ابن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وقتادة ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أى بلا إله إلا الله من الشرك، وأما قوله تعالى: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ فالطواف بالبيت معروف وعن سعيد بن جبير أنه قال في قوله تعالى ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ يعني من أتاه من غربة ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين فيه،

وهكذا روي عن قتادة والربيع بن أنس، أنهما فسرا العاكفين بأهله المقيمين فيه، كما قال سعيد بن جبير، وقال يحيى القطان عن عبد الملك هو ابن أبي سليمان، عن عطاء في قوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ قال: من انتابه من الأمصار فأقام عنده وقال لنا ونحن مجاورون أنتم من العاكفين، وقال وكيع عن أبي بكر الهذلى، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: إذا كان جالسًا فهو من العاكفين، وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبي، أخبرنا موسى بن إسماعيل، أخبرنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، قال: قلنا لعبد الله ابن عبيد بن عمير: ما أرانى إلا مكلم الأمير أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام، فإنهم يجنبون ويحدثون. قال: لا تفعل، فإن ابن عمر سئل عنهم فقال: هم العاكفون. ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به، (قلت) وقد ثبت في الصحيح أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول ﷺ وهو عزب، وأما قوله تعالى: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فقال وكيع عن أبي بكر الهذلى، عن عطاء عن ابن عباس: والركع السجود، قال: إذا كان مصليا فهو من الركع السجود، وكذا قال عطاء وقتادة. قال ابن جرير رحمه الله: فمعنى الآية، وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتى للطائفين، والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك، ثم أورد سؤالا فقال: فإن قيل: فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه وأجاب بوجهين:

أحدهما أنه أمرهما بتطهيره مما كان يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والأوثان، ليكون ذلك سنة لمن بعدهما، إذ كان الله تعالى قد جعل إبراهيم إمامًا يقتدى به، كما قال عبد الرحمن بن زيد ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال: من الأصنام التى يعبدون التى كان المشركون يعظمونها (قلت) وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد

مكتبة المهتدين الإسلامية

ﷺ .

الجواب الثاني أنه أمرهما أن يخلصا بناءه لله وحده لا شريك له، فيبنياه مطهراً من الشرك والريب، كما قال جل ثناؤه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩] قال: فكذلك قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي ابنياه على طهر من الشرك بي والريب، كما قال السدي ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ ابنيا بيتي للطائفين، وملخص هذا الجواب أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به، والعاكفين عنده، والمصلين إليه من الركع السجود، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وقد اختلف الفقهاء أيهما أفضل الصلاة عند البيت أو الطواف به؟ فقال مالك رحمه الله، الطواف به لأهل الأمصار أفضل. وقال الجمهور: الصلاة أفضل مطلقًا، وتوجيه كل منهما يذكر في كتاب الأحكام، والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له، ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]

ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له إما بطواف أو صلاة، فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة: قيامها وركوعها وسجودها، ولم يذكر العاكفين لأنه تقدم ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين، واكتفي بذكر الركوع والسجود عن القيام، لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام، وفي ذلك أيضًا رد على من لا يحجه من أهل الكتابين اليهود والنصارى، لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل عظمته، ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللاعتكاف والصلاة عنده، وهم لا يفعلون شيئًا من ذلك، فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفعلون ما شرع الله له؟ وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما أخبر بذلك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

http://www.al-maktabeh.com

وتقدير الكلام إذاً: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي تقدمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴿أن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي طهراه من الشرك والريب، وابنياه خالصًا لله معقلاً للطائفين. والعاكفين والركع والسجود، وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية الكريمة، ومن قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] ومن السنة من أحاديث كثيرة من الأمر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك من صيانتها من الأذى والنجاسات وما أشبه ذلك. ولهذا قال عليه السلام «إنما بنيت المساجد لما بنيت له» وقد جمعت في ذلك جزءًا على حدة، ولله الحمد والمنة.

وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة، فقيل: الملائكة قبل آدم، روي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، ذكره القرطبي وحكى لفظه، وفيه غربة، وقيل: آدم عليه السلام، رواه عبد الرزاق عن ابن جريج، عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم: أن آدم بناه من خمسة أجبل: من حراء وطور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودي، وهذا غريب أيضًا. وروي عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة وعن وهب بن منبه: أن أول من بناه شيث عليه السلام، وغالب من يذكر هذه إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير: أخبرنا ابن بشار قال: أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي، أخبرنا سفيان عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاهها» وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار، عن بندار به، وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وعمرو بن الناقد كلاهما عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري،

وقال ابن جرير أيضًا: أخبرنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: حدثنا ابن إدريس، وأخبرنا أبو كريب، أخبرنا عبد الرحيم الرازي، قالا جميعًا: سمعنا أشعث عن نافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم كان عبد الله وخليله، وإني

مكتبة المهتدين الإسلامية

عبد الله ورسوله، وإن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت المدينة ما بين لابيتها: عضاهها وصيدها، لا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يقطع منها شجرة إلا لعلف بعير» وهذه الطريق غريبة ليست في شيء من الكتب الستة،

وأصل الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر، جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإنى عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه» ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر وفي لفظ «بركة مع بركة» ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان ـ لفظ مسلم، ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا قتيبة ابن سعيد، أخبرنا بكر بن مضر عن ابن الهاد، عن أبي بكر بن محمد، عن عبد الله ابن عمرو بن عثمان، عن رافع بن خديج، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإنى أحرم ما بين لابتيها» انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن قتيبة عن بكر ابن مضر به، ولفظه كلفظه سواء، وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: «التمس لى غلامًا من غلمانكم يخدمنى» فخرج بى أبو طلحة يردفنى وراءه، فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل، وقال في الحديث: ثم أقبل حتى إذا بدا له أُحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» فلما أشرف على المدينة قال: «اللهم إنى أحرم ما بين جبليها مثلما حرم به إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم» وفي لفظ لهما «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدهم» زاد البخاري يعني أهل المدينة

ولهما أيضًا عن أنس أن رسول الله ﷺ، قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة» وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، عن النبى ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة» رواه البخاري وهذا لفظه، ولمسلم ولفظه أن رسول الله ﷺ، قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإنى دعوت لها في صاعها ومدها بمثل ما دعا

http://www.al-maktabeh.com

به إبراهيم لأهل مكة» وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرامًا، وإني حرمت المدينة حرامًا ما بين مأزميها، أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين» الحديث، رواه مسلم،

والأحاديث في تحريم المدينة كثيرة، وإنما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم إبراهيم عليه السلام لمكة، لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة. وتمسك بها من ذهب إلى أن تحريم مكة إنما كان على لسان إبراهيم الخليل، وقيل: إنها محرمة منذ خلقت مع الأرض، وهذا أظهر وأقوى، والله أعلم.

وقد وردت أحاديث أخر تدل على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والأرض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول الله: إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال: «إلا الإذخر» وهذا لفظ مسلم، ولهما عن أبي هريرة نحو من ذلك،

ثم قال البخاري بعد ذلك: وقال أبان بن صالح، عن الحسن بن مسلم، عن صفية بنت شيبة: سمعت النبي ﷺ مثله، وهذا الذي علقه البخاري رواه الإمام أبو عبد الله بن ماجه عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن يونس ابن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن الحسن بن مسلم بن يناق، عن صفية بنت شيبة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يخطب عام الفتح، فقال: «يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة لا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا يأخذ لقطتها إلا منشد» فقال العباس: إلا الإذخر، فإنه للبيوت والقبور، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر» وعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: إئذن لي أيها الأمير أن أحادثك قولا

مكتبة المهتدين الإسلامية

قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به - إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب» فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًا بدم ولا فارا بخربة، رواه البخارى ومسلم وهذا لفظه.

فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام حرمها؛ لأن إبراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها، كما أنه قد كان رسول الله ﷺ مكتوبًا عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]،

وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره. ولهذا جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن بدء أمرك. فقال: «دعوة أبي إبراهيم عليه السلام، وبشرى عيسى ابن مريم، ورأت أمى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» أي أخبرنا عن بدء ظهور أمرك، كما سيأتي قريبًا إن شاء الله.

وقوله تعالى إخبارًا عن الخليل أنه قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أى من الخوف أى لا يرعب أهله، وقد فعل الله ذلك شرعًا وقدرًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقدمت الأحاديث في تحريم القتال به. وفي صحيح مسلم عن جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح» وقال في هذه السورة ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أى اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا وناسب هذا لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] وناسب هذا هناك لأنه، والله أعلم، كأنه وقع

http://www.al-maktabeh.com

دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة، ولهذا قال في آخر الدعاء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال: هو قول الله تعالى، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وهو الذي صوبه ابن جرير رحمه الله. قال:

وقرأ آخرون: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فجعلوا ذلك من تمام دعاء إبراهيم، كما رواه أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يقول ذلك قول إبراهيم، يسأل ربه أن من كفر فأمتعه قليلاً، وقال أبو جعفر عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ يقول، ومن كفر فأرزقه قليلاً أيضًا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال محمد ابن إسحاق: لما عزل لإبراهيم الدعوة على من أبي الله أن يجعل له الولاية انقطاعًا إلى الله ومحبته، وفراقًا لمن خالف أمره وإن كانوا من ذريته، حين عرف أنه كائن منهم ظالم لا يناله عهده بخبر الله له بذلك، قال الله تعالى: ومن كفر فإني أرزق البر والفاجر وأمتعه قليلاً، وقال حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس على قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾ قال ابن عباس: كان إبراهيم يحجرها في المؤمنين دون الناس فأنزل الله: ومن كفر أيضًا أرزقهم كما أرزق المؤمنين، أأخلق خلقًا لا أرزقهم؟ أمتعهم قليلاً ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير، ثم قرأ ابن عباس ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] رواه ابن مردويه، وروى عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضًا، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٧٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ

مكتبة المهتدين الإسلامية

غليظ﴾ [لقمان: ٢٣-٢٤] وقوله: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون (٣٣) ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون (٣٤) وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥] وقوله: ﴿ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ أي ثم الجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير، ومعناه أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير﴾ [الحج: ٤٨]

وفي الصحيحين «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعاقبهم» وفي الصحيح أيضا «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢] وقرأ بعضهم ﴿قال ومن كفر فأمتعه قليلا﴾ الآية، جعله من تمام دعاء إبراهيم وهى قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبي معناها، والله أعلم، فإن الضمير في قال: راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على إبراهيم، وهذا خلاف نظم الكلام، والله سبحانه هو العلام.

وأما قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ فالقواعد جمع قاعدة وهى السارية والأساس، يقول تعالى: واذكر يا محمد لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه، وهما يقولان ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ وحكى القرطبى وغيره عن أبي وابن مسعود أنهما كانا يقرآن ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾.

(قلت) ويدل على هذا قولهما بعده ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ الآية، فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما، كما روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكى عن وهيب بن الورد أنه قرأ ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا﴾ ثم يبكى ويقول: يا

http://www.al-maktabeh.com

خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك. وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين الخلص في قوله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ [المؤمنين: ٦٠] أي يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنين: ٦٠] أي خائفة أن ألا يتقبل منهم، كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة عن رسول الله ﷺ

وقال بعض المفسرين: الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم والداعي إسماعيل، والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان كما سيأتي بيانه. وقد روى البخاري ههنا حديثا سنورده ثم نتبعه بآثار متعلقة بذلك، قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن محمد، أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن عبد المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا ليعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفا إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى ليس فيه أنيس؟ ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: آلله أمرك بذا؟ قال: نعم: قالت: إذًا لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه، فقال ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] حتى بلغ ﴿يشكرون﴾

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى: رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا، فم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع

مكتبة المهتدين الإسلامية

مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ : «فلذلك سعى الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت «صه» ـ تريد نفسها ـ ثم تسمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف،

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ : «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينًا معينًا» قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن ههنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبرهم بالماء، فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء عندنا، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ : «فألفي ذلك أم إسماعيل وهى تحب الأنس» فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل ليطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه،

فلما جاء إسماعيل، كأنه أنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألنى كيف عيشنا؟ فأخبرته أننا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام، ويقول غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرنى أن أفارقك، فالحقي بأهلك، وطلقها وتزوج منهم بأخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على

http://www.al-maktabeh.com

امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله عز وجل، قال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم لدعا لهم فيه» قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألنى عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، وهو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرنى أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرنى بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولاً، ورواه ابن أبي حاتم عن أبي عبد الله ابنْ حماد الطبرانى، وابن جرير عن أحمد بن ثابت الرازي، كلاهما عن عبد الرزاق به مختصرًا.

ثم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، أخبرنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج إسماعيل وأم إسماعيل ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة، فوضعهما تحت دوحة ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى بلغوا كداء، نادته من ورائه: يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قال:

مكتبة المهتدين الإسلامية

فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها، حتى لما فني الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلى أحس أحدًا، فصعدت الصفا، فنظرت هل تحس أحدًا، فلم تحس أحدًا فلما بلغت الوادى سعت حتى أتت المروة وفعلت ذلك أشواطًا حتى أتمت سبعًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي، فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا فلم تحس أحدًا فلما بلغت الوادى سعت حتى أتت المروة فجعلت ذلك أشواطًا حتى أتمت سبعًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي، فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها،

فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا حتى أتمت سبعًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هى بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل عليه السلام، قال: فقال بعقبه: هكذا، وغمز عقبه على الأرض، فانبثق الماء، فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفر، قال: فقال أبو القاسم ﷺ : «لو تركته لكان الماء ظاهرًا» قال: فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها، قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادي، فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم، فنظر فإذا هو بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتوا إليها،

فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك ونسكن معك؟ فبلغ ابنها ونكح منهم امرأة، قال: ثم إنه بدا لإبراهيم ﷺ فقال لأهله: إنى مطلع تركتي، قال: فجاء فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ قالت امرأته: ذهب يصيد، قال: قولى له إذا جاء: غير عتبة بابك، فلما أخبرته، قال: أنت ذاك فاذهبي إلى أهلك، قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال، ما طعامكم، وما شرابكم؟ فقالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال: فقال أبو القاسم ﷺ «بركة بدعوة إبراهيم، قال: ثم إنه بدا لإبراهيم ﷺ فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له،

http://www.al-maktabeh.com

فقال: يا إسماعيل، إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا: فقال: أطع ربك عز وجل، قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه، فقال: إذن أفعل ـ أو كما قال ـ قال: فقام فجعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة، فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ هكذا رواه من هذين الوجهين في كتاب الأنبياء.

والعجب أن الحافظ أبا عبد الله الحاكم رواه في كتابه المستدرك عن أبي العباس الأصم عن محمد بن سنان القزاز عن أبي على عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن إبراهيم بن نافع به، وقال، صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال، وقد رواه البخارى كما ترى من حديث إبراهيم بن نافع، وكأن فيه اختصاراً فإنه لم يذكر فيه شأن الذبح،

وقال جاء في الصحيح أن قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة، وقد جاء أن إبراهيم عليه السلام كان يزور أهله بمكة على البراق سريعًا ثم يعود إلى أهله بالبلاد المقدسة، والله أعلم، إنما فيه مرفوع أماكن صرح بها ابن عباس عن النبى ﷺ.

وقد ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب في هذا السياق ما يخالف بعض هذا، كما قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: أخبرنا مؤمل، أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن على بن أبي طالب، قال: لما أمر إبراهيم ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر، قال: فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه قال: يا إبراهيم، ابن على ظلى، أو قال: على قدرى، ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر، فقالت هاجر: يا إبراهيم، إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: انطلق فإنه لا يضيعنا، قال: فعطش إسماعيل عطشًا شديدًا، قال فصعدت هاجر إلى الصفا، فنظرت فلم تر شيئًا، حتى أتت المروة فلم تر شيئًا، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئًا، ففعلت ذلك سبع مرات،

فقالت: يا إسماعيل مت حيث لا أراك، فأتته وهو يفحص برجله من العطش،

مكتبة المهتدين الإسلامية

فناداها جبريل فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم، قال: فإلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله، قال: وكلكما إلى كاف، قال: ففحص الغلام الأرض بأصبعه، فنبعت زمزم فجعلت تحبس الماء، فقال: دعيه فإنها رواء، ففي هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقها، وقد يحتمل أنه كان محفوظًا أن يكون أولا وضع له حوطًا وتحجيرًا لا أنه بناه إلى أعلاه، حتى كبر إسماعيل فبنياه معًا كما قال الله تعالى.

ثم قال ابن جرير: أخبرنا هناد بن السرى، حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة: أن رجلاً قام إلى علي رضي الله عنه، فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال: لا، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان أمنًا، وإن شئت أنبأتك كيف بنى: إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتًا في الأرض، فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا فأرسل الله السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطورت على موضع البيت كطى الحجفة، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فبنى إبراهيم وبقي الحجر

فذهب الغلام يبغي شيئًا، فقال إبراهيم: أبغني حجرًا كما آمرك، قال: فانطلق الغلام يلتمس له حجرًا فأتاه به فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه، قال: يا أبت من أتاك بهذا الحجر؟ قال: أتاني به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأتماه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقرى، أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار، قال: كان البيت غثاءة على الماء قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين عامًا، ومنه دحيت الأرض. قال سعيد: وحدثنا علي بن أبي طالب: أن إبراهيم أقبل من أرض أرمينية ومعه السكينة تدله على تبوء البيت كما تتبوأ العنكبوت بيتًا، قال: فكشفت عن أحجار لا يطيق الحجر إلا ثلاثون رجلاً، فقلت: يا أبا محمد فإن الله يقول ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: كان ذلك بعد، وقال السدى: إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يبنى البيت هو وإسماعيل، ابنيا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود.

http://www.al-maktabeh.com

فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت، فبعث الله ريحًا يقال لها الريح الخجوج، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكشف لهما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن، قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني، اطلب لي حجرًا حسنًا أضعه ههنا. قال: يا أبت إني كسلان لغب، قال: عليّ بذلك، فانطلق يطلب له حجرًا فجاءه بحجر فلم يرضه فقال: ائتنى بحجر أحسن من هذا فانطلق يطلب له حجرًا، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند، وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة، وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن، فقال: يا أبت من جاءك بهذا؟ قال: جاء به من هو أنشط منك، فبينا وهما يدعوان الكلمات التى ابتلى إبراهيم ربه، فقال ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

وفي هذا السياق ما يدل على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم، وإنما هدى إبراهيم إليها وبوئ لها، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون، كما قال الإمام عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ قال، القواعد التى كانت قواعد البيت قبل ذلك، وقال عبد الرزاق أيضًا: أخبرنا هشام بن حسان عن سوار ختن عطاء، عن عطاء بن أبي رباح، قال: لما أهبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، يسمع كلام أهل السماء ودعاؤهم يأنس إليهم، فهابت الملائكة حتى شكت إلى الله في دعائها وفي صلاتها، فخفضه الله تعالى إلى الأرض، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش، حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته، فوجه إلى مكة فكان موضع قدميه قرية، وخطوه مفازة، حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام فبناه، ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾

وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج عن عطاء، قال: قال آدم: إنى لا أسمع

مكتبة المهتدين الإسلامية

أصوات الملائكة، فقال: بخطيئتك، ولكن اهبط إلى الأرض فابن لي بيتًا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتى الذي في السماء فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل: من حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي، وكان ربضه من حراء، فكان هذا بناء آدم حتى بناه إبراهيم عليه السلام بعد، وهذا صحيح إلى عطاء ولكن في بعضه نكارة، والله أعلم.

وقال عبد الرزاق أيضًا أخبرنا معمر عن قتادة، قال: وضع الله البيت مع آدم حين أهبط الله آدم إلى الأرض، وكان مهبطه بأرض الهند، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعًا، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم، فشكا ذلك إلى الله عز وجل، فقال الله: يا آدم أهبطت لك بيتًا تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلى عنده كما يصلى عند عرشي، فانطلق إليه آدم، فخرج ومد له في خطوه، فكان بين كل خطوتين مفازة، فلم تزل تلك المفازة بعد ذلك، فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء.

وقال ابن جرير: أخبرنا ابن حميد، أخبرنا يعقوب العمنى، عن حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت، وقال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم: أن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام، وخرج معه إسماعيل وأمه هاجر وإسماعيل طفل صغير يرضع، وحملوا فيما حدثنى على البراق، ومعه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم، خرج معه جبريل، فكان لا يمر بقرية إلا قال: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه، حتى قدم به مكة، وهى إذ ذاك عضاه وسلم وسمر، وبها أناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة، فقال إبراهيم لجبريل: أهنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشا، فقال ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وقال عبد الرزاق: أخبرنا هشام بن حسان، أخبرنى حميد، عن مجاهد، قال:

http://www.al-maktabeh.com

خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئًا بألفي سنة، وأركانه في الأرض السابعة، وكذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: القواعد في الأرض السابعة، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، أخبرنا عمرو بن رافع أخبرنا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد، عن علياء بن أحمر: إن ذا القرنين قدم مكة، فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل. فقال: ما لكما ولأرضي؟ فقال: نحن عبدان مأموران، أمرنا ببناء هذه الكعبة. قال: فهاتا البينة على ما تدَّعيان. فقامت خمسة أكبش فقلن: نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة. فقال: قد رضيت وسلمت، ثم مضى، وذكر الأزرقي في تاريخ مكة أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام بالبيت، وهذا يدل على تقدم زمانه، والله أعلم.

وقال البخاري رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ الآية، القواعد: أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء واحدتها قاعدة. حدثنا إسماعيل: حدثني مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا على قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال «لولا حدثان قومك بالكفر» فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام، وقد رواه في الحج عن القعنبي، وفي أحاديث الأنبياء عن عبد الله بن يوسف ومسلم، عن يحيى بن يحيى، ومن حديث ابن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك به. ورواه مسلم أيضًا من حديث نافع قال: سمعت عبد الله بن أبي بكر ابن أبي قحافة، يحدث عبد الله ابن عمر عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية أو قال: بكفر - لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الحجر»

وقال البخاري: أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأسود، قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة تسر إليك حديثًا كثيراً، فما حدثتك في الكعبة؟ قال: قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ «يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم ـ فقال ابن الزبير ـ بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: بابًا يدخل منه الناس، وبابًا يخرجون منه» ففعله ابن الزبير، انفرد بإخراجه البخاري فرواه هكذا في كتاب العلم من صحيحه، وقال مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو معاوية عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ «ولولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشًا حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفًا» قال: وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب، قالا: أخبرنا ابن نمير عن هشام بهذا الاسناد انفرد به مسلم، قال: وحدثني محمد بن حاتم، حدثني ابن مهدى، أخبرنا سليم بن حيان عن سعيد يعني ابن ميناء، قال: سمعت عبدالله بن الزبير يقول: حدثتنى خالتي، يعنى عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبى ﷺ «يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض، ولجعلت لها بابًا شرقيًا، وبابًا غربيًا، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشًا اقتصرتها حيث بنت الكعبة» انفرد به أيضًا.

ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بمدد طويلة،وقبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين

وقد نقل معهم في الحجارة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين. قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: ولما بلغ رسول الله ﷺ خمس وثلاثون سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضمًا فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرًا سرقوا كنز الكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى بني مليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده، ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها.

http://www.al-maktabeh.com

وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم تتشدق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت وكشت وفتحت فاها، فكانوا يهابونها، فبينا هي يومًا تتشدق على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائرًا فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرًا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس،

قال ابن إسحاق: والناس ينتحلون هذا الكلام للوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، قال: ثم إن قريشًا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود، والركن اليماني لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة، لبنى جمح وسهم، وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ولبني عدي ابن كعب بن لؤي وهو الحطيم، ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضًا، قال: فحدثني بعض من يروي الحديث: أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضًا أحدهما، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، يعنى الحجر الأسود، فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتخالفوا وأعدوا

مكتبة المهتدين الإسلامية

للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا «لعقة الدم» فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلهم، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد. فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ: هلم إلى ثوبًا، فأتى به فأخذ الركن، يعنى الحجر الأسود، فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل الوحى الأمين.

قال ابن إسحاق: وكانت الكعبة على عهد النبى ﷺ ثمانية عشر ذراعًا، وكانت تكسى القباطى، ثم كسيت بعد البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف، (قلت) ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية، لما حاصروا ابن الزبير، فحينئذ نقضها ابن الزبير إلى الأرض وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام، وأدخل فيها الحجر، وجعل لها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا ملصقين بالأرض كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج، فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك، كما قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: أخبرنا هناد بن السري، أخبرنا ابن أبي زائدة، أخبرنا ابن أبي سليمان عن عطاء، قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم، يريد أن يحزبهم أو يجيرهم على أهل الشام،

فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس، أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها، أو أصلح ما وهى منها؟ قال ابن عباس: فإنى قد خرق لى رأى فيها، أرى أن تصلح ما وهي منها، وتدع بيتًا أسلم الناس عليه، وأحجارًا أسلم الناس عليها،

http://www.al-maktabeh.com

ويعث عليها ﷺ، فقال ابن الزبير: لو كان أحدهم احترق بيته ما رضي حتى يجدده، فكيف بيت ربكم عز وجل؟ إني مستخير ربي ثلاثًا، ثم عازم على أمري، فلما مضت ثلاث، أجمع رأيه على أن ينقضها فتحاماها الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء، حتى صعده رجل فألقى منه حجارة، فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول إن النبي ﷺ قال «لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع، ولجعلت له بابًا يدخل الناس منه، وبابًا يخرجون منه» قال: فأنا أجد ما أنفق، ولست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى له أسًا، فنظر الناس إليه، فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعًا فلما زاد فيه استقصره فزاد في أوله عشرة أذرع وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه.

فلما قتل ابن الزبير، كتب الحجاج إلى عبد الملك يستجيزه بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء، أما ما زاده في طوله فأقره، وأما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه، فنقضه وأعاده إلى بنائه، وقد رواه النسائي في سننه عن هناد، عن يحيى بن أبي زائدة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن الزبير عن عائشة بالمرفوع منه، ولم يذكر القصة وقد كانت السنة إقرارًا لما فعله عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما، لأنه هو الذي وده رسول الله ﷺ، ولكن خشي أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالإسلام وقرب عهدهم من الكفر، ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان، ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله ﷺ: قال: وددنا أنا تركناه وما تولى،

كما قال مسلم: حدثني محمد بن حاتم، حدثنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج: سمعت عبد الله بن عبيد ابن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال عبد الله ابن عبيد: وفد الحارث بن عبد الله على عبد

مكتبة المهتدين الإسلامية

الملك بن مروان في خلافته، فقال عبد الملك: ما أظن أبا خبيب، يعنى ابن الزبير، سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها، قال الحارث: بلى، أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ «إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلمي لأريك ما تركوه منه» فأراها قريبًا من سبعة أذرع، هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير، وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبي ﷺ: «ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض: شرقيًا وغربيًا، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها»؟ قالت: لا. قال «تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط»

قال عبد الملك: فقلت للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم، قال فنكت ساعة بعصاه، ثم قال: وددت أني تركته وما تحمل. قال مسلم: وحدثناه محمد بن عمرو ابن جبلة، حدثنا أبو عاصم (ح)، وحدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق كلاهما عن ابن جريج بهذا الإسناد مثل حديث أبي بكر، قال: وحدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حاتم ابن أبي صغيرة عن أبي قزعة: أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ «يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة حتى أزيد فيها من الحجر. فإن قومك قصروا في البناء» فقال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فإني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا. قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بني ابن الزبير،

فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة، لأنه قد روى عنها من طرق صحيحه متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير، فلو ترك لكان جيدًا.

ولكن بعدما رجع الأمر إلى هذا الحال، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم

http://www.al-maktabeh.com

الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير. فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها، فترك ذلك الرشيد، نقله عياض والنووى ولا تزال ـ والله أعلم ـ هكذا إلى آخر الزمان، إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» أخرجاه،

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ «كأنى به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً» رواه البخارى، وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحرانى، أخبرنا محمد بن سلمة عن ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله» ـ الفدع: زيغ بين القدم وعظم الساق ـ وهذا، والله أعلم، إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج، لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

وقوله تعالى حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قال ابن جرير: يعنيان بذلك واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، ولا نشرك معك في الطاعة أحدًا سواك، ولا في العبادة غيرك، وقال ابن حاتم: أخبرنا أبي، أخبرنا إسماعيل عن رجاء بن حبان الحصني القرشي، أخبرنا معقل بن عبد الله عن عبد الكريم ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال: مخلصين لك، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ قال: مخلصة، وقال أيضًا: أخبرنا علي بن الحسين، أخبرنا المقدمى، أخبرنا سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ قال: كانا مسلمين، ولكنهما سألاه الثبات. وقال عكرمة ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال الله: قد فعلت، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ قال الله: قد فعلت. وقال السدي ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ يعنيان العرب. قال ابن جرير: والصواب أنه يعم العرب وغيرهم، لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ

يعدلون﴾ [الأعراف: ١٥٩]،

(قلت) وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي، فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم، والسياق إنما هو العرب، ولهذا قال بعده ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]. والمراد بذلك محمد ﷺ، وقد بعث فيهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغير ذلك من الأدلة القاطعة، وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبرنا الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]

وهذا القدر مرغوب فيه شرعًا، فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له. ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وهو قوله ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [ابراهيم: ٣٥] وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ، أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قال: ابن جرير عن عطاء ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أخرجها لنا علمناها، وقال مجاهد ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ مذابحنا.

وروي عن عطاء أيضًا وقتادة نحو ذلك. وقال سعيد بن منصور: أخبرنا عتاب بن بشير عن خصيف، عن مجاهد، قال: قال إبراهيم ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ فأراه جبرائيل فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد، فرفع القواعد وأتم البنيان ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا، قال: هذا من شعائر الله، ثم انطلق به إلى المروة، فقال: وهذا من شعائر الله، ثم انطلق به نحو منى، فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال: كبر وارمه، فكبر ورماه، ثم فانطلق إبليس فقام عند الجمرة الوسطى، فلما جاز به جبريل وإبراهيم قال له: كبر وارمه، فكبر ورماه، فذهب الخبيث إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئًا، فلم يستطع، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى

http://www.al-maktabeh.com

به المشعر الحرام، فقال: هذا المشعر الحرام، فأخذ بيد إبراهيم وأتى به عرفات، قد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاث مرات، قال: نعم. وروى عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك، وقال أبو داود الطيالسي: أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي العاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، قال: إن إبراهيم لما أري أوامر المناسك، عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه إبراهيم ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى، قال: هذا مناخ الناس، فلما انتهى إلى جمرة العقبة تعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أتى به إلى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فأتى به جميعًا، فقال: هذا المشعر، ثم أتى به عرفة، فقال: هذه عرفة، فقال له جبريل: أعرفت؟.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾

يقول تعالى إخبارًا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، أى من ذرية إبراهيم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولاً في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن، كما قال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمى، عن العرباض بن سارية، قال: قال رسول الله ﷺ «إنى عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بى، ورؤيا أمى التى رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»

وكذلك رواه ابن وهب والليث وكاتبه عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد به، وقال الإمام أحمد أيضًا: أخبرنا أبو النضر، أخبرنا الفرج، أخبرنا لقمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت يا رسول الله: ما كان أول بدء أمرك؟ قال «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي. ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام، ولم يزل ذكره في الناس مذكورًا مشهورًا سائرًا حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بنى إسرائيل نسبًا، وهو عيسى ابن مريم عليه السلام،

مكتبة المهتدين الإسلامية

حيث قام في بني إسرائيل خطيبًا، وقال ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ولهذا قال في هذا الحديث: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ابن مريم. وقوله: ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، قيل كان منامًا رأته حين حملت به، وقصته على قومها، فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة، وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام،

ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وفي صحيح البخاري «وهم بالشام» قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ يعني أمة محمد ﷺ، فقيل له: قد استجيب لك، وهو كائن في آخر الزمان، وكذا قال السدي وقتادة، وقوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني السنة، قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم، وقيل: الفهم في الدين، ولا منافاة، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني طاعة الله وقال محمد بن إسحاق ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال الخير فيفعلوه والشر فيتقوه، ويخبرهم برضا الله عنهم إذا أطاعوه ليستكثروا من طاعته ويجتنبوا ما يسخطه من معصيته، وقوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها لعلمه وحكمته وعدله.

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثالث
في
كعبة أصحاب الفيل

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

* * *

قوله تعالى[1]: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تُخبَر. وقيل: ألَمْ تَعْلَم. وقال ابن عباس: ألَمْ تسمع؟ واللفظ استفهام، والمعنى تقرير. والخطاب للنبيِّ ﷺ، ولكنه عام؛ أي ألم تَرَوْا ما فعلتُ بأصحاب الفيل؛ أي قد رأيتم ذلك، وعرفتم موضع مِنَّتي عليكم، فما لكم لا تؤمنون؟ و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ «فَعَلَ ربُّك» لا بـ «ألم تر كيف» من معنى الاستفهام.

الثانية: قوله تعالى: ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الفيل معروف، والجمع أفيال: وفُيول، وفِيَلَة. قال ابن السكيت: ولا تقل أفيلة. [والأنثى فِيلة][2] وصاحبه[3] فَيَّال. قال سيبويه: يجوز أن يكون أصل فِيل فُعْلا، فكُسِر من أجل الياء؛ كما قالوا: أبيض وبيض. وقال الأخفش: هذا لا يكون في الواحد، إنما يكون في الجمع. ورجل فيل الرأي، أي ضعيف الرأي، والجمع أفيال. ورجل فال؛ أي ضعيف الرأي، مخطئ الفِراسة. وق قال الرأي يَفِيل فُيولة، وفَيَّل رأيه تفييلا: أي ضعفه، فهو فَيِّل الرأي.

(١) من تفسير القرطبي

(٢) من تتمة ابن السكيت.

(٣) في اللسان: «وصاحبها».

مكتبة المهتدين الإسلامية

الثالثة: في قصة أصحاب الفيل؛ وذلك أن (أبرهة) بنى القُلَّيس بصنعاء وهي كنيسة لم يُرَ مِثلها في زمانها بشيء من الأرض، وكان نصرانيا، ثم كتب إلى النجاشيّ: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْن مثلها لملِك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرِف إليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ، غضب رجل من النَّسَأة (١)،

فخرج حتى أتى الكنيسة، فقعد فيها ـ أي أحدث ـ ثم خرج فلحق بأرضه؛ فأُخبِر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت، الذي تحج إليه العرب بمكة، لما سمع قولك: «أصرِف إليها حَجَّ العرب» غضب، فجاء فقعد فيها. أي أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرَن إلى البيت حتى يهدمه، وبعث رجلا كان عنده إلى بني كنانة (٤) يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة؛ فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل؛ فزاد أبرهة ذلك غضبا وحَنَقا، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت،

ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام. فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فهُزِم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأُتِي به أسيرا؛ فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي؛ فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما. ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك، يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَمَ عرض له نفَيْل بن حبيب الخَثْعَميّ في قبيلتي خثعم: شهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب؛ فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخِذَ له نُفيل أسير؛ فأُوتي

---

(١) في سيرة ابن هشام: «من النسأة أحد بني فقيم بن عديّ... والنسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلون الشهر من أشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر؛ ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾. (راجع سيرة ابن هشام طبع أوربا ص ٢٩).

http://www.al-maktabeh.com

به،

فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران وناهس، بالسمع والطاعة؛ فخلي سبيله. وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعتِّب في رجال من ثقيف، فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك؛ سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات -[١] - إنما تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث معك من يَدُلُّك عليه؛ فتجاوز عنهم. وبعثوا معه أبا رغال، حتى أنزله المغمَّس[٢] فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فَرجَمت قبره العرب؛ فهو القبر الذي يرجمُ الناسُ بالمغمس، وفيه يقول الشاعر:

وأرجُمُ قَبَره في كل عامٍ ... كرجم الناس قبر أبي رِغالِ

فلما نزل أبرهة بالمغمس، بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود[٣] على خيل له، حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها؛ فهمَّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله؛ ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد[٤] وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تَعْرضوا لي بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم؛ فإن هو لم يُرد حربي

(١) في سيرة ابن هشام: «واللات: بيت لهم بالطائف، كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة».

(٢) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

(٣) كذا في بعض نسخ الأصل وتفسير الثعلبي وتاريخ الطبري (قسم أوّل ص ٩٣٧ طع أوربا) وتاريخ ابن الأثير (جـ ١ ص ٣٢١ طبع أوربا).

وفي بعض الأصول: تفسير الطبري وسيرة ابن هشام (ص ٣٣ طبع أوربا): «مفصود» بالفاء، بدل القاف.

(٤) في هامش نسخة: «عن سيد هذا البيت».

مكتبة المهتدين الإسلامية

فأتني به. فلما دخل حُناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم؛ فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة؛ فقال له: عبد المطلب: والله ما نريد حربه، ومالنا بذلك منه طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم - عليه السلام - أو كما قال، فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته، وإن يحل بينه وبينه، فوالله ماعندنا دفع عنه.

فقال له حُناطة: فانطلق إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك؛ فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر؛ فسأل عن ذي نفر، وكان صديقا له، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: ياذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر؛ وما غناء رجل أسير بيدي ملك، ينتظر أن يقتله غدوا وعشيا! ما عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي، فسأرسل إليه، وأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأساله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك؛ فقال حسبي. فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عين مكة، ويطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت؛ فقال: أفعل. فكلم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك، يستأذن عليك، وهو صاحب عين مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال؛ فأذن له عليك، فيكلمك في حاجته. قال: فأذن له أبرهة.

وكان عبد المطلب أوسم الناس، وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه أبرهة أجَلَّه، وأعظمه عن أن يجلسه تحته؛ فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه. ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له كنت اعجبتني حين رايتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتركت بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه؟ لا تكلمني فيه! قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه. قال: ما كان ليمتنع مني! قال أنت وذاك. فرد عليه إبله. وانصرف عبد المطلب

http://www.al-maktabeh.com

إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب، تخوفا عليهم معترة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقه باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش، يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْـ ـنعُ رَحْلَهُ فامنعْ حلالكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهم ومحالُهُمْ عَدْواً محالَكْ
إنْ يَدْخلوا البلد الحرا مَ فأمرٌ ما بَدَا لَكْ

يقول: أي: شيء مابدا لك، لم تكن تفعله بنا. والحلال: جمع حِلّ. والمحال: القوة

وقيل: إن عبد المطلب لما أخذ بحلقة باب الكعبة قال:

يا رَبِّ لا أرجُو لَهمْ سِواكا يا ربِّ فامنعْ منهمُ حماكا
إنّ عدوَّ البيت مَنْ عاداكا إنهمُ لن يقهروا قُواكا

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي:

لا هُمَّ أخزِ الأسودَ بن مقصود الآخذَ الهَجْمَةَ فيها التَّقليدْ
بين حِراء وثَبير فالبِيد يحبسها وهي أولات الطريد
فضمها إلى طَماطمٍ سُودْ [قد أجمعوا ألاّ يكون مَعْبُودْ
ويهدموا البيتَ الحرامَ المعمودْ والمرْوَتَيْنِ والمشَاعِرَ السُّودْ]
أخفره يا رب وأنت محمود

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، ثم انطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل محمود، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب، حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه، فبرك الفيل. وخرج نفيل بن حبيب يشتد، حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى؛ فأدخلوا محاجن في مراقه، فبزغوه بها

مكتبة المهتدين الإسلامية

ليقوم، فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك. وأرسل الله عليهم طيرا من البحر، أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك؛ وليس كلهم أصابت. وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي جاءوا منها، ويسألون عن نفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن. فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أيْنَ المَفَرُّ والإلَهُ الطَّالبْ ... والأشْرَمُ المغلوبُ ليسَ الغالبْ

وقال أيضا:

حمدت الله إذ أبصرتُ طَيْرا ... وخفت حجارة تُلْقَى علينا

فكلُّ القوم يسأل عن نُفَيلٍ ... كأنَّ عَلَيَّ للحُبْشانَ دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون {بكل مهلك} على كل سهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلما سقطت منه أنملة أتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما؛ حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه؛ فيما يزعمون.

وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان - يزيد أحدهما وينقص -: سبب الفيل ما رُوي أن فتية من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي، فنزلوا على ساحل البحر إلى بيعة للنصارى، تسميها النصارى الهيكل، فأوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا؛ فهبت ريح عاصف على النار فأضرمت البيعة نارا، فاحترقت؛ فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره، فاستشاط غضبا. فأتاه أبرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وأبو يكسوم الكنديون؛ وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة. وكان النجاشي هو الملك، وأبرهة صاحب الجيش، أبو يكسوم نديم الملك، وقيل وزير، وحجو بن شرحبيل من قواده.

وقال مجاهد: أبو يكسوم هو أبرهة بن الصباح. فساروا ومعهم الفيل. قال الأكثرون: هو فيل واحد. وقال الضحاك: هي ثمانية فيلة. ونزلوا بذي المجاز، واستاقوا سرح مكة، وفيها إبل عبد المطلب. وأتى الراعي نذيرا، فصعد الصفا،

http://www.al-maktabeh.com

فصاح: واصباحاه! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش والفيل. فخرج عبد المطلب، وتوجه إلى أبرهة، وسأله في إبله. واختلف في النجاشي، هل كان معهم؛ فقال قوم كان معهم. وقال الأكثرون: لم يكن معهم. ونظر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر؛ فقال عبد المطلب: إن هذه الطير غريبة بأرضنا، وما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية» وإنها أشباه اليعاسيب. وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة؛ فلما أطلت على القوم ألقتها عليهم، حتى هلكوا.

قال عطاء بن أبي رباح: جاءت الطير عشية؛ فباتت، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم. وقال الكلبي: في مناقيرها حصى كحصى الخذف، أمام كل فرقة طائر يقودها، أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق. فلما جاءت عسكر القوم وتوافت، أهالت مافي مناقيرها على من تحتها، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه المقتول به. وقيل: كان على حجر مكتوب: من أطاع الله نجا، ومن عصاه غوى. ثم انصاعت راجعة من حيث جاءت. وقال العوفي: سألت عنها أبا سعيد الخدري، فقال: حمام مكة منها. وقيل: كان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها، ويقع في دماغه، ويخرق الفيل والدابة. ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه. وكان أصحاب الفيل ستين ألفا، لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم، رجع ومعه شرذمة لطيفة. فلما أخبروا بما رأوا هلكوا. وقال الواقدي: أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمان رسول الله ﷺ، وأبرهة هو الأشرم، سمي بذلك لأنه تفاتن مع أرياط، حتى تزاحفا، ثم اتفقا على يلتقيا بشخصيهما، فمن غلب فله الأمر. فتبارزا ـ وكان أرياط جسيما عظيما في يده حربة، وأبرهة قصيرا حادرا، حليما ذا دين في النصرانية، ومع أبرهة وزير له يقال له عتودة ـ

فلما دنوا ضرب أرياط بحربته رأسه أبرهة، فوقعت على جبينه، فشرمت عينه وأنفه وجبينه وشفته؛ فلذلك سمي الأشرم. وحمل عتودة على أرياط فقتله. فاجتمعت الحبشة لأبرهة؛ فغضب النجاشي، وحلف ليجزن ناصية أبرهة، ويطأن بلاده. فجز أبرهة ناصيته» وملأ مزودا من تراب أرضه، وبعث بهما إلى النجاشي، وقال: إنما كان عبدك، وأنا عبدك، وأنا أقوم بأمر الحبشة، وقد جززت ناصيتي، وبعثت إليك بتراب أرضي، لتطأه وتبر في يمينك؛ فرضي عنه النجاشي. ثم بنى أبرهة كنيسة بصنعاء،

مكتبة المهتدين الإسلامية

ليصرف إليها حج العرب؛ على ما تقدم.

الرابعة: قال مقاتل: كان عام الفيل قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة. وقال الكلبي وعبيد بن عمير: كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة. والصحيح ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ولدت عام الفيل».

وروى عنه أنه قال: «يوم الفيل». حكاه الماردي في التفسير له. وقال في كتاب أعلام النبوة: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وكان بعد الفيل بخمسين يوما. ووافق من شهور الروم العشرين من أسباط، في السنة الثانية عشرة من ملك هرمز بن أنوشروان. قال: وحكى أبو جعفر الطبري أن مولد النبي ﷺ كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنو شروان وقد قيل: إنه ولد يوم عاشوراء من شهر المحرم؛ حكاه ابن شاهين أبو حفص في فضائل يوم عاشوراء له. ابن العربي: «قال ابن وهب عن مالك: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل، وقال قيس بن مخرمة: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل. وقد روى الناس عن مالك أنه قال: من مروءة الرجل ألا يخبر بسنه؛ لأنه إن كان صغيرا استحقروه وإن كان كبيرا استهرموه. وهذا قول ضعيف؛ لأن مالكا لا يخبر بسن رسول الله ﷺ ويكتم سنه؛ وهو من أعظم العلماء قدوة به. فلا بأس بأن يخبر الرجل بسنه كان كبيرا أو صغيرا». وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن أسيد: أنت أكبر أم النبي ﷺ ؟ فقال: النبي ﷺ أكبر مني، وأنا أسن منه؛ ولد النبي ﷺ عام الفيل، وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس، وقيل لبعض القضاة: كم سنك؟ قال: سن عتاب ابن أسيد حين ولاه النبي ﷺ مكة؛ وكان سنه يومئذ دون العشرين.

الخامسة: قال علماؤنا: كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي ﷺ وإن كانت قبله وقبل التحدي؛ لأنها كانت توكيدا لأمره، وتمهيدا لشأنه. ولما تلا عليهم رسول الله ﷺ هذه السورة، كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الوقعة؛ ولهذا قال: «ألم تر». ولم يكن بمكة أحد إلا وقد رأى قائد الفيل وسائقه أعميين يتكففان الناس. وقالت عائشة - رضي الله عنها - مع حداثة سنها: لقد رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين يستطعمان الناس. وقال أبو صالح: رأيت في بيت أم هانئ بنت أبي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة، سودا مخططة بحمرة.

http://www.al-maktabeh.com

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ أي في إبطال وتضييع؛ لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشا بالقتل والسبى، والبيت بالتخريب والهدم. فحكى عن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله على فرس له، ينظر ما لقوا من تلك الطير، فإذا القوم مشدخين جميعا، فرجع يركض فرسه، كاشفا عن فخذه، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني هذا أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيرا أو نذيرا. فلما دنا من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت، قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعا.

فخرج عبد المطلب وأصحابه، فأخذوا أموالهم. وكانت أموال بني عبد المطلب منها، وبها تكاملت رياسة عبد المطلب؛ لأنه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء، ثم خرج أهل مكة بعده ونهبوا. وقيل: إن عبد المطلب حفر حفرتين فملأهما من الذهب والجوهر، ثم قال لأبي مسعود الثقفي - وكان خليلا لعبد المطلب -: اختر أيهما شئت. ثم أصاب الناس من أموالهم حتى ضاقوا ذرعا، فقال عبد المطلب عند ذلك:

أنت منعت الحبش والأفيالا وقد رعوا بمكة الأجبالا
وقد خشينا منهم القتالا وكل أمر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

قال ابن إسحاق: ولما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا، وقالوا: [هم] أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم مئونة عدوهم. وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم، في قصة أصحاب الفيل:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس
من بعد ما هم بشر مبلس حبسته في هيئة المكركس
ومالهم من فرج ومنفس

والمكركس: المنكوس المطروح.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

قال سعيد بن جبير: كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها. وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ».

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعن ابن عباس: كانت لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب. وقال عكرمة: كانت طيرا خضرا، خرجت من البحر هي أشبه شيء بالخطاطيف. وقيل: بل كانت أشباه الوطاويط، حمراء وسوداء. وعن سعيد بن جبير أيضا: هي طير خضر لها مناقير صفر. وقيل: كانت بيضا. وقال محمد ابن كعب: هي طير سود بحرية، في مناقيرها وأظفارها الحجارة. وقيل: إنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال؛ قال عكرمة: «أبابيل» أي مجتمعة. وقيل: متابعة، بعضها في إثر بعض؛ قاله ابن عباس ومجاهد. وقيل مختلفة متفرقة، تجيء من كل ناحية، من هاهنا وهاهنا؛ قاله ابن مسعود وابن زيد والأخفش. قال النحاس: وهذه الأقوال متفقة، وحقيقة المعنى: أنها جماعات عظام. يقال: فلان يؤبل على فلان؛ أي يعظم عليه ويكثر؛ وهو مشتق من الإبل. واختلف في واحد (أبابيل)؛ فقال الجوهري: قال الأخفش يقال: جاءت إبلك أبابيل، أي فرقا، وطير أبابيل. قال: وهذا يجئ في معنى التكثير، وهو من الجمع الذي لا واحد له. وقال بعضهم: واحدة إبول، مثل عجول. وقال بعضهم ـ وهو المبرد ـ إبيل مثل سكين. قال: ولم أجد العرب تعرف له واحد في غير الصحاح. وقيل في واحده إبال. وقال رؤبة بن العجاج في الجمع:

ولعبت طير بهم أبابيل ... فصيروا مثل كعصف مأكول

وقال الأعشى:

طريق وجبار رواء أصوله ... عليه أبابيل من الطير تنعب

وقال آخر:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

وقال آخر:

تراهم إلى الداعي سراعا كأنهم ... أبابيل طير تحت دجن مسخن

قال الفراء: لا واحد له من لفظه. وزعم الرؤاسي ـ وكان ثقة ـ أنه سمع في واحدها «إبالة» مشددة. وحكى الفراء «إبالة» مخففا. قال: سمعت بعض العرب يقول: ضغث على إبالة. يريد: خصبا على خصب. قال: ولو قال قائل إيبال كان صوابا؛ مثل

http://www.al-maktabeh.com

دينار دنانير. وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل: الأبابيل: مأخوذ من الإبل المؤبلة؛ وهي الأقاطيع.

قوله تعالى: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾

في الصحاح: «حجارة من سجيل» قالوا: حجارة من طين، طبخت بنار جهنم، مكتوب فيها أسماء القوم، لقوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً﴾. وقال عبد الرحمن بن أبزي: «من سجيل»: من السماء، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط. وقيل من الجحيم. وهي «سجين» ثم أبدلت اللام نونا؛ كما قالوا في أصيلان أصيلال. قال ابن مقبل:

ضربا تواصت به الأبطال سجينا

وإنما هو: سجيلا. وقال الزجاج: «من سجيل» أي مما كُتب عليهم أن يعذبوا مشتق من السجل. قال عكرمة: كانت ترميهم بحجارة معها، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري لم ير قبل ذلك اليوم. وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة. وقال ابن عباس: كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده، فكان ذلك أول الجدري. وقراءة العامة «ترميهم» بالتاء، لتأنيث جماعة الطير. وقرأ الأعرج وطلحة «يرميهم» بالياء؛ أي يرميهم الله؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ ويجوز أن يكون راجعا إلى الطير، لخلوها من علامات التأنيث، ولأن تأنيثها غير حقيقي.

قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾

أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل. شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزائه. روى معناه عن ابن زيد وغيره. وقد مضى القول في العصف في سورة «الرحمن». ومما يدل على أنه ورق الزرع قول علقمة:

تسقى مذانب قد مالت عصيفتها ... حدورها من أتى الماء مطموم

وقال رؤبة بن العجاج:

ومسهم ما مس أصحاب الفيل ... ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم أبابيل ... فصيروا مثل كعصف مأكول

مكتبة المهتدين الإسلامية

العصف: جمع، واحدته عصفة، وعُصافة، وعَصيفة. وأدخل الكاف في «كعصف» للتشبيه مع مثل، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ومعنى «مأكول» مأكول حبه. كما يقال: فلان حسن؛ أي حسن وجهه. وقال ابن عباس: «فجعلهم كعصف مأكول» أن المراد به قشر البر؛ يعني الغلاف الذي تكون فيه حبة القمح. ويروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه، فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة. وقال ابن مسعود: لما رمت الطير بالحجارة، بعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة، فكانت لا تقع على أحد إلا هلك، ولم يسلم منهم إلا رجل من كندة؛ فقال:

فإنك لو رأيت ولم تريه … لدى جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله إذ قد بث طيرا … وظل سحابة مرت علينا
وباتت كلها تدعو بحق … كأن لها على الحبشان دينا

ويروى أنها لم تصبهم كلهم، لكنها أصابت من شاء الله منهم. وقد تقدم أن أميرهم رجع وشرذمة لطيفة معه، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا. فالله أعلم. وقال ابن إسحاق: لما رد الله الحبشة عن مكة، عظمت العرب قريشا وقالوا: أهل الله، قاتل عنهم، وكفاه مئونة عدوهم؛ فكان ذلك نعمة من الله عليهم.

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الرابع
في
مساجد الله

توصية إبراهيم لبنيه:

إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنجب إسماعيل في سن السادسة والثمانين [تك١٦:١٥] وأنجب إسحق في سن المائة سنة [تك٢١:٥]. ومات في سن المائة والخامسة والسبعين [تك٢٥:٧] «وكان إسحق ابن ستين سنة» [تك٢٥:٢٦] حين ولادة يعقوب ابنه. فيكون يعقوب مولودا في حياة إبراهيم. وامرأته سارة ماتت في حياته. ومن بعد موتها تزوج إسحق «رفقة» وتعزّى بها عن فقدان أمه. «وبعد موت إبراهيم؛ بارك الله إسحق ابنه، وأقام إسحق عند بئر الحي الرائي» [تك٢٥:١١و١٦و١٤و٢٤:٦٢] أي سكن مكان أمه في مكة عند بئر زمزم.

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره [1]: «وقد ادعى القشيري ـ فيما حكاه القرطبي عنه ـ أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم. ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن إسحق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة»

هذا هو قول الشيخ الإمام بنصه. والصحيح: أنه ولد في حياة إبراهيم، وأن إسحق ولد له يعقوب بعد موت سارة. ثم علّل هذا الشيخ الجليل ولادة يعقوب في حياة سارة بقوله: «لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ وتعليله هذا غير صحيح؛ لأن البشارة كانت بإسحق وحده. وجملة ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ جملة مستأنفة مستقلة عن الكلام الذي قبلها؛ فإن الله لما عقد العهد مع

(١) تفسير ابن كثير في البقرة ١٣٠ ـ ١٣٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إبراهيم بالسير أمامه؛ استجاب دعاءه في إسماعيل بأن يكون من نسله من سيسيرون أمامه من محمد رسول الله ﷺ. وبعدما استجاب له في إسماعيل «قال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة. وأباركها، وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها. فتكون أمما، وملوك شعوب منها يكونون» [تك١٧: ١٥-١٦]

ومن هذا يُعلم أن سارة بإسحق وحده، لا بإسحق ويعقوب. ولما جاءت الملائكة إلى سارة لتسمعها البشرة «قالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هي في الخيمة. فقال: إني أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة امرأتك ابن» [تك١٨: ٩-١٠]

وقال الإمام ابن كثير: «وقد قرأ بعض السلف: «ويعقوبَ» بالنصب، عطفا على بنيه. كأن إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب ابن إسحق، وكان حاضرا ذلك»

وقوله بقراءة تخالف ما عليه المصحف الإمام؛ هو قول لا يليق بمنصبه. ويحط من قدره أن يرتب عليها معنى. ولو لم تكن هذه القراءة موجودة. فإن المعنى المترتب عليها داخل تحت ﴿بَنِيهِ﴾ فما فائدة خاص بعد عام لصبي، به أو بغيره ستقوم بركة إسحق؟ وفي القرآن أن يعقوب وصى حال موته. وهذه القراءة تلغي وصيته ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ والغاؤها من الجهل بالدين.

ووقع أيضاً في مثله في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قال: «وقد قرئ بنصب «يعقوب» ههنا على نزع الخافض. فلو لم يوجد يعقوب في حياتيهما؛ لما كان لذكره من بين ذرية إسحق كبير فائدة»

هذا هو قوله. والصحيح: أن الوقف تام المعنى على ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ ولماذا بشرها بإسحق؟ لتكون من ذريته أمم وملوك على الشعوب. أي لتكون له «بركة» هي ملك ونبوة. وكانت سارة حال البشارة بنت تسعين سنة فإذا مات إسحق. فمن من أولاده يقوم ببركته؟ هل هو عيسو؟ هل هو يعقوب؟ لأنه مات عنهما. فبين بقوله: ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي بعد موته، قام يعقوب مقام أبيه في السير أمام الله «وعاشت سارة مائة وسبعا وعشرين سنة» [تك٢٣: ١] أي أنها عاشت بعد إسحق سبعا وثلاثين سنة. وإسحق لم يتزوج ولم ينجب إلا بعد سن الستين.

واستدل ابن كثير بلفظ الهبة على أن يعقوب كان مولودا في حياة إبراهيم. فقال:

http://www.al-maktabeh.com

«وأيضا: فقد قال الله تعالى في سورة العكنبوت: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ وهذا يقتضي أنه وجد في حياته» هذا هو قوله: ولا نزاع في أن يعقوب مولود في حياة إسحق وإبراهيم. وإنما النزاع في معنى الآيتين:

وتفسير الآية الأولى: إننا وهبنا له إسحق. ومن وراء إسحق، جاء يعقوب فحمل بركته، وجعلنا في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب. مقسومين على ولديه المباركين إسماعيل وإسحق. وعلى هذا المعنى يكون يعقوب هبة لإبراهيم مكان إسحق. كما أن محمدا هبة لإبراهيم مكان إسماعيل. فإن بركة إسحق بدأت من موسى. وبركة إسماعيل بدأت من محمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

وتفسير الآية الأخرى: إننا لما أعطينا إبراهيم على الكبر إسماعيل، وجعلنا له عهداً من محمد ﷺ رأينا أن نهب لسارة ابنا هو إسحق. فصار إسحق نافلة. به أو لا به ستقوم بركة إسماعيل في الأمم من محمد رسول الله. ودور النافلة أنه يكون ممهدا الطريق للأصل. وإذ إسحق نافلة، ويعقوب هو الذي جاء من ورائه للتمهيد. يكون يعقوب نافلة كأبيه.

وقال ابن كثير: إن من الأدلة على أن يعقوب كان في حياة إبراهيم: أنه باني بيت المقدس. يقول ما نصه: «وأيضا: فإنه باني بيت المقدس ـ كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة ـ وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله. أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة»

وقد أخطأ ابن كثير في قوله هذا.

وذلك لأن إقامة إبراهيم بعد هجرته من أرض آبائه كانت في مكة المكرمة، وفيها ولد له إسماعيل وإسحق وجميع أبنائه وما تناسل منهم في حياته، ومنهم عيسو ويعقوب. ويدل على ذلك من القرآن الكريم: ﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ ومكة هي الأرض المباركة في ذاك الزمان، لأن فيها نزلت شريعة نوح عليه السلام وقد قال تعالى عن الكعبة: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى

مكتبة المهتدين الإسلامية

لِلْعَالَمِينَ﴾ وقد كذب أهل الكتاب في قولهم: إن هجرته كانت إلى أرض كنعان ـ التي هي أرض فلسطين ـ وفي التـوراة: أن «هاجر» وجدها مـلاك الرب على عين ماء في الصحـراء. وخاطبت الملاك بقولها: أنت اللـه الذي يراني. لذلك سُميت البئـر «بئر الحي الرائى» وتقدم إبراهيم بابنه الوحيد ليذبحه عند «جبل الرب» وليس من جبل لله في غيـر مكة «وبعد موت إبراهيم بارك اللـه إسحق ابنه، وأقام إسـحق عند بئر الحي الرائى»

وفي ترجمة: «لذلك دُعيت البئـر بئر لَحَى رُئى» ـ «وكان إسحق قد أتى من ورود بئر لَحَـىْ رُئى. إذ كان ساكنا في أرض الجـنوب» ـ «وكان بعد مـوت إبراهيم أن الله بارك إسحق ابنه. وسكن إسحق عند بئر لحى رئى»

وإبراهيم عليـه السلام جـدد الكعبـة هو وابنه إسمـاعيل من قبـل ولادة إسحق. وإسحق قد ولد له في سن المائة. وولد يعقوب لإسحق في سن الستين. فكيف مع هذا يكون يعقوب مؤسسا لبيت المقدس بعد أربـعين عاما من بناء الكعبة؟ وقول ابن كثير: «كمـا نطقت بذلك الكتب المتقدمة» عـلى ما ذكرنا منها يكون قـولا باطلا. والحديث الذي رواه غيـر صحيح مـا فيـه. لأن إبراهيم لم يؤسس الكعبـة وإنما جددها. والذي أسسها من بعد الطوفان وبناها ـ إذ الطوفان لم يبق على شيء كان موجودا في الأرض غير الجبال الراسيات ـ هو نوح عليه السلام.

وخطأ ابنُ كثير ابنَ حـبّان بقوله: «زعم ابن حبان: أن بين سليمـان الذي اعتقد أنه باني بيت المقدس ـ وإنما كـان جدده بعد خرابه وزخـرفه ـ وبين إبراهيم أربعين سنة. وهذا مما أُنكر على ابن حبان؛ فإن المدة بينهما تزيد على ألوف سنين»

يريد أن يقـول: إن الذي بنى بيت المقـدس ـ في رأى ابن حبـان ـ هو سليمـان لا يعقوب، وأن سليمان كان بعـد إبراهيم بأربعين سنة. وبعدما حكى قوله؛ خطأه. وهما معا قد أخطآ.

وقبل أن نوضح الخطأ نبين: أن ابن كثيـر فرق بين أمرين. فرق بين البناء ـ الذي هو تأسيس البـيت ـ وبين تجديده ـ الذي هو رفع قـواعده ـ فقـال: إن سليمـان جدد ولم يؤسس. والمؤسس ـ عنده ـ هو يعقوب. وقد بينا: أن يعقوب لم يؤسس.

http://www.al-maktabeh.com

أما عن سليمـان. فإنه كان بعد إبراهيم بنحو ألف سنة. وكان على شريعة التوراة. وهي تحرم بناء المساجد المشيدة، وتلزم ببناء المساجد من تراب. وإذ المسجد الأقصى ـ الذي هو هيكل سليمـان ـ قد بنى في سبع سنين بحجارة حسنة وتحف. وإذ سليمان نبي لا يتصور العقل منه مخالفة الشريعة؛ يكون الهيكل منسوبا زورا إلى سليمان.

* * *

المساجد الثلاثة البعيدة

وأول من أسسه بحجارة وتحف هم اليهود الراجعون من سبى بابل بإذن من كوروش الفارسي سنة ٥٣٩ ق.م وقد هُدمت منه جدران ورممت، وتعاقب عليه الإهمال والإصلاح إلى أن سُوّى بالأرض. وبنى المسلمون في أراضي فلسطين مساجدهم. ومنها:

١ ـ المسجد الأقصى المشهور ـ وقد بناه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٩ هـ

٢ ـ ومسجد قبة الصخرة الذي جاء في كتب الأحاديث النبوية أن المعراج كان منه، وكان إليه منتهى الإسراء. وقد بناه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ ولما نزل القرآن عند الكعبة؛ صارت جميع مساجد المسلمين متساوية في التعظيم، ولا يمتاز في التعظيم مسجد عن مسجد. والتعظيم في دين الإسلام ليس إلا لمسجد واحد هو الكعبة. ولا تشدّ الرحال إلا إليها. ويحرم شد الرحال لغيرها إلا لطلب علم وتفقه في الدين. وإذا اعتدى معتدى على حرمة مسجد؛ فكأنه قد اعتدى على حرمات المساجد كلها.

٣ ـ ولم يؤثر عن واحد من المسلمين أنه تحدث عن المسجد الأقصى عند طائفة السامريين في نابلس المبنى على جبل جرزيم. والسامريون يقولون: إن داود وسليمان لم يؤسسا المسجد الأقصى. وإنما هو بناء بناه العبرانيون في أورشليم من بعد الرجوع من بابل بغير دليل شرعي. ويقول العبرانيون: إن السامريين والعرب عارضوا في بنائه. وتعاونوا على منعه بقوة.

فهل يقصد القرآن بالمسجد الأقصى، هيكل العبرانيين، أم هيكل السامريين؟ أم

مكتبة المهتدين الإسلامية

يقصد مكان سجود بعيد. يشمل الاثنين معا؟ قد اتخذوه للضرر، وأظهروا فيه، في بعض الروايات، خلافا لإيهام الناس أنهم على حق؟ إن القرآن بحسب تفسير النبي ﷺ للمسجد الأقصى يقصد مسجد قبة الصخرة.

* * *

معنى المسجد أنه مكان حج

وليعلم المسلمون جميعا: أن مكان السجود عند أهل الكتاب معناه «مكان حج» وليس معناه مكان مسجد كأى مسجد يبنى في أي مكان للصلاة. فقوله ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هم يعرفون منه: أنه «مكان حج» وقوله ﴿الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ هم يعرفون منه أنه «مكان حج» ابتدعوه ليحل محل الكعبة ظلما وزورا. وعند السامريين على جبل جرزيم «مكان حج» هم ناسكوه وقوله تعالى: ﴿هُمْ نَاسِكُوه﴾ يدل على أنهم بنوه ليحل محل الكعبة التي جعلناها منسكا لجميع الأمم وهو أقصى أيضا. أي بعيد عن مكة. فإبراهيم لما أراد أن يذبح ابنه قال لغلاميه: «وأما أنا والغلام؛ فنذهب إلى هناك، ونسجد، ثم نرجع إليكما» [تك٢٢:٥] ومعلوم أنه متوجه إلى الكعبة لأنها مكان السجود المعروف للعالم من زمان الطوفان. ووزير كنداكة ملكة الحبشة «جاء إلى أورشليم ليسجد» [أع٨:٢٨] أي ليحج. فهل كان مسجد أورشليم معينا من الله عوضا عن الكعبة؟ فكيف يكون مباركا؟ وهل كان مسجد نابلس معينا من الله عوضا عن الكعبة حتى يكون مباركا؟

ولما سألت المرأة السامرية عن الحق في مكان الحج بقولها للمسيح عيسى عليه السلام: أنتم تسجدون ـ أي تحجون ـ على جبل صهيون. ونحن نسجد على جبل جرزيم ـ أي نحج ـ فمع من الحق منا؟ «يا سيد. أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني. إنه تأتي ساعة. لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب» [يو٤:١٩ ـ ٢١]

إنها تسأل عن المكان الصحيح للحج؛ لأن السجود معناه الحج. وإذا تعين مكان للحج؛ يصير هذا المكان قبلة في الصلاة. وقد أجاب المسيح بأنه ستأتي الساعة التي لا

http://www.al-maktabeh.com

يكون فيها حج عى صهيون وجرزيم. وقد أتت وتعين للمسلمين بنص إلهي قبلة ومكان حج. في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

* * *

دفن إبراهيم في مكة:

وإذْ ظهر من نصوص التوراة أن إبراهيم وهاجر وسارة وقطورة وإسماعيل وإسحق وأولاد إبراهيم من قطورة ويعقوب ابن إسحق الذي هو إسرائيل، كانوا كلهم ساكنين في أرض الجنوب عند «جبل الرب» حول بئر زمزم - بئر الحى الرائى - وكانوا حراسا للكعبة التي جددها إبراهيم وإسماعيل؛ نبين أن إبراهيم وإسماعيل وهاجر وسارة قد ماتوا ودفنوا في أرض مكة. بما جاء في التوراة وهو:

أن إبراهيم أرسل عبده ليخطب زوجة لإسحق ابنه من عشيرته التي وُلد فيها قبل الهجرة. ورجع العبد برفقة لتكون له زوجة. ذلك قوله: «فقامت رفقة وفتياتها وركبن على الجمال وتبعن الرجل فأخذ العبد رفقة ومضى. وكان إسحق [1] قد أتى من ورود بئر لحى رئى. إذ كان ساكنا في أرض الجنوب. وخرج إسحق ليتأمل في الحقل عند إقبال المساء. فرفع عينيه ونظر وإذا جمال مقبلة، ورفعت رفقة عينيها فرأت إسحق، فنزلت عن الجمل. وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا؟ فقال العبد:

---

(١) قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ وتم الكلام. ثم استأنف والتفت وخاطب أهل الكعبة وهم بنو إسماعيل في شخص النبي بقوله: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ من الآن؛ لأن بركة إسحق قد زالت، وابتدأت في الظهور بركتكم. والنبي الذي سيبدأ بها ﴿ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ أي محمود وممجد. كما هو مكتوب عنه في سفر الزبور. «عظيم هو الرب، وحميد جدا، في مدينة إلهنا جبل قدسه، جميل الارتفاع فرح كل الأرض.... » [مز ٤٢] «رنموا للرب ترنيمة جديد... مجد وجلال قدامه. العز والجمال في مقدسه» [مز ٩٦] لقوله وهو يخاطب نساء النبي: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ أراد بأهل البيت - وهو الكعبة - بنى إسماعيل، ومن ينضم إليهم من الأمم يكون تبعا لهم في الخطاب.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هو سيدي. فأخذت البرقع وتغطت. ثم حدّث العبد إسحق بكل الأمور التي صنع. فأدخلها إسحق إلى خباء سارة أمه، وأخذ رفقة؛ فصارت له زوجة وأحبها. فتعزّى إسحق بعد موت أمه» [تك ٢٤: ٦١-٦٧]

إنه يقول: وكان إسحق ساكنا في أرض الجنوب عند بئر لحى رئى. وأنه تزوج رفقة في خباء سارة أمه. وهذا يدل على أن إبراهيم وسارة وإسحق وامرأة إسحق. الجميع كانوا عند بئر زمزم. وإذ ماتت سارة من قبل مجئ رفقة؛ ففي أي مكان سيُدفن جسدها؟ ليس إلا في المكان التي كانت هي ساكنة فيه.

وتزوج إبراهيم امرأة تدعى «قَطُورة» فولدت له: زِمران ويَقشان ومدان ومِديان ويِشباق وشوحا. وكانت له سرارى كثيرات أنجب منهن أولادا، لم تذكر التوراة أسماءهم. ثم إنه أعطى لبنى السرارى عطايا وصرفهم إلى أرض المشرق. أي إلى أرض العراق، لأن الناس ارتحلوا من بعد الطوفان شرقا إلى العراق.

وصرفه أولاد السرارى في حياته عن أرض مكة شرقا إلى العراق. يدل على أنه لم يصرف أولاد الزوجات عن مكة وهن هاجر وسارة وقطورة. وهذا هو النص: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة. فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا. وولد يقشان شبا وددان. وكان بنو دان أشوّريم ولطوشيم ولأميم. وبنو مديان عيفة وعِفر وحنوك وأبيداع والدعة. جميع هؤلاء بنو قطورة. وأعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له. وأما بنو السرارى اللواتي كانت لإبراهيم؛ فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق، وهو بعد حي. وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها. مئة وخمس وسبعون سنة، وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة، شيخا وشبعان أياما، وانضم إلى قومه. ودفنه إسحق وإسماعيل» [تك٢٥: ١-٨]

ولما مات إبراهيم توقف سيره أمام الله، وقام من بعده في السير أمام الله للدعاء إلى دينه ومحاربة عباد الأوثان؛ إسحق ابنه. وكان تحت رئاسته كل نسل إبراهيم. وهذا هو معنى قوله: «وأعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له» وقوله: « وكان بعد موت إبراهيم؛ أن الله بارك إسحق ابنه. وسكن إسحق عند بئر لحي رئي» ومكان أبيه ومكان أمه. أي أن إسحق جلس مكان أبيه في مكة للدعوة إلى الله. لأن البركة فيه

http://www.al-maktabeh.com

أولا للتمهيد لبركة إسماعيل.

وإذا كان إبراهيم وسارة ساكنين في أرض الجنوب عند بئر «الحى الرائى» في أرض جبل الرب، فهل يتصور العقل أنه إذا ماتت سارة يرغب إبراهيم في دفنها في أرض كنعان؟

يقول الكاتب: إنه لما ماتت سارة في قرية «حبرون» أتى إبراهيم ليندب سارة ويبكى عليها، وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بنى حث قائلا: أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني ملكَ قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي.. إلخ»

لقد ابتدع الكاتب هذه الرواية ليبين أن إبراهيم لم يكن في مكة [1]. وأنه اشترى أرض القبر ليصير بالشراء مالكا، فيكون من حقه أن يمر هو ونسله في أرضهم لزيارة ميته، وأن إبراهيم لم يكن داعيا إلى الله بين الأمم. وذلك لأن اليهود لما حرفوا التوراة؛ استبعدوا نشرها بين الأمم، وحذفوا منها ما كان يدل على ما حذفوه.

ومما تركوه: «وغرس إبراهيم أثلا في بئر سبع، ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي» [تك٢١: ٣٣] واستحلف إبراهيم عبده «بالرب إله السموات وإله الأرض» [تك٢٤: ٣]

ولما صرف إبراهيم أبناء الجواري عن إسحق الذي كان ساكنا عند «بئر الحى الرائى» أسلم إبراهيم روحه ومات. وكان بعد موته أن إسحق سكن عند هذه البئر. ودفنه عند هذه البئر إسحق وإسماعيل. ولكن المحرف يدعى زورا أنه دفن في «حبرون» التي هي الخليل في أرض فلسطين مع سارة. وهو لم يكن مقيما بها، ولا من أولاده من كان مقيما بها.

* * *

سير إسحق أمام الله

وبعد موت إبراهيم؛ سار إسحق أمام الله وكان يبنى مساجد، ويدعو إلى الله. ذلك قوله: «فبنى هناك مذبحا ودعا باسم الرب» [تك٢٦: ٢٥]

---

(١) ولماذا ابتدع الكاتب هذه الرواية ليبين أن إبراهيم لم يكن في مكة؟

لأن الناس يعرفون أن «مكة» هي بلد الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو لا يريد أن يظهر هذا الأمر من بعد سبى بابل. ولأنهم يعرفون أن له بلدا. لغا في هذا البلد بوضعه «حبرون» مكان «مكة» ولكي يؤكد أن «حبرون» هي بلد الخليل. ادعى أنه دفن فيها «سارة»

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم إن يعقـوب انطلق إلى أرض خاله لابان أخى أمه رفـقة. وتزوج ليئـة وراحيل. وساعد أباه في الدعوة إلى الله. ثم سكن في بوادي الأردن بعد موت إسحق. عن مئة وثمانين سنة.

وظل هو ونسله مع البـدو إلى حين دخول يوسف ـ عليـه السلام ـ أرض مـصر، وكان وهو في السـجن يدعو إلى الله تعـالى كآبائه، وأحـضر إلى مصـر أباه وإخوته وجميع نسلهم. وكان عددهم سبعين نفسا.

* * *

هدم آثار اليهود

وقال كاتب التوراة: إن يعقـوب لما مات في أرض مصر حنّطه المصريون وذهب به يوسف في موكب عظيم إلى مكـان قبر إبراهيم، في عبـر الأردن ودفنه بجواره، وأن يوسف لما مات؛ دفن في أرض مـصر، وقد نبش اليهـود قبره وأخذوا عظامـه معهم وهم فـارون من فرعـون وجنوده، ودفنوه في مدينة «شكيم» عـاصمـة مملكة اليـهود السامريين. فيـما بعد. وكان عمر يعقـوب مئة وسبعا وأربعين سنة، وعـمر يوسف مئة وعشر سنين. وقال الكاتب: إن راحيل ماتت في نفاس بنيامين ودفنت عند «بيت لحم» قرب «أورشليم» ونصب يعـقوب عمـودا عل قبرها. وهو عـمود قبـر راحيل إلى هذا اليوم» [تك٣٥: ٢٠]

فهب أن ذلك قد حـصل وبنو إسرائيل قد تركوا أرض البـدو إلى مصر، ولم يبق فيها بيـوت ولا أموال. ففي المدة من حين دخولهم أرض مصر وهم سبـعون نفسا إلى حين خروجهم منها وهم فارون من فرعـون وجنوده؛ من كان يحرس قبر إبراهيم في حبرون وعمود راحيل في أورشليم؟ وهب أن إبراهيم بنى في أورشليم مسجدا أو بنى يعقـوب. فهل سيظل هذا المسـجد قائمـا إلى أن يظهر طالوت وداود ويفتـحا الأرض المقدسة؟ فلماذا حاربا أهل فلسطين؟ إنهمـا حاربا لإزالة الأصنام منها، ولبناء مساجد لله من تراب وطين. فهل لما فتـحا وملكا، وجدا مسجدا أقـصى هو من عهد إبراهيم أو من عهد يعـقوب ابن ابنه؟ إنهما وجـدا بيتا لصنم [١] اسمـه «داجون» ولم يـجدا

(١) اقرأ عن صنم داجون في الأصحاح الخامس من سفر صموئيل الاول.

http://www.al-maktabeh.com

مسجداً أقصى وإزالة الأصنام من مدينة تدل على أنه لا مساجد في هذه المدينة. وإبراهيم كان نحو سنة ألفين من قبل الميلاد. ودخول بنى إسرائيل فلسطين بقيادة داود وطالوت كان نحو سنة ألف. ففي مدة الألف سنة من كان يحرس المسجد الأقصى وكلهم عباد أصنام؟

كذب اليهود في بناء هيكل سليمان

ولما دخل داود مدينة «القدس» - التي هي «أورشليم» - بنى مساجد متواضعة من تراب؛ لأن التوراة تحرم بناء المساجد المشيدة. ذلك قوله: «لا تصنعوا لكم آلهة من فضة أو ذهب؛ لتعبدوها مع عبادتكم لي. ابنوا لي مذبحا من تراب، واذبحوا عليه محرقاتكم وذبائح السلامة من غنمكم وبقركم. وأنا إلى كل موضع يذكر فيه اسمي؛ أجئ وأباركم. وإن بنيتم لي مذبحا من حجارة؛ فلا تنحتوها؛ لأنكم إن رفعتم إزميلا عليها؛ دنستموها. ولا تصعدوا إلى مذبحي على درج؛ لئلا تنكشف عورتكم عليه» [خر ٢٠:٢٣-٢٦]

ووضع تابوت العهد في خيمة، وبنى بيتا للخيمة ووضعها في هذا البيت.

وكذب اليهود [١] عليه وقالوا: إنه بنى المسجد الأقصى، وجعله مكانا للحج كل

---

(١) في الأصحاح الثامن من سفر الملوك الأول وما بعده: «ووقف سليمان أمام مذبح الرب تُجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه إلى السماء وقال أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم الذي قد حفظت لعبدك داود أبى ما كلمته به فتكلمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم والآن أيها الرب إله إسرائيل احفظ لعبدك داود أبى ما كلمته به قائلا لا يُعدم لك أمامى رجل يجلس على كرسى إسرائيل إن كان بنوك إنما يحفظون طرقهم حتى يسيروا أمامى كما سرت أنت أمامى والآن يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود أبى لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض. هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيتُ فالتفت إلى صلاة عبدك وتضرعه. أيها الرب إلهى واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك اليوم. لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهاراً على الموضع الذي قلت إن اسمى يكون فيه لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع واسمع تضرع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع. واسمع أنت في موضع سكنك في السماء وإذا سمعت فاغفر. إذا أخطأ أحد إلى صاحبه ووضع عليه حلفاً ليحلفه وجاء الحلف أمام مذبحك في هذا البيت فاسمع أنت في السماء واعمل واقض بين =

مكتبة المهتدين الإسلامية

سنة، وجعله قبلة في الصلاة والدليل على كذبهم: أن الناس كانوا يحجون إلى

=عبيدك إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره. إذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك، ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا إليك نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء واغفر خطية شعبك إسرائيل وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لآبائهم.

إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر لأنهم أخطأوا إليك ثم صلوا في هذا الموضع واعترفوا باسمك ورجعوا عن خطيتهم لأنك ضايقتهم فاسمع أنت من السماء واغفر خطية عبيدك وشعبك إسرائيل فتعلمهم الطريق الصالح الذي يسلكون فيه واعط مطراً على أرضك التي أعطيتها لشعبك ميراثاً. إذا صار في الأرض جوع إذا صار وبأ إذا صار لفح أو يرقان أو جراد جردم أو حاصره عدو في أرض مدنه في كل ضربة وفي كل مرض فكل صلاة وكل تضرع تكون من أى إنسان كان من كل شعبك إسرائيل الذين يعرفون كل واحد ضربة قلبه فيبسط يديه نحو هذا البيت. فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل واعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر لكى يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لآبائنا وكذلك الأجنبي الذي ليس من شعبك إسرائيل هو وجاء من أرض بعيدة من أجل اسمك لأنهم يسمعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعيك الممدودة فمتى جاء وصلى في هذا البيت؛ فاسمع أنت من السماء مكان سكناك وافعل حسب كل ما يدعو به إليك الأجنبي لكى يعلم كل شعوب الأرض اسمك فيخافوك كشعبك إسرائيل ولكى يعلموا أنه قد دعى اسمك على هذا البيت الذي بنيت.

إذا خرج شعبك ليحاربه عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك؛ فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم. إذا أخطأوا إليك لأنه ليس إنسان لا يخطئ وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو وسباهم إلى أرض العدو بعيدة أو قريبة فإذا ردوا إلى قلوبهم في الأرض التي يسبون إليها ورجعوا وتضرعوا إليك في أرض سبيهم قائلين: قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم في أرض أعدائهم الذين سبوهم وصلوا إليك نحو أرضهم التي أعطيت لآبائهم نحو المدينة التي اخترت والبيت الذي بنيت لاسمك فاسمع في السماء مكان سكناك صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم واغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك وجميع ذنوبهم التي أذنبوا بها إليك وأعطهم رحمة أمام الذين سبوهم فيرحموهم لأنهم شعبك وميراثك الذين أخرجت من مصر من وسط كور الحديد. لتكون عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك إسرائيل فتصغي إليهم في كل ما يدعونك لأنك أنت افرزتهم لك ميراثاً من جميع شعوب الأرض كما تكلمت عن يد موسى عبدك عند إخراجك آباءنا من مصر يا سيدي الرب.

وكان لما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب بكل هذه الصلاة والتضرع أنه نهض من أمام مذبح الرب من الجثو على ركبتيه ويداه مبسوطتان نحو السماء ووقف وبارك كل جماعة إسرائيل بصوت عالٍ =

http://www.al-maktabeh.com

الكعبة في مكة المكرمة إلى زمان رجوع اليهود من سبى بابل سنة ٥٣٩ في زمان كوروش الفارسي. ومناسك الحج مدونة في سفر الزبور. وأن القبلة في شريعة التوراة ليست محددة بجهة.

ولما رجع اليهود من سبى بابل؛ شرعوا في تأسيس المسجد الأقصى، عن مكة وسموه هيكل سليمان؛ ليبعدوا الناس عن مكة المكرمة. وقد أسسوه وبنوه بحجارة حسنة وتحف. وعن هذا يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)

=قائلا: مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده ليكن الرب إلهك معنا كما كان مع آبائنا فلا يتركنا ولا يرفضنا ليميل بقلوبنا إليه لكى نسير في جميع طرقه ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي وصى بها آباءنا وليكن كلامي هذا الذي تضرعت به أمام الرب قريباً من الرب إلهنا نهاراً وليلاً ليقضى قضاء عبده وقضاء شعبه إسرائيل أمر كل يوم في يومه ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب إلهنا إذ تسيرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم.

ثم إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفا ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً فدشّن الملك وجميع بنى إسرائيل بيت الرب في ذلك اليوم وقدس الملك وسط الدار التي أمام الرب؛ لأنه كان صغيرا عن أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة. وعيد سليمان العيد في ذلك الوقت وجميع إسرائيل معه جمهور كبير من مدخل حماة إلى وادى مصر أمام الرب إلهنا سبعة أيام وسبعة أيام. أربعة عشر يوما. وفي اليوم الثامن صرف الشعب فباركوا الملك وذهبوا إلى خيمهم فرحين وطيبى القلوب لأجل كل الخير الذي عمل الرب لداود عبده ولإسرائيل شعبه.

وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب وبيت الملك وكل مرغوب سليمان الذي سر أن يعمل أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون وقال له الرب: قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعت به أمامى. قدستُ هذا البيت الذي بنيتَه لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام؛

مكتبة المهتدين الإسلامية

﴿لا يزالُ بُنيانُهُمُ الَّذي بَنَوْا ريبَةً في قُلوبِهِمْ إلاَّ أن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ أي اتخذوه بدل الكعبة من أجل الضرر. وما يزالون مقيمين على تعظيمه، مع أنهم مرتابون في أمر تعظيمه. وقد أمر الله المسلمين في شخص نبيهم ﷺ بأن لا يجعلوه قبلة لهم ولا منسك حج. وأن تكون قبلتهم وكعبتهم هي المسجد المؤسس على التقوى - وهو الكعبة - من أول يوم بعد الطوفان؛ لشكر الله على أن هداهم للإيمان ونجاهم من الغرق.

وأسرى الله بنبيه ﷺ من المسجد الحرام الذي بارك حوله بنزول القرآن عليه. إلى المسجد البعيد الأقصى عن مكة. ليريه أنه سيملك عما قريب على كل البلاد التي كان يملكها بنو إسرائيل، وأن دينه سيحل فيها بدل دين اليهود.

يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

وقوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة للمسجد الحرام. لقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

وليس صفة للمسجد الأقصى؛ لأن البركة معناها: شريعة تنزل في مكان مّا؛ فيهتدى الناس بها؛ فيكونون مباركين من الله بالشريعة. وشريعة موسى نزلت في طور سيناء. وبنزولها صار الجبل مباركا. ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

ولم تنزل التوراة في «أورشليم» أو في «نابلس» حتى يكون جبل كل منهما أو مسجد أي جبل منهما مباركا. ونزلت في مكة شريعتان. شريعة نوح من بعد الطوفان. ثم لما نسخ الله شريعة نوح بشريعة التوراة. التي نزلت في جبل الطور. صار الطور مباركا لا مكة. ثم عادت البركة إلى مكة بنزول القرآن فيها. ولم يعد الطور مباركا. وأيام هجرة إبراهيم إلى مكة - وقد كان على شريعة نوح - كانت مكة مباركة. ولذلك قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

http://www.al-maktabeh.com

الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾

وفي أيام شريعة التوراة لم تكن مكة مباركة. ولذلك قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

مباركا الآن بنزول القرآن حوله. ومباركا من قبل بشريعة نوح. وكان الناس مأمورين بالحج إليها من نوح ـ عليه السلام ـ ومن إبراهيم من بعده، ولم ينسخ الله في شريعة موسى هذا الأمر. وأكد الله عليه في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

والإتمام: معناه: أن المناسك كانت قبل الإسلام معروفة. وفي الإسلام زيادة عليها.

وفي كتاب التوراة: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ بنى مساجد كثيرة. تأسيسا لا تجديدا. ما عدا مسجد الكعبة فإنه تجديد لا تأسيس. ويدل على ذلك: «فبنى هناك مذبحا» [تك١٢:٧] «فبنى هناك مذبحا للرب، ودعا باسم الرب» [تك١٢:٨] «وبنى هناك مذبحا للرب» [تك ١٣:١٨]

وأن إسحق ـ عليه السلام ـ بنى مساجد كثيرة. ويدل على ذلك: «فبنى هناك مذبحا، ودعا باسم الرب» [تك٢٦:٢٥] وأن يعقوب ـ عليه السلام ـ بنى مساجد كثيرة. ويدل على ذلك: «وأقام هناك مذبحا، ودعاه إيل إله إسرائيل» [تك٣٣:٢٠]

وتعبر التوراة عن الذاهبين إلى المساجد بتعبير «مثلوا أمام الرب» [يشوع ٢٤:١] أي دخلوا المساجد.

ولما نزلت التوراة جاء فيها الحكم ببناء مساجد من تراب. وقد بنى أنبياء اليهود وعلماؤهم وملوكهم مساجد من تراب، لا تبقى على الأرض طويلا. فلماذا يُميز مسجد عن مسجد؟ لابد للتمييز من علة. وهي أن يكون المسجد المميز ـ في نظرهم ـ

مكتبة المهتدين الإسلامية

مسجد حج وقبلة صلاة.

وفي القرآن الكريم عن تعدد المساجد: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

وفي القرآن الكريم عن تمييز مسجد الكعبة عن كل المساجد: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ لم يقل لمسجد جدّد وإنما قال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ والمسجد المميز يجتمع الناس حوله من كل مكان؛ ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى وليشهدوا منافع لهم، وليبتغوا فضلا من ربهم. فكيف وهذا هو الهدف من وضع مسجد مميز عن غيره أن يعدّد إبراهيم وبنوه من بعده مساجد حج وقبلة لتفريق المسلمين إلى أحزاب وشيع؟ هل أثر عن إبراهيم أنه قسم الناس إلى قسمين. قسم له كعبة مكة وقسم له كعبة فلسطين التي سموها المسجد الأقصى؟ أقسم له الحج إلى الكعبة، وقسم له الحج إلى مسجد في أورشليم؟ هل أثر عنه أنه قسم أهل فلسطين إلى قسمين. قسم له الحج إلى «نابلس» وقسم له الحج إلى «القدس»؟ إنه إن كان قد فعل ذلك؛ فإنه يكون صارفا للناس عن الكعبة. وهذا لا يقول به عاقل. وإن قلنا: إنه هو المجدد للمسجد الأقصى؛ فإنه يلزمنا إيراد الدليل على أنه قد كان موجودا من قبل ولادته. وليس من دليل. بل في القرآن ما يدل على أن أول بين وضع للناس من بعد الطوفان هو مسجد الكعبة؛ ليكون قبلة ومنسك حج. ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ - ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

وإنه إن كان قد فعل ذلك. فإنه يجب البحث عن تعيين المسجد الذي جدده أو أسسه في فلسطين وأمر بأن يكون قبلة. هل هو المسجد الذي يحج إليه السامريون، أو هو المسجد الذي يحج إليه العبرانيون؟ فإن السامريين يدعون ادعاء العبرانيين في مسجدهم. ولو كان غرض كل فريق من تعظيم مسجده؛ هو أنه كأى مسجد. ما كانوا قد ادعوا في التعظيم لكل منهما كل ما ادعوا.

لقد ادعى العبرانيون: أن سليمان لما بنى المسجد الأقصى؛ طلب من الله تعالى أن

http://www.al-maktabeh.com

يجعله قبلة صلاة ومكان حج، وأن الله قد استجاب له. فلماذا كانت الكعبة إذاً؟

اقرأ الكلام المنسوب إلى سليمان ـ عليه السلام ـ في تبرير عمله. وفيه يقول لله تعالى: «فالتفت إلى صلاة عبدك، وإلى تضرعه. أيها الرب إلهي واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك اليوم؛ لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهارا على الموضع الذي قلت: إن اسمى يكون فيه؛ لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع، واسمع تضرع عبدك وشعبك إسرائيل، الذين يصلون في هذا الموضع» [١مل ٨: ٢٨ ـ ٣٠]

ما معنى هذا الكلام المنسوب زورا إلى سليمان ـ عليه السلام ـ؟

في توراة موسى يقول الله تعالى لبنى إسرائيل: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا؛ آتى إليك وأباركك» [خر ٢٠: ٢٤] فما هو السبب في نسخ «كل الأماكن» وتحديد مكان واحد؟ وليس لهم أن يسمعوا من نبى مشرع غير موسى من بنى إسرائيل حتى يتحتم القول بنسخ شريعة بشريعة. وقوله «واسمع الصراخ» يبين به انتقال التكبير والتلبية من مكة إلى أورشليم. وذلك لأن الصراخ منهى عنه في الصلاة. فقد قال المسيح ـ عليه السلام ـ: «وحينما تصلّون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم؛ فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم، يُستجاب لهم» [متى ٦: ٧] وفي التوراة: «لا تستعجل فمك، ولا يُسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله» [جا ٥: ٢] وقوله: «على الموضع الذي قلت: إن اسمى يكون فيه» يريد به: أن الله قال في شريعة موسى: إنني سأرسل إلى بنى إسرائيل نبيا يحدد لهم موضع حج. وليس في شريعة موسى هذا الحكم، لأن النبي الذي سيأتى ليحدد لهم الموضع. لا يمكن أن يكون من بنى إسرائيل، لأن موسى أمر عن أمر الله أن لا يزيدوا عليها أو ينقصوا منها، وقال: إن الآتى سيكون مثلي. ولا نبي مثلي سيأتي من بنى إسرائيل. ونص الكلام: «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه؛ لكى تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها» [تث ٤: ٢]

وقال عن محمد ﷺ: «له تسمعون في كل ما يكلمكم به» ذلك قوله: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون» ـ «أقيم لهم: نبيا من

مكتبة المهتدين الإسلامية

وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى في فمـه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [تـث ١٨: ١٥و١٨] ـ «ولم يقم بعد نبى في إسرائيل مثل موسى» [تث ٣٤: ١٠ ـ]

وفي الكلام المنسـوب إلى سليمان: «فـكل صلاة وكل تضرع تكـون من أى إنسان كان، من كل شعبك إسرائيل، الذين يعرفون كل واحـد ضربة قلبه؛ فيبسط يديه نحو هذا البيت؛ فاسمع أنت من السماء مكان سكناك؛ واغفر»

قوله «فيبسط يديه نحو هذا البيت» يدل على أن هيكل سليمان تعين قبلة، ولم يعد كأى مسجد من المساجد التي أمر الله بإقـامتها من تراب. وتعيينه قبلة هو خروج على أحكام التوراة التي تقول: إن الصلاة تجـوز في كل مكان، وإلى أية جهة. وفي الكلام المنسوب إلى سليـمان: «وكذلك الأجنبى الذي لـيس من شعبك إسـرائيل هو. وجاء من أرض بعـيدة من أجل اسمـك لأنهم يـسمعـون باسـمك العظيم، وبيـدك القـوية وذراعك الممدودة. فمتى جاء وصلى في هذا البيت»

قوله: «فـمتى جاء» يدل على أنه تعين منسك حج بدل الكعـبة. وهذا لا يمكن أن يصدر من سليـمان؛ لأن نوحا أذّن في الحج إليها ـ أى فـرض ـ وهم من ذريته. ولم ينبـه موسى على نسخ هذا الأذان. ولذلك قـال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾

وفي القـرآن الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

قـوله ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قد بينه الله في القرآن بأنه الكعـبة في قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ وقوله: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

ووصفه بالبركة في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

وقوله ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ معناه إلى ﴿الْمَسْجِدِ﴾ البعيد عن ديار بنى إسماعيل ـ عليـه السلام ـ وهذا المسجـد البعيـد لم يرد في القـرآن تعيـينه هل هو مسـجد قـبة الصخـرة؟ هل هو المسجـد المعروف بهيكل سليـمان؟ هل هو مـسجد السـامريين في «شكيم» التي هـي «نابلس»؟ لذلك لجـأ الناس إلى الأحـاديث الـنبـوية لتـعيـين هذا

http://www.al-maktabeh.com

المسجد. وفيها: أنه ربط البراق بالصخرة. وعلى ذلك لا يكون هيكل سليمان هو المسجد الأقصى في الآية، ولا يكون مسجد السامريين هو المراد. وفي الأحاديث أيضا: أنه هو المسجد المعروف بهيكل سليمان. ثم اختلف الرواة في المؤسس له. هل هو إبراهيم أم سليمان أم يعقوب؟

لذلك لا تكون الأحاديث حجة في تفسير آية أول سورة الإسراء. ويتعين البحث في القرآن عن صفة هذا المسجد البعيد. وقد وصف الله المسجد الحرام بأنه مبارك. ولم يصف المسجد البعيد بأنه مبارك. فإن ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ تعود إلى المسجد الحرام ولا تعود إلى المسجد الأقصى؛ لقوله: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ وفي القرآن أن اليهود اتخذوا مسجدا ضرارا وهو مسجد ضرر لأنهم أسسوه ليجعلوه عوضا عن الكعبة في الحج. فيكون المعنى: أن الله أسرى بعبده من مكة مكان المسجد الحرام المبارك، إلى فلسطين مكان المسجد البعيد. والغرض من هذا الخبر: تعريفه أنه سيملك على أرض الحجاز وأرض فلسطين.

ولئن قيل: إن الضمير وهو الهاء في ﴿حَوْلَهُ﴾ يعود إلى أقرب مذكور في الكلام وهو ﴿ الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ فإن عود الضمير إلى أقرب مذكور؛ ليس قاعدة ملزمة في اللغة العربية. وإن سلمنا بهذه القاعدة على جهة الإلزام؛ لزم عليها أن لا يكون محمد رسول الله؛ نبيا مرسلا من الله. وهذا لا يقول به مسلم. ومما يدل على أن عود الضمير إلى أقرب مذكور ليس بلازم: قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

وهل وهب الله إسحق ويعقوب للوط الذي هو أقرب مذكور؟ كلا. فإنه يتحدث عن إبراهيم. وإسحق هو ابن إبراهيم. وهل الضمير وهو الهاء ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ يعود إلى يعقوب؟ لو عاد إلى يعقوب وهو أقرب مذكور؛ لبطلت نبوة محمد ﷺ لأنه من إسماعيل. والنبوة والكتاب في إسماعيل ويعقوب.

* *

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي حديث القرآن عن القبلة في بنى إسرائيل

يبين أن الله لم يحدد في التوراة جهة معينة للصلاة. ذلك قوله: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمى ذكرا؛ آتى إليك وأباركك» [خر ٢٠:٢٤] ولذلك كان المؤمنون على شريعة التوراة من بنى إسرائيل والعرب وغيرهم من جميع الأمم يبنون مذابح - وهي المساجد - من تراب، ومن حجارة غير منحوتة، ويصلون فيها إلى أية جهة.

وهذا هو الغرض من قوله في القرآن الكريم: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ والكعبة جهة من الجهات. ولم يكونوا ملزمين بالاتجاه إليها. ولكنهم إن اتجهوا إليها استحسانا؛ فإنهم لا يُمنعون من الاتجاه إليها، ولا يقال: إن صلواتهم غير مقبولة. وإذا اتجهوا إلى جهة الشمال؛ فإن صلواتهم مقبولة، وكذلك في المشرق والمغرب. فلما فرض الله على المؤمنين بمحمد ﷺ جهة الكعبة، وبين لهم أن الصلاة لا تقبل منهم إلا بالاتجاه إليها. قال علماء بنى إسرائيل: ما الذي صرف المؤمنين عن «كل الأماكن» إلى مكان واحد؟ ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ ؟ ألم يكونوا على أية جهة من الجهات؟ فلماذا فضلوا جهة مكة؟

نحن نعلم من التوراة [١] :أن نبيا سوف يرسله الله إلينا يُحدد لنا «مكانا واحدا»

---

(١) في الأصحاح الثاني عشر من سفر التثنية:

«هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض: تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان. لا تفعلوا هكذا للرب إلهكم.

بل المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه. سكناه تطلبون وإلى هناك تأتون وتقدمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون بكل ما تمتد إليه أيديكم أنتم وبيوتكم كما باركلم الرب إلهكم. لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم. أى كل إنسان مهما صلح في عينيه؛ لأنكم لم تدخلوا حتى الآن إلى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب إلهكم. فمتى عبرتم الأردن وسكنتم الأرض التي يقسمها لكم الرب إلهكم وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حواليكم وسكنتم آمنين. فالمكان الذي يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم به. =

http://www.al-maktabeh.com

ولكنه سيكون في أرض أسباطنا في فلسطين. وهذا النبي الذي آمنتم به خالف اليهود وحدد في أرض آبائه. ومخالف التوراة لا يُسمع منه. وقولهم هذا باطل. لأن النبى الآتى يجب أن يسمعوا له. وليس هو من أسباطهم؛ لأن إسماعيل مبارك فيه، ولأنه مثل موسى، ولا يقوم في بنى إسرائيل كموسى. وقد ألزم الناس بالحج إلى مكة كما

=محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم وكل خيار نذوركم التي تنذرونها للرب وتفرحون أمام الرب إلهكم أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم وإماؤكم واللاوى الذي في أبوابكم لأنه ليس له قسم ولا نصيب معكم

احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه، بل في المكان الذي يختاره الرب في أحد أسباطك. هناك تصعد محرقاتك وهناك تعمل كل ما أنا أوصيك به ولكن من كل ما تشتهى نفسك تذبح وتأكل لحما في جميع أبوابك حسب بركة الرب إلهك التي أعطاك. النجس والطاهر يأكلانه كالظبى والإيّل وأما الدم فلا تأكله. على الأرض تسفكه كالماء. لا يحل لك أن تأكل في أبوابك عشر حنطتك وخمرك وزيتك ولا أبكار بقرك وغنمك ولا شيئا من نذورك التي تنذر ونوافلك ورفائع يدك بل أمام الرب إلهك تأكلها في المكان الذي يختاره الرب إلهك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوى الذي في أبوابك وتفرح أمام الرب إلهك بكل ما امتدت إليه يدك. احترز من أن تترك اللاوى كل أيامك على أرضك.

إذا وسع الرب إلهك تخومك كما كلمك وقلت: آكل لحما لأن نفسك تشتهى أن تأكل لحماً فمن كل ما تشتهى نفسك تأكل لحما إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه بعيدا عنك فاذبح من بقرك وغنمك التي أعطاك الرب كما أوصيتك وكل في أبوابك من كل ما اشتهت نفسك تأكل لحما إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه بعيدا عنك فاذبح من بقرك وغنمك التي أعطاك الرب كما أوصيتك وكل في أبوابك من كل ما اشتهت نفسك كما يؤكل الظبى والإيّل هكذا تأكله النجس والطاهر يأكلانه سواء لكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس فلا تأكل النفس مع اللحم لا تأكله. على الأرض تسفكه كالماء لا تأكله لكى يكون لك ولأولادك من بعدك خير إذا عملت الحق في عينى الرب وأما أقداسك التي لك ونذورك فتحملها وتذهب إلى المكان الذي يختاره الرب فتعمل محرقاتك اللحم والدم على مذبح الرب إلهك. وأما ذبائحك فتسفك دمها على مذبح الرب إلهك واللحم تأكله. احفظ واسمع جميع هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها لكى يكون لك ولأولادك من بعد خير إلى الأبد إذا عملت الصالح والحق في عينى الرب إلهك.

متى قرض الرب إلهك من أمامك الأمم الذين أنت ذاهب إليهم لترثهم، وورثتهم وسكنت أرضهم فاحترز من أن تصاد وراءهم من بعد ما بادوا من أمامك ومن أن تسأل عن آلهتهم قائلاً: كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتهم؟ فأنا أيضا أفعل هكذا. لا تعمل هكذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم. كل الكلام الذي أوصيكم به؛ احرصوا لتعملوا. لا ترد عليه ولا تنقّص منه» [تثنية ١٢]

مكتبة المهتدين الإسلامية

ألزمهم نوح، وموسى نبيهم. وصرح بنزع القبلة من ديارهم، كما أنبأ عنه عيسى - عليه السلام - في قوله للمرأة السامرية: «إنه تأتى ساعة. لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم؛ تسجدون للآب» - «الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» [يو ٤: ٢١ -]

وإذ ما فعله له شواهد من التوراة والإنجيل؛ فإن دعواهم تكون باطلة، ويكونون سفهاء.

ثم قال الله للمؤمنين في شخص النبي ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقد كان النبي والعرب والأمم على قبلة «كل الأماكن» وهذا هو معنى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ ومنها جهة الكعبة في مكة، وجهة المسجد الأقصى في فلسطين. وهو أيضا معنى قوله لأتباعه في شخص نبيهم: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ أي لم يكن لكم جهة محددة تلتزمون بها وأنتم تطلبون طلباتكم من رب السماء. وها نحن نحدّد لكم جهة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

وعلم أهل الكتاب أنه الحق: هو من النصوص التي ذكرناها، ومن نبوءات في سفر الزبور. وهي نصوص في عدم تحديد مكان، وتحديده في المستقبل على لسان النبي الأمي الآتى مثل موسى. ومن النصوص المشابهة للتي ذكرناها، ومنها نبوءة إشعياء عن آخر الأيام وترنم العاقر التي لم تلد.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

يخبر أنهم لن يُسلموا، وأن السامريين لم يُسلّموا للعبرانيين بصحة وجهة نظرهم في أن هيكل سليمان هو القبلة، وأن العبرانيين لن يسلموا للسامريين بصحة وجهة نظرهم في أن هيكل سنبلّط الحوروني هو القبلة.

ثم عقد مقارنة[١] بين محمد وموسى - عليهما السلام - فقال: يا بنى إسماعيل

---

(١) من الممكن أن تكون المقارنة عكسية. ومعناها: كما أرسلنا فيكم أيها اليهود من قبل. نرسل في العرب الآن؛ لأن محمدا هو المماثل لموسى. وهذا الاحتمال هو الصحيح.

http://www.al-maktabeh.com

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

أرسلنا في بنى إسرائيل رسولا منهم تلا عليهم آياتنا... إلخ. أى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ يا بنى إسماعيل أرسلنا في بنى إسرائيل. والهدف منه. أننا أرسلنا هذا النبى، كما أرسلنا موسى من قبل. وقد أمركم موسى بالسماع لهذا النبى. وإن أنتم لم تسمعوا به، تكونون كافرين بهما معا. والدافع لكم إلى قبول موسى، يكون هو الدافع لكم إلى قبول محمد ﷺ

* * *

قبلة العرب قبل محمد ﷺ

والعرب واليهود من عشيرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقد اشتركوا معا في الجهاد، تحت رئاسة بنى إسرائيل، في سبيل الله، ولم تنقطع الصلة بينهم إلا من بعد رجوع اليهود من سبى بابل بإذن من كوروش الفارسى سنة ٥٣٨ ق.م

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ أسكن إسماعيل في «مكة» البرية التي يطلق عليها أهل الكتاب «برية فاران» وأحيانا يطلقون عليها لقب «البرية» بدون تعريف بغير الألف واللام. وفي التوراة: أن إبراهيم قاتل عباد الأصنام هو والمؤمنون به في برية فاران.

* * *

أما عن سكنى إسماعيل في فاران

فالنص هو: «وكان الله مع الغلام؛ فكبر. وسكن في البرية. وكان ينمو رامى قوس. وسكن في برية فاران» [تك ٢١: ٢٠-٢١]

وأما عن حرب إبراهيم حول الكعبة

فالنص هو: «وحدث في أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك ألاسار وكدر لعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك أدمة وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر. جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى عمق السديم الذي هو بحر الملح. اثنتى عشرة سنة استعبدوا لكدر لعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه. وفي السنة الرابعة عشرة

مكتبة المهتدين الإسلامية

أتى كدر لعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزيين في هام والإيميين في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير. إلى بطمة فاران التي عند البرية. ثم رجعوا وجاءوا إلى عين مشفاط التي هي قادش. وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامار» [تك ١٤]

* * *

وأما عن نزول موسى وبنى إسرائيل في «فاران» بعد خروجهم من مصر

فالنص هو: «وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران.

ثم كلم الرب موسى قائلاً: أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبنى إسرائيل. رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون. كل واحد رئيس فيهم. فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب. كلهم رجال. هم رؤساء بنى إسرائيل» [عدد ١٢: ١٦ -]

«ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً. فساروا حتى أتوا إلى موسى وهرون وكل جماعة بنى إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش وردوا إليهما خبراً وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض. وأخبروه وقالوا: قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها. وحقا إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً» [عدد ١٣: ٢٥ -]

ومعنى هذا:

١ - إن الصلة لم تنقطع بين بنى إسماعيل وبين بنى إسرائيل وكل نسل إبراهيم؛ من زمان إبراهيم إلى زمان رجوع بنى إسرائيل من بابل وانفصال بنى إسرائيل عن بنى إسماعيل بعمل مسجد ليبتعدوا به عن الكعبة البيت الحرام. وأن موسى نفسه قاد بنى إسرائيل إلى فاران، وسكن هو وبنو إسرائيل فيها مع بنى إسماعيل كما كان يسكن فيها من قبلهم إسماعيل وإسحق ويعقوب. وفيها استعد لدخول الأرض المقدسة، وأرسل النقباء منها ليتجسسوا الأرض. ولو أن بنى إسرائيل سمعوا كلامه؛ لخرج بالمجاهدين في سبيل الله من العرب وغيرهم من أرض مكة. ولكنهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ

http://www.al-maktabeh.com

رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (٢٤) قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾

وفي زمان داود ـ عليه السلام ـ. بعد موت النبى الذي طلب منه بنو إسرائيل ملكا يقاتلون تحت إمرته في سبيل الله. وهو صموئيل «قام داود ونزل إلى برية فاران» [اصم ١:٢٥] وداود وطالوت هما اللذان فتحا الأرض المقدسة. فلماذا نزل داود إلى برية فاران. وهم يستعدون للحرب؟

وفي زمان هذه الحرب. ذهب داود إلى الأردن ـ التي هي بلاد أدوم. وأدوم هو عيسو بن إسحق ـ عليه السلام ـ لدفن القتلى. وهرب من وجهه «هدد» وكان غلاما صغيرا ورجال أدوميون ليأتوا إلى «مصر» وفي سفر الملوك الأول: «وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران، وأخذوا معهم رجالا من فاران، وأتوا إلى مصر» [١مل ١١:١٨]

* * *

وفي سفر حَبَقُّوق النبي: أن النبى الأمى الآتى مثل موسى؛ سيظهر من فاران، وسيتوجه بأصحابه الشبيهين بالملائكة إلى فلسطين ليحكموها بشريعته. وستحدث حرب بينه وبين اليهود في فلسطين تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت. وقد عبر حبقوق عن شدة الحرب بتعبيرات مجازية منها: «ودكت الجبال الدهرية» ودكت الأرض دكا دكا. ولقب النبى محمدا بلقب «المسيح» وقال: إن الله سينصره «خرجت خلاص شعبك. لخلاص مسيحك»

وهذا هو النص: «صلاة لحبقوق النبى على الشجوية:

يا رب قد سمعت خبرك؛ فجزعت. يا رب عملك في وسط السنين أحيه. في وسط السنين عرّف. في الغضب اذكر الرحمة.

الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات، والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شاع. وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر

مكتبة المهتدين الإسلامية

فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بلية، رجفت شقق أرض مديان. هل على الأنهار حمى يا رب، هل على الأنهار غضبك، أو على البحر سخطك، حتى إنك ركبت خيلك مركباتك مركبات الخلاص. عُريت قوسك تعرية. سباعيات سهام كلمتك. سلاه. شققت الأرض أنهارا. أبصرتك ففزعت الجبال. سيل المياه طما، أعطت اللجة صوتها، رفعت يديها إلى العلاء. الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة، للمعان برق مجدك، بغضب خطرت في الأرض، بسخط دست الأمم. خرجت لخلاص شعبك، لخلاص مسيحك، سحقت رأس بيت الشرير، معريا الأساس حتى العنق. سلاه. ثقبت بسهامه رأس قبائله. عصفوا لتشتيتي. ابتهاجهم كما لأكل المسكين في الخفية. سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة.

سمعت فارتعدت أحشائى. من الصوت رجفت شفتاى. دخل النخر في عظامى وارتعدت في مكانى، لأستريح في يوم الضيق عند صعود الشعب الذي يزحمنا. فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم، يكذب عمل الزيتونة، والحقول لا تصنع طعاماً، ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود. فإنى أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصى. الرب السيد قوتى ويجعل قدمى كالأيائل ويمشينى على مرتفعاتى»

[حب٣]

* * *

ابتداء انفصال اليهود عن العرب

وعمل العرب بشريعة التوراة، لأنها كانت شريعة عامة (١) ، وكانوا يصلّون نحو الكعبة؛ لأنها جهة من الجهات، وكانوا يحجون إليها. فلما رجع اليهود من سبى بابل، وشرعوا في تأسيس مسجد، لصرف الحجاج إليه، ولجعله قبلة؛ اعترضوا على تأسيسه. ليس لأنه مسجد كسائر المساجد التي يجب شرعا أن تبنى من تراب، بل لأنه سيحل محل الكعبة. وتعاون معهم اليهود السامريون وغيرهم على الاعتراض

---

(١) راجع فصل الدعوات العالمية السماوية في كتاب نقد التوراة أسفار موسى الخمسة - أحمد حجازى السقا - نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة.

http://www.al-maktabeh.com

على تأسيسه. فلما أسسوه بمساعدة الفارسيين. وهم كانوا معترضين عليه؛ لم يحجوا إليه، ولم يصلّوا جهته. وظلوا يصلون، ويحجون على ما كانوا عليه من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ. والصابئون إلى هذا اليوم يتجهون في صلواتهم نحو الجنوب. وهم طائفة من اليهود (١) . أسسها يحيى ـ عليه السلام ـ والجنوب فيه الكعبة. «قال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب»

«وتقتصر صلاتهم على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض من دون سجود. وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة تقريبا. وهي تؤدى ثلاث مرات في اليوم. قبيل طلوع الشمس، وعند زوالها، وقبيل غروبها. وتستحب الصلاة جماعة في أيام الآحاد وفي الأعياد أيضا. (٢)»

* * *

حرمة التعدى على مساجد الله

وفي القرآن الكريم أيضا عن أن الله لم يحدد لبنى إسرائيل قبلة في الصلاة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

يخبر عن أن الصاد عن سبيل الله ظالم. والذي يمنع ذكر الله في المساجد، لا أحد أظلم منه. ثم ذكر أن التوجه في الصلاة كان إلى أية جهة بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ثم خصص الجهة بالكعبة لأنهم يرضونها جميعا. العرب يرضونها لأن إبراهيم وإسماعيل هما المجددان لها بعدما أسسها نوح. والنبى مبعوث فيهم على ملة إبراهيم. الذي عقد عهدا معه هو وإسماعيل بتطهير الكعبة من عبادة الأصنام. ذلك قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

---

(١) راجع عن الصابئين: كتاب «الصابئون» ـ أحمد حجازى السقا ـ مكتبة النافذة القاهرة.

(٢) ص ٢٩و٩٢ الصابئون في حاضرهم وماضيهم ـ السيد عبد الرزاق الحسينى ـ مطبعة العرفان بلبنان سنة ١٩٧٠ م

مكتبة المهتدين الإسلامية

والأتقياء من بنى إسرائيل وسائر نسل إبراهيم يرضونها؛ لأنها كانت قبلتهم جميعا إلى أن حولهم سفهاء بنى إسرائيل عنها قسرا إلى المسجد الذي أسسوه من بعد الرجوع إلى فلسطين من بابل. وقد قال لنبيه: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ وهو الكعبة. وأشار بالأساس إلى أصل وضعه في زمان نوح - عليه السلام - .أما الهيكل المنسوب إلى سليمان فإنهم كتبوا في صفته أنه« أُسِّسَ» ولم يكتبوا في صفته أنه «جدد» ونسبوا التأسيس زورا إلى داود وابنه سليمان. وقد نفى الله بقوله ﴿أُسِّسَ﴾ ما زعموا أنه هو المؤسس. وهو الهيكل. ففي سفر عَزْرا في الأصحاح الثالث:

«ولما استهل الشهر السابع وبنو إسرائيل في مدنهم؛ اجتمع الشعب كرجل واحد إلى أورشليم. وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة وزربابل بن شألتيل وإخوته وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات، كما هو مكتوب في شريعة موسى رجل الله. وأقاموا المذبح في مكانه لأنه كان عليهم رعب من شعوب الأراضي وأصعدوا عليه محرقات للرب. محرقات الصباح والمساء وحفظوا عيد المظال كما هو مكتوب. ومحرقة يوم فيوم بالعدد كالمرسوم. أمر اليوم بيومه. وبعد ذلك المحرقة الدائمة وللأهلة ولجميع مواسم الرب المقدسة ولكل من تبرع بمتبرع للرب.

ابتدأوا من اليوم الأول من الشهر السابع يصعدون محرقات للرب. وهيكل الرب لم يكن قد تأسس. وأعطوا فضة للنحاتين والنجارين ومأكلا ومشربا وزيتا للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب أرزٍ من لبنان إلى بحر يافا حسب إذن كورش ملك فارس لهم.

وفي السنة الثانية من مجيئهم إلى بيت الله إلى أورشليم في الشهر الثاني؛ شرع زربابل بن شألتيل ويشوع بن يوصاداق وبقية إخوتهم الكهنة واللاويين وجميع القادمين من السبى إلى أورشليم وأقاموا اللاويين من ابن عشرين سنة فما فوق للمناظرة على عمل بيت الرب ووقف يشوع مع بنيه وإخوته، قدميئيل وبنيه بنى يهوذا معا للمناظرة على عاملى الشغل في بيت الله، وبنى حيناداد مع بنيهم وإخوتهم اللاويين.

ولما أسس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق، واللاويين بنى آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود ملك إسرائيل وغنوا بالتسبيح والحمد للرب

http://www.al-maktabeh.com

لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته على إسرائيل. وكل الشعب هتفوا هتافا عظيما بالتسبيح للرب لأجل تأسيس بيت الرب. وكثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوس الآباء الشيوخ الذين رأوا البيت الأول بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم؛ بالهتاف بفرح. ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب؛ لأن الشعب كان يهتف هتافا عظيما حتى أن الصوت سمع من بعد» [عزرا ٣]

* * *

﴿فيه آياتٌ بيِّناتٌ﴾:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

قوله ﴿وُضِعَ﴾ بالبناء للمجهول يدل على واضع معلوم لجمع الأمم. - والوضع: هو الفرض عليهم- وعلمهم يكون من التوارة. كما في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فإن اللاعن معلوم لجميع الأمم من التوراة وهو النبى المنتظر بظهر الغيب. وقد نقل لعنته داود في المزمور المائة والتاسع عشر. ونقل المسيح عيسى - عليه السلام - كلام داود في الأصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى. والواضع للبيت هو نوح - عليه السلام - من بعد طوفان الماء. وقد وضعه ليكون «مذبحا» لحرق القرابين عليه من الإبل والبقر والغنم وغيرهم؛ مرضاة لله. ولذلك ترى من حجارته من اسودّ من إيقاد النار تحته. وفي التوراة عن هذا الأمر: «فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه. وكل الحيوانات وكل الدبابات وكل الطيور. كل ما يدب على الأرض. كأنواعها؛ خرجت من الفلك. وبنى نوح مذبحا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات للمذبح». [تك ٨: ١٨ - ٢٠] وكانت النيران أحياناً تلتهم القرابين، إذا كان الله قد تقبلها من المؤمنين به. وكان إبراهيم - عليه السلام - يبنى في زمانه «مذابح» لله، بعدما جدد مذبح نوح في مكة. ففى التوراة «فبنى هناك مذبحاً للرب» - «فبنى هناك مذبحاً ودعا

مكتبة المهتدين الإسلامية

باسم الرب. ثم ارتحل ارتحالاً متواليا نحو الجنوب» ـ «وبنى هناك مذبحاً للرب» وبنى إسحق ـ عليه السلام ـ مذابح لله «فبنى هناك مذبحاً، ودعا باسم الرب» وكان عبّاد الأوثان يبنون مذابح للأوثان. ومنها مذابح لصنم البعل؛ وكانوا يحرقون القرابين على حجارة مذابح الأوثان. أما المؤمنون بالله فإنهم كانوا يبنون مذابح باسم الله. ويحرقون قرابينهم عليها. ويدل على ذلك: هذا النص من الأصحاح السادس من سفر القضاة:

«فقال لهُ الرب: إنى أكون معك، وستضرب المديانيين كرجل واحد. فقال لهُ: إن كنت قد وجدت نعمةً في عينيك فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى. لا تبرح من هنا حتى آتى إليك وأُخرج تقدمتي وأضعها أمامك. فقال: إني أبقى حتى ترجع. فدخل جدعون وعمل جدي معزى وإيفة دقيق فطيراً. أما اللحم فوضعهُ في سلٍ وأما المرق فوضعهُ في قدرٍ وخرج بها إليه إلى تحت البطمة وقدَّمها. فقال لهُ ملاك الله: خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة واسكب المرق. ففعل كذلك. فمدَّ ملاك الرب طرف العكّاز الذي بيده ومسَّ اللحم والفطير فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير. وذهب ملاك الربّ عن عينيه. فرأى جدعون أنهُ ملاك الرب. فقال جدعونُ: آه يا سيدي الربَّ لأني قد رأيت ملاك الرب وجهاً لوجه. فقال لهُ الرب: السلام لك. لا تخف. لا تمت. فبنى جدعون هناك مذبحاً للربَّ ودعاهُ يهوه شَلُوم. إلى هذا اليوم لم يزل في عفرة الأبيعزَريين.

وكان في تلك الليلة أن الربَّ قال لهُ: خذ ثور البقر لأبيك وثوراً ثانيا ابن سبع سنين واهدم مذبح البعل الذي لأبيك واقطع السارية التي عندهُ وابنِ مذبحاً للرب إلهك على رأس هذا الحصن بترتيب وخذ الثور الثاني وأصعد محرقة على حطب السارية التي تقطعها. فأخذ جدعون عشرة رجال من عبيده؛ وعمل كما كلّمه الربّ. وإذ كان يخاف من بيت أبيهِ وأهل المدينة أن يعمل ذلك نهاراً؛ فعملهُ ليلاً.

فبكر أهل المدينة في الغد وإذا بمذبح البعل قد هدم، والسارية التي عندهُ قد قُطعَت، والثور الثاني قد أصعد على المذبح الذي بُنِي. فقالوا الواحد لصاحبه: مَنْ عمل هذا الأمر؟ فسألوا وبحثوا فقالوا: إن جدعون بن يوآش قد فعل هذا الأمر.

http://www.al-maktabeh.com

فقال أهل المدينة ليوآش أخرج ابنك لكي يموت؛ لأنه هدم مذبح البعل وقطع السارية التي عنده. فقال يوآش: لجميع القائمين عليه: أنتم تقاتلون للبعل أم أنتم تخلصونه؟ مَنْ يقاتل لهُ؛ يُقتَلَ في هذا الصباح. إن كان إلهاً فليقاتل لنفسه لأن مذبحهُ قد هُدِم. فدعاهُ في ذلك اليوم يربَّعل قائلاً: ليقاتلهُ البعل لأنهُ قد هَدَمَ مذبَحهُ» [قضاة ٦]

هذا عن أصل الكعبة.

وأما عن تجديد إبراهيم ـ عليه السلام ـ لبناء الكعبة: فإن هجرة إبراهيم كانت إليها، ولم تكن إلى بلاد الشام - كما زعم أهل الكتاب- ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض مكة المباركة بنزول شريعة نوح فيها من بعد الطوفان. وقد قال تعالى عن هذه البركة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ولما أراد إبراهيم الوصول إليها؛ لم يمنعه أحد من الوصول إليها. وذلك لأن الناس من بعد الطوفان لما ارتحلوا شرقاً إلى أرض العراق؛ كانوا مأمورين من نوح ـ عليه السلام ـ بأنهم إذا تفرقوا في الأرض أن يأتوا إلى مكة لرؤية هذا المذبح؛ حتى لا ينسوا فضل الله عليهم أن هداهم للإيمان. وهذا الأمر من نوح لمن يستطيع؛ لأن هو صاحب الشريعة. وظل أمره فرضا إلى زمان موسى صاحب الشريعة الثانية. وليس من حق أحد من بعد نوح إلى موسى أن يؤذن في الأمم بالحج أو بغير الحج؛ سواء أكان نبياً أو غير نبي. ولم يؤذن أحد بالحج. وهم مأمورون به من صاحب الشريعة التي هو عليها؟

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ كان على شريعة نوح. وقد طهر الكعبة من عبّاد الأوثان، ورأى حجارة مذبحه متناثرة ومطمورة في الأرض، وعمل أساسا منها في الأرض، وبنى على الأساس سطراً فسطراً، إلى أن رفع الأساس من البيت. وصار ظاهراً. وطاف حوله كما يطوف الناس من قبله، وذبح ذبائح قرباناً لله، وأطعم البائس الفقير.

ولما فعل ذلك؛ وجد الحجاج من كل أمة من الأمم في أشهر معلومات لهم، يأتون إلى جبل عرفات، ثم ينزلون منه إلى الكعبة للطواف حولها. ففعل مثلهم. وعلى ما فعلوا؛ يكون منسك الحج ١ ـ تجمع في عرفات. ٢ ـ وطواف حول الكعبة. ولم يزد

مكتبة المهتدين الإسلامية

إبراهيم على هذين شيئاً من المناسك. والسعى بين الصفا والمروة؛ لم يجعله إبراهيم من المناسك؛ لأنه لم يكن منسكاً في زمان نوح ـ عليه السلام ـ.

وفي القرآن أنه منسك اختياري، عبر الله عنه بقوله: ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ وفي القرآن ـ لأن محمد ﷺ صاحب شريعة ـ زيادة مناسك عن مناسك نوح التي لم يزد إبراهيم عليها منسكاً واحداً. عبر الله عنها بقوله: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإن الإتمام معناه: أن في الشريعة الجديدة زيادة مناسك عما كان في الشريعة القديمة. منها حلق الرأس للمحصر بعد الهدي، ومنها الجمع بين العمرة والحج في سنة واحدة لغير المقيمين قرب البيت.

وفي القرآن الكريم حد فاصل بين عرفات وبين الكعبة. أمر الله بذكره عنده. وهو ﴿ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ وهو ليس منسكاً من مناسك الحج؛ لأنه لم يكن في زمان نوح ـ عليه السلام ـ. وهذا المنسك من فعل إبراهيم؛ ليفصل به بين الحل والحرم؛ فإنه لما أراد أن يجعل ﴿ حَرَمًا آمِنًا ﴾ إذا التجأ إليه الجانى يكون آمنا حتى يفصل في أمره شيوخُ مكة؛ وضع أعلاما في الأرض ـ هي نُصُب ـ ومنها علم عند آخر عرفات في مكان يسمى بالمزدلفة. وهذا العلم هو المعروف بالمشعر الحرام، وعلم جهة اليمن، وعلم جهة العراق، وعلم جهة يثرب. ومن العلم الذي هو فوق إلى العلم الذي هو أسفل تكون الأرض الحرام. وما فوق العلم إلى أعلى؛ تكون أرض الحل. وهذه الأعلام مازال إلى هذا اليوم موجودة، ويجددها شيوخ مكة.

وهي تدل على أن إبراهيم كان في مكة عند البيت. ولم يكن نوح في حاجة إلى نصب هذه الأعلام؛ لقلة المؤمنين يومئذ، وكان كل الناجين من الطوفان أبرارا لا يفكرون في شر. ومكة لهذا الأمن كانت تُعرف بمدينة الخليل. إلى زمان رجوع اليهود من بابل. وقد استبدلها المحرفون بمدينة «حَبْرون» في أرض فلسطين. وزعموا: أنها هي مدينة الخليل، وأنها مدينة محرمة، وأن سارة قد دفنها إبراهيم فيها. وهو أيضا قد دفن فيها. وكل ذلك منهم لإبعاد أية آية تدل على أن إبراهيم كان في مكة.

ويدل على كذبهم: أن سارة لما ماتت. تزوج إسحق رفقة ودخل عليها في خباء سارة. وأنه كان مع رفقة في «أرض الجنوب» عند «بئر لحَى رئِى» وهو بئر الحى الرائى

http://www.al-maktabeh.com

الذي كانت عنده هاجر أم إسماعيل. ففي سفر التكوين: «فقامت رفقة وفتياتها وركبن على الجمال، وتبعن الرجل. فأخذ العبد رفقة ومضى. وكان إسحق قد أتى من ورود بئر لَحَيّ رئِي. إذ كان ساكنا في أرض الجنوب» [تك ٢٤: ٦٢: ٦١] «فأدخلها إسحق إلى خباء سارة أمة، وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها» [تك ٢٤: ٦٧]

وقال المفسرون: إن أرض فاران التى سكن فيها إسماعيل هى جنوب أرض كنعان. وبئر «لحى رئى» تدل على مكان الكعبة. وبيان ذلك: أن الناس من جميع الأمم من زمان نوح ـ عليه السلام ـ كانوا يأتون إلى مكان «المذبح» وهو البيت الذي بناه نوح للحج، ويلتمسون رضا الله عليهم. ويعبرون عن الرضا بأن الله نظر إليهم نظر رحمة. فإنه لما فاض الماء من زمزم؛ أسموه بئر الله الحى الذى يرى الحجاج وينظر إليهم نظر رحمة؛ ويُعبرون عن الحاج أنه تراءى قدام الله. أى وقف مع الحجاج عند الكعبة ليراه الله قد جاءه متذللاً؛ فيرحمه.

وفي زبور [1] داود ـ عليه السلام ـ عن هذا المعنى: «عطشت نفسى إلى الله، إلى الإله الحى. متى أجئ، وأتراءى قدام الله؟» أي أقف مع الحجاج عند بيت الله.

ذلك قوله: لأنى كنت أمرّ مع الجمّاع أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد» [مزمور ٤٢] يقول: إننى أمر مع جماعات منحدرين إلى بيت الله. ونحن جميعا نقول بصوت مرتفع، صوت ترنم وحمد: «لبيك اللهم لبيك. إن الحمد والنعمة لك» ففي المزمور يقول: «صوت ترنم وحمد» وأنه كان يرى الجماعات وهي تتجمع. ثم

---

(١) «كما يشتاق الإيَّل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا ألله. عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجئ وأتراءى قدام الله؟ صارت لي دموعي خبزاً، نهاراً وليلاً. إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك. هذه أذكرها فاسكب نفسي عليَّ. لأنى كنت أمرُّ مع الجُمَّاع أتدرَّج معهم إلى بيت الله بصوت ترنُّم وحمدٍ جمهورٍ معيِّد. لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي اللهَ لأني بعدُ احمده لأجل خلاص وجهه. يا إلهي نفسي منحنية فيَّ. لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعَر. غمر ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طَمتْ عليَّ. بالنهار يوصي الرب رحمتهُ وبالليل تسبيحهُ عندي. صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً مضايقة العدُو؟ بسحق في عظامي عيّرني مضايقيَّ بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟ لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجى الله لاني بعدُ أحمدهُ. خلاص وجهي وإلهي» [مزمور ٤٢]

مكتبة المهتدين الإسلامية

من بعد تجمعها؛ تنحدر إلى بيت الله. أى أنهم كانوا يتجمعون في عرفات، ثم ينحدرون منه إلى الكعبة بيت الله. ثم يقول لله: «أرسل نورك وحقك. هما يهديانني ويأتيان بى إلى جبل قدسك وإلى مساكنك؛ فآتى إلى مذبح الله» [مزمور ٤٣] والجبل المقدس هو جبل مكة. ومذبح الله هو الكعبة البيت الحرام.

وفي مزمور ٨٤ يقول: «عابرين في وادى البكاء» ـ وفي بعض التراجم «وادى بكة» ـ «يذهبون من قوة إلى قوة» وهذا هو التدرج للهبوط إلى الكعبة «يُرون قدام الله» في موسم الحج.

وكل ذلك يدل على أن الناس كانوا يحجون إلى الكعبة في زمان داود ـ عليه السلام ـ من قبل بناء اليهود لهيكل سليمان؛ ليتخذوه كعبة بدل كعبة.

فمن فرض الحج إلى الكعبة على بنى إسرائيل؟

هل هو إبراهيم؟ لا يقدر أحد أن يقول: إن الذي فرض الحج على بنى إسرائيل والأمم هو إبراهيم؛ لأن الفرض لا يكون إلا من نبى صاحب شريعة، وإبراهيم لم يكن صاحب شريعة فإنه كان على شريعة نوح. لم ينسخها ولم ينقضها. وقد كان فيها التوصية بالحج. بدليل: أنه قد أُوحي إليه: ﴿لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

فقوله ﴿وَطَهِّرْ﴾ أى حارب عباد الأصنام لئلا ينجسوا الكعبة؛ يدل على أن الكعبة كانت موجودة من قبل زمانه وأن عباد الأصنام دنسوها بوضع أصنام عندها. وفي سورة أخرى: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وطهارة إبراهيم كانت في زمانه بالحرب، وكان يعاونه المؤمنون معه. وطهارة إسماعيل للبيت بالحرب تبدأ من محمد رسول الله؛ لأن الملك على الأمم والشريعة من بعد موت إبراهيم: كانتا في نسل إسحق من موسى ـ عليه السلام ـ والعرب كانوا مساعدين لهم. ومما يدل على أن شريعة نوح كانت مفروضة على جميع الأمم إلى أن يأتى موسى رسول الله: أن كل الحيوانات كانت حلا، وأن يعقوب ـ عليه السلام ـ من تلقاء نفسه حرم عرق النَّسا الذي على حق الفخذ على نفسه. ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

http://www.al-maktabeh.com

فقوله: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ ﴾ إلى زمان يعقوب. وهو بعد إبراهيم بزمان؛ يدل على أن إبراهيم وغيره من الأنبياء كانوا على شريعة نوح ولم ينسخوها وقد كان فيها فرض الحج إلى الكعبة.

فما هى الفائدة من أذان إبراهيم في الناس بالحج، والكل مأمورون به توصية به من نبى الله نوح صاحب الشريعة الأولى؟

ثم إنه في سورة الحج لما تكلم عن تطهير البيت من عبادة الأصنام؛ لم يذكر في سورة البقرة أذان إبراهيم للناس بالحج، واكتفى بطلب إمام من الله عوضاً عنه فى نسل إسماعيل، واستجاب الله له. ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ وليس ببعيد - بل هو الحق - أن يكون المؤذن في الناس بالحج ليأتوه ماشين وراكبين؛ هو محمد رسول الله؛ لقوله: ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ثم إن قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يدل قوله ﴿ فِي النَّاسِ﴾ على اليهود وهم بنو إسرائيل. ونحن نعلم أن يعقوب كان له ستة عشر عاماً حين موت إبراهيم، ولم يكن قد أنجب نسلاً. فكيف يؤذن في نسل غير موجود؟ وإذا قلنا: إن ﴿النَّاسِ﴾ تدل على نسل إسحق والأولاد الستة لقطورة امرأة إبراهيم؛ فإنهم كلهم كانوا مقيمين فى أرض الجنوب عند بئر الحى الرائى وهي أرض مكة؟ فكيف يأتونه رجالاً وعلى كل ضامر وهم جميعاً حول إبراهيم؟ وإذا قلنا: إن لفظ ﴿النَّاسِ﴾ لجميع أمم الأرض؛ فإن القرآن يرد هذا المعنى؛ لأن أرض سكن إبراهيم هى مكة، ولأنه في القرآن أن لفظ ﴿النَّاسِ﴾ خاص باليهود. ومن ذلك: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾؟ وعلماء اليهود لا يأمرون الأمم من بعد الرجوع من بابل. ومن ذلك أيضاً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ اى ومن اليهود المتظاهرين بالكفر جماعة منافقون. وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يدل على أن المتكلم المؤذن صاحب شريعة، يريد منهم أن يأتوا إليها في كل زمان ومكان. وإبراهيم لم يكن صاحب شريعة. ولكن ههنا سؤال. وهو أننا لو فسرنا المؤذن بأنه هو محمد رسول الله ﷺ. وأذن في اليهود فقط. فما هى الفائدة من التخصيص

مكتبة المهتدين الإسلامية

باليهود. مع أنه مأمور بالأذان فى الأمم؟

إن الفائدة من التخصيص باليهود هى: أنهم من دون الأمم؛ غيروا الحج من الكعبة فى مكة، إلى هيكل بنوه في فلسطين واتخذوه كعبة: ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ والدليل على أنهم غيروه: هو أنهم كتبوا فى نبوءات داود عن الحج كلمة «صهيون» يعنون بها أن مناسك الحج في جبل صهيون، وليست في جبل مكة. ومن ذلك: «طوبى لأناس عزّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. عابرين فى وادى البكاء. يصيرونه ينبوعاً. أيضاً ببركات يغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يرُون قدام الله في صهيون» [مزمور: ٨٤:٧-٥] ولو كان قولهم هو الصحيح؛ ما كانوا يختلفون في مكان الحج؛ فإن السامريون يزعمون أنه على جبل جرزِيّم.

فلما غيروه من بعد الرجوع من بابل؛ أذّن محمد رسول الله فيهم بالحج إلى الكعبة فى مكة، وبين لهم أن ما هم عليه في أمر الحجاج ضلال. ونبين لهم ـ فوق أنهم من دون الأمم قد غيروا ـ هو أن الله يخاطبهم بالقرآن. كما طلبوا من الله يوم أن نزلت التوراة على جبل سيناء. ذلك بأنهم لما رأوا النار والدخان قالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا؛ فليكن عن طريقك ونحن لك نسمع ونطيع. وقال الله لموسى: لن أكلمهم عن طريقك، وإنما فى المستقبل من الزمان سوف أكلمهم عن طريق نبى أمى، أجعل كلامي في فمه. وقد وفى الله بوعده وكلمهم بواسطة محمد رسول الله ﷺ ذلك قوله: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [تث ١٨-١٥]

وعلى ما طلبوا. نجد القرآن يوجه كلامه إليهم، والأمم يُخاطبون بالقرآن عن طريقهم. كما أن التوراة توجه الكلام إليهم بمثل: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» [تث٦:٥] والأمم مخاطبون بتوحيد الله عن طريقهم. وقول من يقول: إن قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ هو

http://www.al-maktabeh.com

لمحمد رسول الله لا لإبراهيم خليل الله؛ هو أصوب من قول المفسرين القائلين إنه لإبراهيم، من جهة العقل؛ فإن هؤلاء المفسرين لما استبعدوا عقلا أذان. أى أنهم جعلوا الأذان على ظاهره وهو أن يفعل مثل المؤذن للصلاة وهو على جبل من الجبال واضعاً يده اليمنى على أذنه، وجعلوا الجبال تردد صوته بصوت مسموع له حروف لا أنها تردد بالصدى. وليس أى من هذين هو المراد. فإن الأذان معناه الإعلام للناس، وإن ترديد الجبال لصوته لا يكون إلا لمعجزة مطلوبة للتحدى. ولا أحد يشك في أنه خليل الله حتى يطلب منه معجزة.

ففى تفسير الشيخ الإمام ابن كثير رحمه الله:

«وقوله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أى ناد في الناس داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه. فذكر أنه قال: يا رب كيف أبلغ الناس، وصوتي لا ينفذهم؟

فقال: ناد، وعلينا البلاغ. فقام على مقامه. وقيل: على الحَجَر. وقيل: على الصفا. وقيل: على أبى قبيس. وقال: يا أيها الناس. إن ربكم قد اتخذ بيتاً؛ فحجوه. فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من فى الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شئ سمعه من حجر ومَدَر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف. والله أعلم. وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة» انتهى كلامه. وهو محجوج بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ وهؤلاء الكرام ما قالوا ما كتب عنهم. والذين كتبوه عنهم زورا هم المنافقون من علماء بنى إسرائيل. فإن المؤذن الذي أرسله يوسف لم يضع يديه على صدغيه. وإنما المعنى من الأذان: هو الإعلام بسرقتهم على أية طريقة من طرق الإعلام. ومثله الأذان في الحج. وليس هو إلا من محمد رسول الله لا من إبراهيم. إذ الفرض لا يكون إلا من نبى صاحب شريعة. وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ﴾ الغرض منه: قبول الشريعة والعمل بها. وليس المعنى يأتوك فى بلدك على أرجلهم ليشاهدوا جسمك وأنت تتكلم. وليس المقصود أيضاً: الإتيان إلى قبرك هو المطلوب من ﴿يَأْتُوكَ﴾ لانه قد جاء في القرآن ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

مكتبة المهتدين الإسلامية

واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ وأيضاً: قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ وهو لا يقصد مجيئهم إلى ذاته لأنه بشر سيموت كسائر البشر وإنما هو يقصد جاءوا إلى شريعتك أو جاءوا إلى رؤساء المسلمين النائبين عنك؛ لأن المنافقين باقون إلى زمان طويل، والقرآن بعد موت النبى وفي حياته يحل محله. فإذا جاءوا إلى الشريعة فكأنهم جاءوا إليه شخصياً. وفي قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ يفسر بعض المفسرين المجئ على ظاهره فيقولون: جاؤا إلى قبره. وقولهم باطل؛ لأنهم إذا جاؤا إلى قبره وتكلموا؛ فإنهم لا يسمعون منه رد الكلام. وهذا أمر مقرر في بدائه العقول؛ فإن الناس يعتقدون أن النبى حى في قبره، وزاروه وتكلموا أمامه وطلبوا منه وخاطبوه، وهم يعتقدون أنه حى يرزق. وما من واحد منهم سمع صوت الرسول خارجاً من القبر. ولما وجدوا أن الرسول لا يرد عليهم جوابا وهم يريدون تثبيت اللغو في معنى ﴿جاءوك﴾ ،وهم قد خدعوا من الرواة. قالوا: إن الرسول يأتى إلى الواحد منهم في المنام في حلم الليل ويرد عليه ويكلمه. وهذا أيضاً مستبعد عقلاً؛ لأن النبى لو كلمه ملايين من المسلمين في وقت واحد؛ فإنه لا يظهر فى حلم الليل لكل إنسان على طبيعته الأصلية. ثم إن الذى يكلمه، معتقداً أنه حى؛ يعتقد فى نفس الوقت أنه سيرد عليه كلامه. فتأخير الردود إلى وقت الأحلام ما هو إلا تحايل على لفظ المجئ، على معنى أنه مجئ حسّى لشخص لا لكتابه ولا للإيمان ولا للدخول فى دينه. ثم قال تعالى: ﴿فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ من هم هؤلاء الذي يجيئون للاستغفار؟ هل هم اليهود؟ هل هم الصحابة؟ إن ما قبل الكلام يدل على أن الكلام فى اليهود. الكافرين منهم والمنافقين. وليس المراد من يهود يثرب الساكنين في بلاد العرب مع الأنصار فحسب، وإنما المراد اليهود الكافرون المنافقون المعاصرون للنبى، والباقون منهم في الدنيا إلى زمان طويل. ويدل على ذلك: قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما

http://www.al-maktabeh.com

في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا ﴿٦٣﴾ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴿٦٤﴾ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ وقال في هذه الآيات: ﴿ فاستغفروا الله ﴾ أى طلبوا إذ آمنوا ودخلوا في الإسلام أن يغفر لهم ما قالوا عن القرآن إنه كتاب سحر. وإنه أساطير الأولين؛ لأنهم بذلك يكونون عاصين لله ومهينين له. ونفس المعنى فى ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ لأنهم قالوا عنه: ﴿ساحر أو مجنون﴾ أيام كانوا رادين لنبوته. والراد لنبوته وهو مستيقن بها يكون كأنه قد شتمه وأهانه. فإذا دخل في دينه يكون نادما على إهانته له. وطالباً للمغفرة والمسامحة منه.

ومما يدل على أن المجئ إليه معناه المجئ للشريعة وقبولها والعمل بما فيها: أنه نفى عنهم الإيمان حتى يحكموا القرآن فيما شجر بينهم من الخلافات. ولو كان الغرض من المجئ؛ في زمان النبى فقط، وله وحده؛ ما كان يعبر بالأفعال المضارعة التى تدل على الاستمرار والدوام. وهى أنهم لا يؤمنون حتى يستمر تحكيمهم له، ثم لا يجدون، ويسلمون على طول الزمان بأحكامه. وليس من المعقول أنهم لو جاءوه حالة كونه في القبر أنه سيخرج وسيحكم بينهم، أو أنه سيحكم وينطق بكلام فيه حكم؛ هم سيسمعونه. وإن ادعى مدعٍ أنه سيحكم بينهم في الأحلام؛ فإن الأحلام لا تثبت حقاً ولا تدفع باطلاً.

ثم قال عن اليهود الكافرين منهم والمنافقين: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا ﴿٦٦﴾ وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴿٦٧﴾ ولهديناهم صراطا مستقيما﴾ يريد أن يقول: إنه في شريعة التوراة لما رفضوا شريعة [1] موسى ولم يقبلوا حكمه ونزل من على الجبل

(١) في الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج: أن بنى إسرائيل عبدوا العجل، وموسى على جبل طور سيناء يتلقى الشريعة. «فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به» ـ «فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم» ـ «فتضرع موسى أمام الرب إلهه» فقبل فيهم شفاعة موسى في مقابل أن يقتل كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. فقتل منهم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال الرب لموسى: «من

مكتبة المهتدين الإسلامية

ووجدهم يعبدون العجل، قال الله لموسى: «إنهم لم يرفضوك أنت يا موسى، بل إياى رفضوني» ولما أراد الله إهلاكهم؛ تشفع فيهم موسى نبى الله، واستغفر لهم الله، وكان قد قتل منهم في هذه الحادثة نحو ثلاثة آلاف رجل، فهو يشير إلى هذه الحادثة بقوله فيمامعناه: أننا خففنا عنكم نتيجة عصيانكم من قتل لأنفسكم إلى استغفار بالكلام. وهو أسهل من القتل. فلماذا لا تتوبون؟ ثم حببهم في الإسلام

= أخطأ إلى أمحوه من كتابى» ـ «ولكن فى يوم افتقادى أفتقد فيهم خطيتهم» ومعنى أنه يفتقد فيهم خطيتهم: أنه سيرسل إليهم النبى الأمى وهو محمد رسول الله. فإذا لم يؤمنوا به يذكر خطيتهم وهى عبادة العجل ويعاقبهم في زمانه على عبادة العجل. ذلك قوله فى نشيد موسى وهو يتكلم عن مجئ النبى من الأمة الأمية في آخر أيامهم فى الملك والشريعة: «أليس ذلك مكنوزاً عندى، مختوماً عليه فى خزائنى لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة؛ لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق حين يرى أن اليد قد مضت، ولم يبق محجوز ولا مطلق» [تث ٣٢: ٣٤ ـ ٣٦]

وفى سفر عاموس: «إنى يوم معاقبتى إسرائيل على ذنوبه؛ أعاقب مذابح بيت إيل» [عاموس ٣: ١٤]
وفى هذا النص يتكلم عن إدانة شعبه وشفقته على عبيده. ومعنى ذلك: أنه سيكتب رحمته للذين يتقون الله ويؤمنون بالنبي الآتي من الأمة الأمية. وهذا هو معني ما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قوله ﴿هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ يقصد به مدة شريعة موسى وقوله ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يقصد بها مدة شريعة محمد رسول الله ﷺ ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ . وهو لليهود الكافرين برسول الله محمد ﴿وَرَحْمَتِي﴾ سأكتبها للذين يؤمنون به ومعنى ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي اهتدينا. وفي قوله في الآخرة: يدل على أنهم قد اعترفوا بها.

http://www.al-maktabeh.com

ودعاهم إلى الدخول فيه بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

ومعنى هذا كله: أن قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يدل على أن المؤذن ـ أى المعلن ـ هو محمد رسول الله ﷺ وكلمة ﴿يَأْتُوكَ﴾ معناها: يأتوا إلى حكمك. الذي هو الحج. وعبر بيأتوك؛ لأنه صاحب البيت ومالكه إلى يوم القيامة: وعن هذا في القرآن: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ فقد نسب البيت الذى هو الكعبة إلى محمد باعتباره أنه هو صاحب الشريعة. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قوله ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ اى أهل الكعبة. وهم بنو إسماعيل من محمد رسول الله والذين معه. وقد نسب البيت إليه. فإذا أتوا إلى محمد عند الكعبة؛ فإنما أتوا إلى بيته. وإذا قال اليهود: نحن أولياء البيت، لأننا كنا القائمين عليه من قبل ظهور محمد. فإن الله يرد عليهم بقوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . وقد نسب الكعبة في بدء أمرها إلى نوح فى قوله تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

ويقول الله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ والمعنى: لو أننا قلنا لهم إذا أرادوا التوبة من عصيانهم لله ورفضهم لنبوة محمد ﷺ: اقتلوا أنفسكم أو هاجروا من بلادكم ـ بلاد الكفر والعصيان والرفض ـ إلى بلاد المسلمين، وانضموا في الإيمان إليهم. لفعل الأمرين معاً قليل منهم. وقد جاء لفظ الخروج في القرآن بمعنى خروج اليهود مع المسلمين في حرب الأعداء. وبين الله أنهم إذا دُعوا للخروج مع المسلمين؛ فإنهم لن يخرجوا. وحكم الله عليهم بقوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ وقال الله تعالى: إنهم لو خرجوا مع المسلمين في معركة؛ فإنهم لن ينصروا المسلمين على أعداء الله. ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ

مكتبة المهتدين الإسلامية

أُوتِيتُمْ هذا فخُذُوهُ وإن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ومن يرد اللَّهُ فتنته فلن تملك له من الله شيئًا أولئك الذين لَمْ يرد اللَّهُ أن يُطهر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ في الدُّنيا خزيٌ وَلَهُمْ في الآخرة عذابٌ عظيمٌ ﴿٤١﴾ سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تُعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴿٤٢﴾ وكيف يُحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴿٤٣﴾ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿٤٤﴾ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاصٌ فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴿٤٥﴾ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴿٤٦﴾ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ هذا من معانى الخروج في القرآن. وله شواهد في التوراة. ففي الزبور الثامن والستين يتكلم عن خروج ملائكة الله مع النبي محمد ﷺ وأصحابه لقتال اليهود. ويعبر عن الجيش الخارج للقتال بقوله: «يقوم الله. تتبدّد أعدائه، يهرب مبغضوه من أمام وجهه. كما يذرى الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدام النار، يبيد الأشرار قدام الله. والصديقون يفرحون. يبتهجون أمام الله، ويطفرون فرحاً...

اللهم عند خروجك أمام شعبك، عند صعودك في القفر... إلخ»

ومن معاني الخروج: الهروب من مدينة إلى أخرى خوفاً من الأعداء. وقد عبر إرمياء عن ذلك في الأصحاح الحادي والعشرين من سفره. بقوله: «بالسيف والجوع والوبأ. والذي يخرج ويسقط إلى الكلدانيين الذين يحاصرونكم؛ يحيا وتصير نفسه غنيمة» [إر ٢١:٩]

وفي القرآن الكريم عن الهرب والسبي: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ ويلاحظ في نص القرآن: أن الله قرن الشهداء بالصديقين والأنبياء. والثلاثة مذكورون في الزبور الثامن والستين. ففيه: أن النبي سيخرج للقتال، وسيفرح الصديقون مع أنهم يُشاهدون قتلى في المعركة. وما هذا

http://www.al-maktabeh.com

الفرح إلا لعلمهم أنهم جميعاً في الجنة.

ونرجع إلى الكلام في قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي في مكة ما يدل على قدمها. وما يدل على أن البيت قديم. والآيات التي تدل على قدم البيت هي:

١ ـ مقام إبراهيم عند البيت مع زوجاته وبنيه. ويدل على ذلك: أنه كان يرتحل بعد هجرته من أرض آبائه ارتحالاً متتالياً نحو الجنوب، وإذا نظرت إلى خريطة أرض العرب تجد حجر إسماعيل جهة الشرق، فتكون مكة في الجنوب، وبلاد فلسطين في الشمال. وقد عبرت التوراة عن أرض مكة بأنها أرض الجنوب، وصرح المفسرون بذلك في قولهم: إن فاران موطن سكن إسماعيل في أرض جنوب فلسطين. وفي التوراة: «فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب» [تك ١٣: ١]

وهذا النص قد أشار إليه القرآن في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ والأرض المباركة هي أرض الجنوب وهي أرض مكة. وأيضاً: «وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب» وذلك بعد الفراغ من قصة لوط عليه السلام [تك ٢٠: ١] «وكان إسحق قد أتى من ورود لحى رائى. إذ كان ساكناً في أرض الجنوب» [تك ٢٤: ٦٢]

وهذا يدل على سكن إسحق مع أبيه في أرض مكة. وإسماعيل أيضاً كان ساكناً مع أمه في أرض مكة عند بئر لحى رئى. وهي بئر زمزم.

أي بئر الحى الرائى للحجاج كما في المزمور الثاني والأربعين: «متى أجئ وأترأى قدام الله» ففي سفر التكوين:

«وأما ساراى امرأة أبرام فلم تَلِد لهُ. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراى لأبرام: هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. ادخل على جاريتى. لعلى أُرزَقُ منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراى. فأخذت ساراى امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجةً لهُ. فدخل على هاجر فحبلت. ولما رأت أنها حبلت؛ صغرت مولاتها في عينيها. فقالت ساراى لأبرام: ظلمى عليك. أنا دفعت جاريتى إلى حضنك. فلما

مكتبة المهتدين الإسلامية

رأت أنها حبلت؛ صغرتُ في عينيـها. يقضى الرب بيني وبينك. فقال أبرام لساراى: هوذا جاريتكِ في يدكِ. افعلى بها ما يحسن في عـينيك. فأذلَّتها ساراى. فهربت من وجهها.

فـوجدها مـلاك الرب على عين الماء في البـرية. على العين التي في طريق شـور وقال: يا هاجر جارية ساراى. من أين أتيت؟ وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مـولاتى ساراى. فقـال لها ملاك الرب: ارجـعى إلى مولاتك واخـضعى تحت يديها. وقال لها مـلاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثـرة. وقال لها ملاك الرب: ها أنت حـبلى فـتلدين ابناً. وتدعين اسـمه إسـمـاعيـل لأن الرب قد سـمع لمذلتك. وأنه يكون إنسـاناً وحشـياً. يده على كل واحـد ويد كل واحدٍ عليـه. وأمام جميع إخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم مـعها أنتَ إيل رئى. لأنها قالت: أههنا أيضـاً رأيت بعد رؤيـة؟ لذلك دعيت البـئـر بئر الحى رئى. ها هي بين قـادش وبارد.

وولدت هاجر لأبرام ابناً. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر؛ إسماعيل. وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام» [تكوين: ١٦]

وقد قـال بعض المفسرين: إن مقـام إبراهيم هو الحَجر الذي وقف عليـه لما ارتفعت جدران الكعبة. وقولهم باطل؛ لأنه يعني بمقامه: مكان سكناه مع زوجاته وأولاده عند بئـر «لحى رئى» وهو بئر زمـزم بحسب تـفسـير داود عليـه السلام وهو: «مـتى أجئ وأتراءى قدام الله» [مزمور ٤٢]

ومما يدل من التوراة على أن سكناه كانت في مكة: أن الله بوء له مكان البيت. أي صار مَلكاً على أرض البيت. كما بَوّء بني إسرائيل مبوأ صدق، ورزقهم من الطيبات. أي ملكهم أرضاً كانوا مستضعفين فـيها. فإنه حارب ملوكاً عند برية فاران وهي أرض مكة. وملك على بلادهم. وذلك قـوله: «والحوريين في جـبلهم سعـير، إلى بطـمة فاران التي عنـد البرية» [تـك ١٤:٦] وهؤلاء الذين حاربهم إبراهيم كـانوا من قبل أن يحاربهم؛ قـد أخذوا لوطاً عليه السلام وأمـلاكه ومضوا. إذ كان سـاكناً في سدوم. فلما سـمع؛ أبرام أن أخاه سُبي؛ جرّ غلمـانه المتمرنين ولدان بيـته ثلاث مئة وثمـانية

http://www.al-maktabeh.com

عشر وتبعهم إلى دان» [1] و استرجع كل الأملاك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضا والشعب.

ومنطقة المعارك هي أرض الجنوب. لقوله: «فصعد ابرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب» [تك ١٣:١] وقد قال المسيح عيسى عليه السلام: إن النبي المنتظر سيظهر من أرض الجنوب. وقد ظهر محمد منها. ذلك قوله:

«مكتوب في كتاب موسى: أن إلهنا سيرسل لنا مَسِيًّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة من الله. لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق: هل أنت مسياً الله الذي ننتظره؟ أجاب يسوع: حقاً إن الله وعد هكذا ولكني لست هو؛ لأنه خُلق قبلي وسيأتي بعدي. أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس لله لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حبا في الله بأية كيفية سيأتي مسيا؟ أجاب يسوع: لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي؛ إنى لست مسيا الله الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً: «بنسلك أبارك كل قبائل الأرض» ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادمي التقوى على الاعتقاد بأنى الله وابن الله؛ فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمى، حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا. حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله الذي سيأتى من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً» [برنابا: ٩٦]

وإذا صح وثبت أن مقام إبراهيم من بعد هجرته كان في مكة، التي هاجر إليها هو ولوط ـ عليهما السلام ـ وأن الحرب فيها كانت من أجل لوط ـ كما يقول المحرف ـ لا من أجل تطهير الكعبة من الأصنام ـ كما هو الحق ـ يثبت أن «ساليم» أي أرض السلام هي مكة، لا أرض «أورشليم» في فلسطين.

ولنقرأ النص أولا وهو: «فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرانى. وكان ساكنا عند

---

(١) دان: هو ابن يعقوب عليه السلام. والمراد أرض دان. وبنو يعقوب لم يأخذوا أرض فلسطين ولم يقتسموها بينهم في حياة موسى عليه السلام. وهذا يدل على أن التوراة مكتوبة بعد عصر موسى.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بلوطات ممرا الأمورى أخى أشكول وأخى عانر. وكانوا أصحاب عهد مع أبرام.

فلما سمع أبرام أن أخاه سُبى جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان، وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة، التي عن شمال دمشق، واسترجع كل الأملاك، واسترجع لوطا أخاه، وأيضا أملاكه والنساء أيضا، والشعب.

فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدر لعومر والملوك الذين معه إلى عمق شَوَى الذي هو عمق الملك. وملكى صادق ملك أورشليم أخرج خبزا وخمرا. وكان كاهنا لله العلى وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلى الذي أسلم أعداءك في يدك. فأعطاه عشرا من كل شئ. وقال ملك سدوم لأبرام: أعطنى النفوس وأما الأملاك فخذها لنفسك. فقال أبرام لملك سدوم: رفعت يدي إلى الرب الإله العلى مالك السماء والأرض لا آخذن. لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك» [تك ١٣:١ -]

ثم نقول: حيث إن مقام إبراهيم في مكة، هو وأزواجه وأولاده، وحيث إن «أورشليم» موصوفة في التوراة بأنها مدينة الدماء ومدينة البلبلة ومدينة الأشرار وإبراهيم لم تكن هجرته هو ولوط إليها، لأنها ليست هي الأرض المباركة، تكون «ساليم» هي أرض مكة. ويقوى أنه مكة: أنه كان بها «كاهنا لله العلى» وأنه سرّ من فعل إبراهيم لأنه من الدعاة إلى الله مثله. أما أرض فلسطين. فإن بها مدنا محصنة لا يعبر فيها غريب ولا يقيم فيها إذا كان كارها للأوثان.

والدليل على أنها مدينة الدماء: ما جاء في سفر ميخا: «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم. الذين يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم..» [ميخا٣: ٩ -]

ونص آخر نذكره على أن مقام إبراهيم في مكة، وأن الكاتب غير مقامه وجعله في فلسطين، وهو قوله: إن يعقوب كان مع أبيه في «بئر سبع» وذهب نحو «حاران» وفي طريقه أخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه ونام. وحلم. فلما استيقظ من النوم قال: إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم؟ «ما هذا إلا بيت الله»؟ - «ودعا اسم ذلك

http://www.al-maktabeh.com

المكان بيت إيل» أي بيت الله [تك ٢٨]

والدليل على أنه غيّر: هو أن إسحق كان ساكنا مع زوجته رفقة أم يعقوب في أرض الجنوب. في خباء سارة. عند بئر لحي رئى. وهي بئر زمزم. المعروفة ببئر الحى الرائى. وأن يعقوب كان له من العمر ستة عشر عاما وقت موت إبراهيم. فقوله إنه خرج من بئر سبع، هو قول باطل. ثم قوله إنه مكان بيت الله. ويسميه «بيت إيل» وفي ترجمة: «بيت الله» [تك ٢٨] فهل بيت الله في أرض فلسطين أم هو في أرض مكة؟ إنه في مكة بدليل: أن رفقة أم يعقوب من قبل أن تلد، ذهبت لتستشير الرب. وقد كانت ساكنة عند بئر الحي الرائى الذي ينظر إلى الحجاج نظر رحمة. ذلك قوله: «فقالت: إن كان هكذا؟ فلماذا أنا؟ فمضت لتسأل الرب» [تك٢٥:٢٢] وسؤال الرب معناه: أن الله الذي ينظر إلى الحجاج نظر رحمة. يعبرون عن الحاج إنه يتراءى أمام الله عند الكعبة. فإذا انقضت أشهر الحج وأراد أحد أن يسأل الله عند الكعبة: فإنه كان يسأل عندها وكان يوجد عندها معلمون للمناسك. كل معلم منهم يسمى «الرائى» وبعد ذلك سمى بالنبي. ويدل على ذلك: «سابقا في إسرائيل هكذا: كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائى، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائى» [١صم٩:٩] وهذا يدل على أن سؤال رفقة كان في مكة. إذ لا يوجد بيت لله إلا فيها.

وقال الكاتب: إن يعقوب لما رجع من «حاران» مر على المكان الذي كان نائما فيه وبنى فيه مسجدا، وسماه «بيت إيل» [تك ٣٥:١٥] وما هذا من الكاتب إلا لنقل بيت الله من مكة إلى فلسطين. فإن يعقوب وإسحق وإبراهيم لم تطأ أرجلهم أرض فلسطين لحظة من ليل أو من نهار.

وقد روى بعض الرواة: أنه من بعد ما بنى إبراهيم الكعبة، انطلق إلى فلسطين وبنى فيها مسجدا. هو أساس هيكل سليمان ـ وأسموه المسجد البعيد عن مكة. أي المسجد الأقصى. وهؤلاء الرواة يعلمون أن الكعبة مبنية لتكون مكان «حج» لجميع الأمم. وهو بلغتهم مكان «سجود» ويعلمون أيضا: إن اليهود هم الذين أسسوا هيكل سليمان وأطلقوا عليه مكان «سجود» ليصرفوا الأمم عن مكة إلى فلسطين معاندة لله،

مكتبة المهتدين الإسلامية

واستعدادا لإنكـار محمد ﷺ من قبل مجيئـه. وهم يريدون تثبيت هذا اللغو في دين الإسلام بقولهم: إنه ثاني بيت وضع للناس. وهل يعقل عاقل أن إبراهيم يفرق وحدة المؤمنين بجعل مكانين للحج؟ كيف وقد قال الله عن البيت الثاني الذي اتخذوه مسجدا ضرارا: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ وقال عن منسك واحد لجميع الأمم: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾؟

ثم اختلف الرواة. فقالوا: إن المسجد الأقصى مبنى بعد أربعين سنة من بناء الكعبة وقال بعضهم: إن باني الكعبة هم الملائكة. أو نوح. فهل المسجد الأقصى قد بنى بعد أربعين سنة من بناء الملائكة أو من بناء نوح أو من تجديده على يد إبراهيم؟ فرواية أحمد والبخاري: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» فمدة الأربعين سنة هل تحسب من آدم أم من نوح أم من إبراهيم؟ إنِ قلت من نوح. وهذا هو الحق. فإن المدة أكثر من أربعين سنة. وبذلك يكون الحديث من وضع الرواة بلا تثبت. وقد فطن لذلك كثيرون من أهل العلم حكى كلامهم القرطبي رحمه الله في تفسيره. وقال: إن المدة أكثر من ألف.

وهذا هو وجه تضعيف الحديث عندهم. ولم يفطنوا إلى قول الرواة الذي نسبوه إلى النبي ﷺ: «ثم حيث أدركتك الصلاة، فصل: فكلها مسجد» فهل مسجد الكعبة مسجد صلاة كأي مسجد؟ من المؤكد أنه مسجد حج وقبلة صلاة. وليست المساجد كلها مساجد حج. وهل المسجد المنسوب إلى الأنبياء ظلما وزورا في فلسطين مسجد صلاة كأي مسجد؟ من المؤكد أنهم اتخذوه مسجد حج وقبلة صلاة بدلا من الكعبة. وليست المساجد كلها مساجد حج بدل الكعبة.

ونسبوا زورا إلى الإمام علي رضي الله عنه: أن أول واضع له هو إبراهيم، وأنه واضعه للبركة. والحق أن أول واضع له هو نوح من بعد الطوفان، وأنه واضعه للحج.

وقال بعض الرواة: إن مقام إبراهيم هو الحَجَر الذي لما ارتفع البناء، استعان به على رفع الجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل.

والحق: أن مقام إبراهيم هو مكان إقامته بعد هجرته من أرض آبائه مع زوجاته وأولاده. ولم ينتقل من مكة ليقيم في بلدة غيرها. وقول اليهود إنه كان مقيما في

http://www.al-maktabeh.com

فلسطين. يرده قول الله تعالى: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذي يدل على قدم الكعبة وأنها أول بيت وضع لليهود ليحجوا إليه. وأنه لم يذهب إلى فلسطين ليضع بيتا ثانيا. لأن مكة عاصمة ملكه. والملك لا يبرح أرض مملكته.

وأمر اليهود بقوله: ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ أي اتخذوا من الأرض التي أقام فيها إبراهيم وأولاده وأنتم منهم؛ مكان «سجود» أي مكان حج. ولا تتخذوا من فلسطين مكان «سجود» وذلك لأن «مصلى» في لغتهم مكان سجود. ويعنون بالسجود الحج. فكأنه يقول: اتخذوا من الأرض التي أقام فيها آباؤكم مكان حج. ففي التوراة: أن إبراهيم لما أخذ ابنه الوحيد ليذبحه قال لغلاميه: «اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك، ونسجد، ثم نرجع إليكما» [تك ٢٢:٥] قوله: «ونسجد» يدل على مكان حج يعرف الغلامان. وفي الإنجيل لما اتخذ اليهود هيكل سليمان قبلة بدلا عن الكعبة: «فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد» [أعمال ٨:٢٧ أيضا يوحنا ١٢:٢٠] فالسجود في لسانهم هو مكان الحج. والمسجد والمصلى بمعنى واحد.

وقال بعض الرواة: إن قريشاً لما أرادوا تجديد الكعبة؛ قصرت بهم نفقات البناء؛ فأنقصوا منها. وقولهم باطل. فإن تجديد البناء لا تلزمه نفقات كثيرة أو قليلة بلا كلمة. وذلك لأن الحجر إذا وقع من الجدار. فإن أي إنسان يقدر على وضعه في مكانه بلا كلفة. ولم يكن في زمانهم مواد بناء تلصق الجدار بالجدار. والجدران غير مرتفعة حتى تحتاج إلى مواد لاصقة. وكل ما فعلوه حال التجديد هو رصّ الحجارة رصًّا حسنا. وغرض الرواة من هذا القول: هو التشكيك في مسافات الجدران، حتى يتذرع كل ملك به يهدمها وبنائها، فتكون ألعوبة في أيدي الملوك.

وفي أحاديث هؤلاء الرواة ما يدل على كذبهم في الرواية عن النبي ﷺ ومن ذلك: قول النبي ﷺ - كما زعموا - لعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - : «إن قومك استقصروا من بنيان البيت. ولولا حداثة عهدهم بالشرك، أعدت ما تركوا منه. فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلمي لأريك ما تركوا منه» فأراها قريبا من سبعة أذرع. وإذا هم استبعدوا سبعة أذرع. فكم قد تبقى من طولها وعرضها؟ وفي رواية: «لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة» أي أنه لم ينقضها لحداثة عهدهم

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالإيمان. فلماذا جدد أعلام الحرم لما فتح مكة. وهو لم يمكث فيها إلا نحو عشرة أيام؟ وهل كان بنو إسماعيل كفارا بالله من قبل محمد ﷺ؟ وهل كان بنو إسماعيل كفارا بالله من قبل محمد ﷺ؟ كيف وقد قال الله عنهم إنهم كانوا من الساجدين له؟ ذلك قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ وقال: إن إبراهيم قال له: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ ولم يكن له غير إسماعيل وقت هذا القول. وقال له: ﴿وابعث فيهم﴾ أي في بني إسماعيل ﴿رسولاً منهم﴾ هو محمد رسول الله. وقد استجاب الله له في النبي. واستجابته في النبي تدل على استجابته في حجبهم عن عبادة الأصنام.

وفي التوراة: «جبل بيت الرب» وليس فيها جبلان كل جبل عليه بيت للرب. وإذا هو جبل واحد. يكون بيتا واحدا لا بيتان. حتى يقال مسجد في مكة ومسجد بعيد عنها في فلسطين. ولو كان هو مسجد بعيد لصلاة كأي مسجد، ما كانوا قد اتخذوه كعبة وقبلة. فاتخاذهم له كعبة وقبلة. وهم يعلمون أن المسجد المعد لجميع الأمم كعبة هو مسجد مكة، هو دليل على أنهم قد اتخذوه للتفرقة بين المؤمنين.

ففي الأصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين: أن إبراهيم أخذ ابنه وحيده ليذبحه في أرض المريا. والمريّا هو تحريف للمروة، فإن الصفا هي الصخرة، وهي مكان عند مسجد للحج لقوله: «فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما» وأنه تقدم به إلى «المذبح» الذي تحرق عليه الحيوانات قربانا لله. وهذا المذبح هو الذي بناه نوح بعد الطوفان. ولما هم بذبحه «نظر وإذا كبش وراءه مُمسكا في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه. فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يراه. حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يُرى»

فالكبش قد أحرق على مذبح نوح القديم، عوضا عن الابن الوحيد. والمذبح هو الكعبة. والابنِ الوحيد هو إسماعيل، فيكون إسماعيل وإبراهيم والمذبح في مكة.

فدعا إبراهيم هذا الموضع «يهوه يراه» أي الله يرى. ومعلوم أن الله يسمع ويرى ما في السموات وما في الأرض. فما هي الفائدة من التخصيص بالرؤية في مكان المذبح؟ إن التخصيص يدل على أنه مكان الحج، لأنه ينظر إلى خجج نظر رحمة. كما في المزمور الرابع والثمانين: «متى أجئ وأتراءى قدام الله» وكما في قول هاجر:

«أههنا أيضاً رأيت بعد رؤية. لذلك دُعيت البئر بئر لحى رئى»

ولما كانت التوراة على حالتها هذه مكتوبة في سبى بابل، يكون قول الكاتب: «حتى أنه يقال اليوم» هو اليوم الذي يدل على زمان الكاتب. وفي سفر عَذْرا أن هيكل سليمان ـ الذي يقولون إنه هو المسجد الأقصى ـ مؤسس من بعد الرجوع من بابل بإذن من كوروش الفارسي. وعلى هذا يكون «جبل الرب» هو جبل الكعبة الذي كان عليه الذبح، لأن تعين صهيون أو جرزيم. كل منهما جبلا مقدسا. كان من بعد الرجوع من «بابل» بدون نص صريح أو مؤول من كتاب موسى عليه السلام وهم مختلفون في تعيين أي منهما. وكل يدعى أنه على حق. ولو كانوا على حق، ما كانوا فيه يختلفون.

وعلى ما قدمنا يكون مقام إبراهيم هو وزوجاته وأولاده في مكة، وأنه لم يذهب إلى فلسطين زائراً أو مقيماً. وأولاده ما أقاموا في فلسطين بزوجاتهم وأولادهم. ويعقوب عليه السلام الذي أقام في مصر، كان من قبل إقامته فيها، ساكنا في البوادي كالعرب الرحل. ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾

* * *

٢ - ﴿ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾:

ومن آثار إبراهيم عليه السلام ويقول بعض المفسرين إنها من آثار نوح عليه السلام وجود أعلام تفصل بين أرض الحرم وبين الحلّ. وقد عبر داود عليه السلام عن الأمن في أرض الحرم بأن العصفور يجد بيتا ولا يفزّعه أحد. واليمامة تجد عشا لنفسها ولا يفزعها أحد وحتى يومنا هذا تجد الحمام واليمام والعصافير عند الكعبة والحرم النبوي يعيشون في أمن وسلام. ونص المزمور هو: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي. العصفور أيضاً وجد بيتاً والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي. طوبى للساكنين في بيتك أبدا يسبحونك. . سِلاه

طوبى لأناس عزهم بك. طُرق بيتك في قلوبهم. عابرين في وادي البكاء يُصيّرونه ينبوعا. أيضا ببركات يُغطّون مُورَة. يذهبون من قوة إلى قوة، يُرون قدام الله في

مكتبة المهتدين الإسلامية

صهيون. يا رب إله الجنود اسمع صلاتي واصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا ألله والتفت إلى وجه مسبحك. لأن يوماً واحدا في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار. لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال. يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك» [مزمور:٨٤]

ومما يدل على أن البيت عتيق وعلى أنه حرم آمن: أن اليهود لما أسسوا هيكل سليمان وجعلوه مكان حج عوضا عن الكعبة؛ كتبوا في الكلام عن هيكل سليمان أن سليمان لما فرغ من بناء الهيكل قال لله تعالى: «إذا أخطأ أحد إلى صاحبه ووضع عليه حلفا، ليحلفه وجاء الحلف أمام مذبحك في هذا البيت، فاسمع أنت من السماء واعمل واقض بين عبيدك، إذ تحكم على المذنب، فتجعل طريقه على رأسه وتبرر البار وإذا تعطيه حسب بره» [الملوك الاول٨ - ٣١:٣٢] ومعنى هذا الكلام: أنه نقل صفة الأمن من أرض الحرم في مكة إلى أرض هيكل سليمان في أورشليم.

* * *

أعلام الحرم:

وقد تحدث العلماء في كتبهم عن أعلام الحرم حديثا مطولا.

ومن هؤلاء الإمام الأزرقي في كتابه تاريخ الكعبة.

ومن هذه الأعلام: العلم الفاصل بين جبل عرفات وبين حدود الحرم. وهو المسمى بالمشعر الحرام في أرض المزدلفة.

* * *

وهذا ملخص ببيان حدود الأعلام:

١ - أورد ابن حجر في الإصابة: أن إبراهيم هو الذي وضع أعلام الحرم. يريه إياها جبريل.

٢ - أنصاب الحرم: هي حدود الحرم من عموم جهات. وكانت رضوما ثم بنيت بعد ذلك. ووردت تسميتها في الأحاديث: أنصاب الحرم.

http://www.al-maktabeh.com

٣ ـ «وللحرم علامات مبنية في جوانبه الأربع، ومازالت موجودة إلى اليوم. تجدد في كل عصر عند حدوث تلف فيها. وهي عـلامات بعضها حديث بالأسمنت المسلح والرخام الممتاز والبعض منها قديم مبني بالجصّ ومجصصة بالنورة وبعضها بالرخام».

* * *

تجديد الأعلام:

١ ـ إسماعيل.
٢ ـ عدنان.
٣ ـ قصي بن كلاب.
٤ ـ قريش أثناء البعثة.
٥ ـ تجديد النبي لأعلام الحرم سنة ٨ هـ.
٦ ـ تجديد عمر.
٧ ـ تجديد عثمان.
٨ ـ تجديد معاوية.
٩ ـ عبد الملك بن مروان.
١٠ ـ المهدي العباسي.

* * *

الأعلام في مداخل مكة:

١ ـ من طريق المدينة ٣ أميال.
٢ ـ من طريق اليمن ٧ أميال.
٣ ـ من طريق العراق ٧ أميال.
٤ ـ من طريق الطائف من بطن نمرة ١١ ميلاً.
٥ ـ من طريق الجعرانة ٩ أميال.
٦ ـ من طريق جدة ١٠ أميال.

الميل يساوي ٣٥٠٠ ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراعا، والذراع هو ذراع اليد ومقداره أربعة وعشرون أصبعا. والأصبع الواحد: ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض.

* * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

قديم الطرق:

١ ـ من جدران المسجد الحرام إلى أعلام منطقة التنعيم ٦١,٥٠٠ كم

٢ ـ إلى ثنية التقوى الموصلة للجعرانة ١٨ كم

٣ ـ إلى أعلام منطقة ثنية حل أو جبل المقطع طريق الطائف. نجد. طريق العراق السريع ١٢،٨٥٠ كم

٤ ـ إلى أعلام عرفة طريق الطائف القديم الملغي الآن ١٥,٤٠٠ كم

٥ ـ إلى أعلام طريق اليمن القديم ١٧ كم

٦ ـ إلى أعلام الحديبية (الشميسي) على طريقة جدة القديم ٢٠. كم

* * *

الطرق الحديثة لمكة المكرمة:

٧ ـ إلى أعلام طريق جدة الذي يخترق حنك الغراب أو ما يسمى أظلم الغربي ٢ كم

٨ ـ أعلام طريق الليث اليمن الجديد ١٧ كم. قرن العابدية ١٥،٥ كم

* * *

٣ - ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ :

ويدل قوله تعالى عن الكعبة أنه ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ على بيت غيرها قد أسس بعدها، ليكون مكاناً للحج، وإلا ما كان يعبر بقوله ﴿أَوَّلَ﴾ وكان يقول: إن بيت مكة قديم وما أشبه ذلك. والمراد بالناس: اليهود فقط. فيكون الحج على اليهود من قبل زمان داود الذي زعموا: أنه هو المؤسس للهيكل ليكون قبلة ومكان حج. فمن هو الذي فرض الحج على اليهود من قبل داود عليه السلام، لأن مناسك الحج مكتوبة في زبور داود إلى هذا اليوم من قبل أن يؤسس الهيكل؟ إن كان الذي فرض الحج إبراهيم فإبراهيم ليس صاحب شريعة، حتى يأمر أو ينهي، وإن كان الفرض فرضه موسى

http://www.al-maktabeh.com

عليهم، فهذا يدل على أن الحج إلى الكعبة هو الفرض، وليس الحج إلى الهيكل هو الفرض. وذلك لأن موسى هو صاحب الشريعة وحيث إن داود كان على شريعة موسى وحيث إن الحج مكتوب في زبور داود. كل شعائره ومناسكه [1]، وحيث أن موسى وصىّ بعدم الزيادة على التوراة وبعدم النقص منها من نبي من اليهود؛ فإن الذي فرض الحج على بني إسرائيل يكون هو موسى صاحب الشريعة. فهل في شريعة التوراة نص على الحج إلى الكعبة؟ لا يوجد نص صريح على أن موسى فرض الحج على اليهود وعلى الأمم إلى الكعبة، وإنما فيها نص، على أن الله سيرسل من بعد موسى نبياً من اليهود يُحدد لهم مكان الحج في أرض من أراضي الأسباط. وهذا يدل على أنهم غيّروا في توراة موسى مكان الحج من الكعبة إلى فلسطين.

وذلك لأن موسى وصّى بالسماع من نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب من إخوة بني إسرائيل. وهم بنو إسماعيل عليه السلام ولم يوص بالسماع من نبي من بني إسرائيل ذلك قوله: «كل الكلام الذي أوصيكم به، احرصوا لتعملوه لا تزد عليه، ولا تنقص عنه» [تث ١٢:٣٢] ومعنى قوله هذا: أنه إذا كان موسى قد أوصى بعدم الزيادة وبعدم النقص من التوراة؛ فكيف يأتي منهم من يجعل لهم منسك حج؟ وهب أنه قد أتى منهم من سيجعل لهم منسكاً وجعله؛ فلماذا لم يتفقوا عليه؟ فإن السامريين لهم منسك حج على جبل جرزيم، والعبرانيين لهم منسك حج على جبل صهيون.

وهذا هو النص - المحرف - الذي وضعوه في التوراة بدل النص - الصحيح - على الحج إلى الكعبة: «هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض

(١) «اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت، وعلى الرب توكلت بلا تقلقل، جربني يا رب وامتحني. صف كليتي وقلبي. لأن رحمتك أمام عيني وقد سلكت بحقك. لم أجلس مع أناس السوء ومع الماكرين لا أدخل، أبغضت جماعة الأئمة ومع الأشرار لا أجلس، أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب. لأسمع بصوت الحمد وأحدث بجميع عجائبك. يا رب أحببت محل بيتك، وموضع مسكن مجدك.

لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي الذين في أيديهم رذيلة ويمينهم ملآنة رشوة. أما أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني. رجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب» [مزمور ٢٦].

مكتبة المهتدين الإسلامية

تخربون الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم النار، وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان، لا تفعلوا هكذا للرب إلهكم. بل المكان الذي يختاره إلهكم من جميع أسباطكم؛ ليضع اسمه فيه. سكناه تطلبون وإلى هناك تأتون وتقدمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون بكل ما تمتد إليه أيديكم. أنتم وبيوتكم كما بارككم الرب إلهكم.

لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم. أي كل إنسان مهما صلح في عينيه لأنكم لم تدخلوا حتى الآن إلى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب إلهكم. فمتى عبرتم الأردن وسكنتم الأرض التي يقسمها لكم الرب إلهكم وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حواليكم وسكنتم آمنين. فالمكان الذي يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه تحملون إليه كل ما أنا أوصيكم به، محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم وكل خيار نذوركم التي تنذرونها للرب وتفرحون أمام الرب إلهكم أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم وإماؤكم واللاويُّ الذي في أبوابكم لأنه ليس له قسم ولا نصيب معكم.

احترز من أن تُصعد محرقاتك في كل مكان تراه بل في المكان الذي يختاره الرب في أحد أسباطك. هناك تصعد محرقاتك، وهناك تعمل كل ما أوصيك به» [تث ١٢]

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الخامس
في
قبلة بني إسرائيل

تمهيد:

مات النبي موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ ولم يبين لبني إسرائيل ـ عن أمر الله أو عن أمره ـ جهة معينة يتجهون إليها في صلاتها وحجهم، كما بيّن نبي الإسلام ـ ﷺ -لنا نحن المسلمين جهة الكعبة في «مكة المكرمة»

لم يبين لهم موسى ـ في أمر القبلة- إلا أن يبنوا أماكن للعبادة من تراب في أي مكان، ويتجهون أية جهة، فإن لله المشرق والمغرب وأينما يولوا وجوههم فثم وجه الله. إن الله واسع عليم. ففي الأصحاح العشرين من سفر الخروج مكتوب أن الله يقول: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا. آتي إليك وأباركك» [خر ٢٠:٢٤] و«مذبحا من تراب؛ تصنع لي» [خر ٢٠:٢٤]

وقد أمرهم موسى على لسان الله ـ تعالى ـ أن يصنعوا تابوتا ويصنعوا للتابوت خيمة. فصنعوا. وكان الله يرسل سحابة على الخيمة نهارا ويهيئ لهم نارا بالليل عليها. ففي سفر الخروج: «وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم، وإن لم ترتفع السحابة، لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها؛ لأن سحابة الرب على المسكن نهارا، وكانت فيها نار ليلا أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم» [خر ٤٠: ٣٦-٣٨]

ولما حارب يشوع فتى موسى أهل كنعان واستولى على بلاد منهم، نصب الخيمة في مدينة «شيلوه» وأمام الخيمة قسم الأرض على الأسباط. ففي سفر يشوع: «هذه هي الأنصبة التي قسمها ألعازار الكاهن، ويشوع بن نون، ورؤساء آباء أسباط بني

مكتبة المهتدين الإسلامية

إسرائيل بالقرعة في شيلوه. أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع، وانتهوا من قسمة الأرض» [يش ١٩: ٥١]

ولما حارب طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ جالوت وجنوده واستولى بنو إسرائيل على كل أرض كنعان؛ جعل داود ـ عليه السلام ـ عاصمة ملكه مدينة «أورشليم» (القدس) وأسس بيتا للخيمة التي فيها التابوت. ولكن اليهود زعموا: أنه بنى هيكلا مشيدا، عظيما بحجارة حسنة وتحف، وأمر اليهود بالحج إليه بدل كعبة «مكة» والصلاة نحوه. ومات قبل أن يبني شيئا يُذكر، فجاء سليمان- عليه السلام- وبني علي أساس أبيه- كما كان يريد- وعُرف بناؤه بهيكل سليمان واتخذوه منسك حج بدل الكعبة وقبلة صلاة. هذا هو زعمهم.

والحق: أن داود وابنه لم يبنيا إلا بيتا لوضع الخيمة فيه. وأن هيكل سليمان ابتدئ تأسيسه بعد الرجوع من بابل. ليحل محل الكعبة، ونسبوه زورا إلى سليمان.

والغرض من ذلك: هو إنكار محمد ﷺ من قبل ظهوره. وقطع صلتهم بالعرب.

ثم زعموا: أن بني إسرائيل افترقوا من بعد موت سليمان ـ عليه السلام ـ إلى فرقتين، فرقة اتخذت مدينة «شكيم» (نابلس) في أرض فلسطين عاصمة لها، وبنوا على جبل جرزِّيم هيكلا. وقالوا: إنه الحق من ربهم ـ وهم السامريون ـ والفرقة الأخرى ـ وهم العبرانيون ـ: زعموا أن هيكل سليمان الذي هو على جبل صهيون هو الهيكل الذي أمر الله داود وسليمان ببنائه.

والحق: أن انقسامهم في شأن المكان المقدس للصلاة وللحج؛ كان من بعد الرجوع من سبي بابل بعد تحريف التوراة عمدا. أما هم من قبل السبي؛ فإنهم كانوا مملكتين على شريعة التوراة، وعلى أن الصلاة تصح على أية جهة، وعلى أن الحج يكون في مكة المكرمة.

وزعموا: أنه بعد مدة من الزمان جاء «نبوخذ ناصّر» ملك «بابل» وأحرق هيكل سليمان في أورشليم، وقتل كثيرا من بني إسرائيل، وسبى وجهاءهم وأعيانهم إلى «بابل» والحق: أنه قتل وسبى. ولكن الهيكل لم يكن قد تأسس بعد .

ولما رجعوا من بابل، أراد العبرانيون أن تكون أورشليم عاصمة للدولة. وأسسوا

http://www.al-maktabeh.com

هيكلا ونسبوه إلى سليمان وقالوا: إن هيكل سليمـان هو القبلة ومكان الحج. وأراد السامريون أن تكون نابلس عـاصمة للدولة وأسسوا هيكلا على جبل جرزيم وقالوا: إن هيكل جرزيم هو القبلة ومكان الحج؛ فحدث عـداء بين الفريقين من أجل ذلك. وظل العداء قائما إلى مجئ عيسى ـ عليه السلام ـ وهو من العبرانيين أهل أورشليم ـ وذات يوم ذهب هو إلى السامـريين يبشر باقتـراب «ملكوت السموات» فقـابلته امرأة سامـرية على بئر تستـقي ماء، ولما علمت بمعـجزة حدثت منه: أنه نبي؛ سـألته عن القبلة ومكان الحج، وقـالت له: أينا على صواب، نحن السامـريين أم يهود أورشليم العبرانيين؟ وأجاب عيسى ـ عليه السلام ـ بـأن العبادة الماضية أمرها موكول إلى الله، ولا فائدة من الحديث عنهـا، قال لها المسيح: «يا امرأة صدقـيني. إنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون» [يو ٤:٢١-٢٢] والسجود في لغـتهم: هو الحج. ومكان الحج هو اللائق ـ في نظرهم ـ أن يكون قبلة.

وقال لها المسيح: إن القبلة سوف تنزع من المكانين إلى مكان سيعينه الله فيما بعد، وإن الحج لن يكون على صهيـون أو جرزيم. وسـوف يأتي الساجـدون الحقيقيون ليعبدوا الله بالحق، وسيحدد لهم الله جهـة الحج التي ارتضاها لهم. قـال المسيح: «ولكن تأتي ساعـة، وهي الآن. حين الساجدون الحقيقيون يسـجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء السـاجدين له. الله روح. والذين يسـجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» [يو٤:٢٣-٢٤]

وأتباعه من بعده قد اختلفوا. فالبروتستانت قالوا عن القبلة: لله المشرق والمغرب. كـما بين مـوسى. والأرثوذكس والكاثوليك قالـوا: نتبع قـبلة اليهـود العبـرانيين في أورشليم ولا نتـبع قبلة السامـريين في نابلس. واتفقـوا جميعا على الحـج إلى جبل صهيون. وسموه مكان السجود.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أمر القبلة في آيات منها:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً[1] تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

---

(١) يقول القرطبي في تفسير الآية ١٤٢ من سورة البقرة: «واختلف العلمـاء أيضا في كيفية استقباله بيت=

مكتبة المهتدين الإسلامية

وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴿١٤٤﴾ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴿١٤٥﴾ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴿١٤٦﴾ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴿١٤٧﴾ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير ﴿١٤٨﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴿١٤٩﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾

* * *

وقد أشار القرآن الكريم إلى مكان الحج ومناسكه في آيات منها:

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴿٢٦﴾ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴿٢٧﴾ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴿٢٨﴾ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾

ثم قال تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم

= المقدس على ثلاثة أقوال. فقال الحسن: كان ذلك منه عن رأي واجتهاد. وقاله عكرمة وأبو العالية. الثاني: أنه كان مخيرا بينه وبين الكعبة، فاختار القدس، طمعا في إيمان اليهود واستمالتهم. قاله الطبري. وقال الزجاج: امتحانا للمشركين لأنهم ألفوا الكعبة. الثالث - وهو الذي عليه الجمهور، ابن عباس وغيره -: وجب عليه استقباله بأمر الله تعالى ووحيه. لا محالة. ثم نسخ الله ذلك، وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ الآية ا.هـ

والصحيح: أنه كان مخيرا بينه وبين الكعبة لأنه هو والعرب كانوا على شريعة موسى واختار الكعبة ليس طمعا في إيمان اليهود، وإنما لأنها جهة من الجهات فضلها على غيرها عن رأي واجتهاد. لأن النص على استقباله بيت المقدس أولا؛ غير مذكور في القرآن، حتى يقال إنه قد نسخ.

http://www.al-maktabeh.com

تشكرون﴾

وقال عن منسك بني إسرائيل الذي اتخذوه بدل منسك الكعبة: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾

يريد أن يقول: إننا جعلنا لجميع الأمم منسكا واحدا هو الكعبة. وبنو إسرائيل من الأمم. فلماذا شذوا عن الأمم بمنسك فلسطين: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ لا نحن؟

ففي التوراة أن الواضع للكعبة بعد الطوفان هو نبي الله نوح، وأن المجدد لها هو إبراهيم. وقد كتب داود عن مناسك الحج إليها كلاما كثيرا. فما الذي حدا بهم إلى تركها؟ هل لإنكار نبوة محمد ﷺ من قبل مجيئه؟ من المؤكد أن ذلك هو السبب.

ففي كتاب موسى: «وبنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من جميع البهائم والطيور الطاهرة، بحسب الشريعة؛ فأصعد محرقات على المذبح» [تك ٨: ٢٠] وفي نفس الكتاب: «وكان لأهل الأرض كلها لغة واحدة وكلام واحد. فلما رحلوا إلى المشرق؛ وجدوا بقعة في سهل شنعار؛ فأقاموا هناك» وفي ترجمة: «وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك» [تك ١١: ١-٢] وشنعار هي أرض العراق. وهي إلى الشرق من مكة.

وإبراهيم خرج مهاجرا وهو لا يعلم إلى أين يذهب. وقد هداه الله إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين. وهي مكة. إذ هي مباركة يومئذ بنزول شريعة نوح فيها. وإذ هو في الأرض المباركة. وليس في أرض كنعان. كما يقول محرف التوراة؛ فإن المذبح الذي بناه في أرض هجرته؛ يكون هو الكعبة. ذلك قوله: «فلما وصلوا إلى أرض كنعان؛ اجتاز أبرام في الأرض إلى بلوطة مورة في شكيم. عندما كان الكنعانيون في الأرض، وتراءى الرب لأبرام وقال: لنسلك أهب هذه الأرض. فبنى أبرام هناك مذبحا للرب الذي تراءى له» [تك ١٢: ٥-٧] ويكون إبراهيم موعودا بإرث مكة، وأن الإرث يكون لنسله الذي أسكنه فيها. وهو نسل إسماعيل؛ لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد.

وهاجر امرأة إبراهيم ظهر لها ملاك الرب عند بئر زمزم «لأنها قالت: هنا حقا رأيت الله الذي يراني. لذلك سُميت البئر بئر الحى الرائى» [تك ١٦: ١٣-١٤] وهذه البئر

مكتبة المهتدين الإسلامية

في أرض فاران لأن إسماعيل أقام بها. وهي أرض مكة [تك ٢١:٢١] ومكان ذبح الابن الوحيد كان عند بئر الحى الرائى [تك ٢٢:١٤] وإسحق كان مولودا عند بئر زمزم في أرض الجنوب. وفيها أنجب يعقوب في حياة إبراهيم.

وعلى ذلك. فإن الناس من بعد نوح كانوا يحجون إلى الكعبة ليتذكروا فضل الله عليهم، وليشكروه على نجاتهم من الغرق. فمن هو الذي جاء من بعد إبراهيم من الأنبياء وغير الحج إلى فلسطين؟ ليس من نبي مشرع غير موسى - عليه السلام - وليس في كتابه أنه جعل لبني إسرائيل منسكا. فيكون المنسك الذي اتخذوه للحج في فلسطين؛ من ابتداعهم لا من أمر الله. وهذا هو معنى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ واحدا. هو الكعبة. ومنسكهم: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وعلم الذين أوتوا العلم بأن منسك فلسطين هم ناسكوه؛ قد أخذوه من الزبور. فإن فيه مناسك حج إلى بيت الله من قبل أن يتخذوا لهم منسكا على جبل جرزيم أو على جبل صهيون [1]، ويختلفوا فيه. وفي هذه المناسك طواف الإفاضة وشعائر الذبائح والنذر. وغير ذلك.

ومن نبوءات الزبور عن مناسك الحج إلى الكعبة؛ نبوءة قد أشار القرآن إليها بقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

والمعنى: وإن يوما عند بيت ربك الذي هو الكعبة في «بكة» خير من ألف سنة.
وهذا هو النص:

«ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي. العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشا لنفسها. حيث تضع أفراخها. مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي. طوبى للساكنين في بيتك أبدا. يسبحونك. سلاه.

---

(١) الذي على جبل صهيون هو هيكل سليمان. الذي يطلقون عليه الآن المسجد الأقصى. ولم يكن إسراء النبي ﷺ إلى هيكل سليمان، وإنما كان إلى مسجد قبة الصخرة. وفيها ربط البراق. والمسجد الأقصى الموجود الآن مؤسس في أيام الأمويين.

http://www.al-maktabeh.com

طوبى لأناس عـزّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. عـابرين في وادي الـبكاء (١) يصيرونه ينبوعا. أيضا ببركـات يغطون مورة. يذهبون من قـوة إلى قوة. يرون قدام الله في صهيون.

يا رب الجنود اسمع صلاتي واصغ يا إله يعقـوب. سلاه. يا مـجننا انظر يا ألله والتفت إلى وجه مـسيحك (٢). لأن يوما واحـدا في ديارك خير من ألف. اخـترت الوقوف عـلى العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار. لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطي رحـمة ومجدا. لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال. يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك» [مزمور ٨٤]

* * *

مساجد بني إسرائيل:

وأمر الله بني إسرائيل ببناء مساجد في الأرض. يُذكر فيها اسمه. وأمر بأن تكون المساجد مـساجد متـواضعة غير مـشيدة وأن تبنى من الطين والتراب وتسـقف بالجريد وأغصان الشجر. ذلك قوله: «مذبحا من تراب تصنع لي»

وأنبياء بني إسـرائيل لا يخالفون أحكام التوراة في بناء المسـاجد. لأنهم هم الأئمة والسـادة والقادة؛ فـإذا جاء في الكتب: أن داود عـليه السـلام أراد أن يشيـد هيكلا عظيما؛ وابتدأ في تشـييده وأن سليمان عليه السلام قـد أكمله على غاية ما يكون من الروعة والفخامة؛ فإن هذا الذي قد جـاء في الكتب؛ يكون افتراء على الأنبياء وكذباً وزوراً وبهتاناً. لأن الله يقول: «مذبحا من تراب تصنع لي» لا مـذبحا مشيدا بحجارة حسنة وتحف. فإذا بُني مـسجد من حجارة حسـنـة وتحف؛ يكون الذين بنوه مخالفين لأمر الله، والأنبياء لا يخالفون أمره.

* * *

تأسيس الهيكل لا إعادة بنائه:

وإذ قد بينا: أن المسـاجد عندهم تكون من تراب وطين، وأن القـبلة عندهم تكون

---

(١) وادي البكاء: في التراجم الانجليزية وادي بكة Baca والباء كابيتل للدلالة على أنها اسم

(٢) المسيح بلسانهم هو محمد رسول الله.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلى أية جهة، وأن أنبياءهم لا يخالفون شريعة التوراة، ولذلك لم يبن داود وسليمان الهيكل المعروف بهيكل سليمان نبين أن هيكل سليمان كان بعد رجوع اليهود من سبى بابل بإذن من «كوروش الفارسي» ليكون مكان حج بدل الكعبة في مكة، وليكون قبلة للصلاة:

١ ـ في الأصحاح الخامس من سفر الملوك الأول: «وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة. فنحتها بناءو سليمان، وبناءو حيرام، والجبليون وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت» [١ مل ٥:١٧]

وهذا من الكذب على سليمان عليه السلام لأنه متبع للتوراة. وفيها: «وإن صنعت لي مذبحا من حجارة فلا تبنه منها منحوتة»

٢ ـ في الأصحاح السادس من سفر الملوك الأول: «في السنة الرابعة أسس بيت الرب، في شهر زيو. وفي السنة الحادية عشرة في شهر بول. وهو الشهر الثامن أكمل البيت في جميع أموره وأحكامه. فبناه في سبع سنين» [١ مل٦:٣٧]

٣ ـ في الأصحاح الثاني من سفر حَجّي أن الهيكل مؤسس من بعد الرجوع من بابل. «فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فصاعدا من اليوم الرابع والعشرين من الشهر التاسع من اليوم الذي فيه تأسس هيكل الرب. اجعلوا قلبكم» [حج ٢:١٨]

٤ ـ في الأصحاح الثالث من سفر عَزْرا أن تأسيس الهيكل كان من بعد الرجوع من بابل وهذا هو النص:

«ولما استهل الشهر السابع وبنو إسرائيل في مدنهم اجتمع الشعب كرجل واحد إلى أورشليم. وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة وزربابل بن شألتئيل وإخوته وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات كما هو مكتوب في شريعة موسى رجل الله. وأقاموا المذبح في مكانه لأنه كان عليهم رعب من شعوب الأراضي وأصعدوا عليه محرقات للرب محرقات الصباح والمساء. وحفظوا عيد المظال كما هو مكتوب ومحرقة يوم فيوم بالعدد كالمرسوم أمر اليوم بيومه. وبعد ذلك المحرقة الدائمة وللأهلة ولجميع مواسم الرب المقدسة ولكل من تبرع بمتبرع للرب. ابتدأوا من اليوم الأول من الشهر السابع يصعدون محرقات للرب وهيكل الرب لم يكن قد تأسس. وأعطوا فضة

http://www.al-maktabeh.com

للنحاتين والنجارين ومأكلا ومشربا وزيتا للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب أرز من لبنان إلى بحر يافا، حسب إذن كورش ملك فارس لهم .

وفي السنة الثانية من مجيئهم إلى بيت الله إلى أورشليم في الشهر الثاني؛ شرع زربابل بن شألتئيل ويشوع بن يوصاداق وبقية إخوتهم الكهنة واللاويين وجميع القادمين من السبى إلى أورشليم وأقاموا اللاويين من ابن عشرين سنة فما فوق للمناظرة على عمل بيت الرب. ووقف يشوع مع بنيه وإخوته قدميئيل وبنيه بني يهوذا معا للمناظرة على عاملي الشغل في بيت الله وبني حيناداد مع بنيهم وإخوتهم اللاويين. ولما أسس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق واللاويين بني آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود ملك إسرائيل. وغنوا بالتسبيح والحمد للرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته على إسرائيل. وكل الشعب هتفوا هتافا عظيما بالتسبيح للرب لأجل تأسيس بيت الرب .وكثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوس الآباء الشيوخ الذين رأوا البيت الأول؛ بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح. ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب لأن الشعب كان يهتف هتافا عظيما حتى أن الصوت سمع من بعد.

ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بنى السبى يبنون هيكلا للرب إله إسرائيل؛ تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم: نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم وله قد ذبحنا من أيام أَسَرْحَدُون ملك أشُّور الذي أصعدنا إلى هنا. فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل: ليس لكم ولنا أن نبني بيتا لإلهنا ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل. كما أمرنا الملك كورش ملك فارس» [عزرا ٣و٤]

* * *

الحج إلى الكعبة:

وأمر الله المسلمين بإتمام الحج والعمرة. أي أن مناسك الحج ومناسك العمرة من قبل محمد ﷺ كانت موجودة. وصارت تامة في الإسلام.

وفي التوراة: أن نوحا عليه السلام بنى الكعبة من بعد نجاة المؤمنين من الغرق في

مكتبة المهتدين الإسلامية

الماء وسماها «مذبحا» وأن الناس من بعد نوح ارتحلوا شرقا إلى أرض شنعار وهي أرض العراق. وهذا يدل على استقرار الفلك في مكة المكرمة وليس على «أراراط» لأنه لو استقر على أراراط لقالوا ارتحلوا غربا. ثم إن الناس من بعد تفرقهم في الأرض كانوا يأتون في كل عام ـ من قدر منهم ـ إلى مكة ليطوفوا بالكعبة، وليتذكروا فضل الله عليهم وليشكروه.

ولما هاجر إبراهيم عليه السلام من أرض آبائه؛ هداه الله إلى مكة. الأرض التي بارك الله فيها للعالمين. فهاجر إليها، وأقام فيها، وجدد بناء الكعبة. وأسكن فيها إسماعيل. وأعلم أبناءه بالحج إلى الكعبة أينما كانوا. وقال اليهود في كتبهم: إنه هاجر إلى أرض فلسطين. وفيها بنى «المسجد الأقصى» الذي بُني على أساسه هيكل سليمان. في زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان ـ رضي الله عنه ـ سنة ٨٩ هـ وأما مسجد قبة الصخرة فإن عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ هو الذي بناه. وقد هدم هركانوس المكّابي هيكل السامريين سنة ١١٠ ق.م

والحق: أنه هاجر إلى مكة. وجدد بناء الكعبة ولم يدخل أرض فلسطين. وأن إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ هو وزوجته «رفقة» كانا يقيمان مع أبيهما عند بئر زمزم «بئر الحى الرائى»

وإن كان قد ذهب إلى أرض فلسطين للدعوة إلى الله. فإن المساجد التي بناها ـ وقد كان يبني مساجد ـ قد هُدمت وزالت من الوجود. ورجع الناس إلى عبادة الأصنام. ففي أيام طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ وهما من بعد عصر إبراهيم بألف عام تقريبا؛ كان أهل فلسطين يعبدون صنما اسمه «داجون» وباسمه حاربوا بني إسرائيل؛ لئلا يعبدوا الله رب العالمين. وهذا يدل على أنه ما كانت في ذاك الوقت مساجد ولا أثر للمساجد.

* * *

مناسك الحج في الزبور

وقد سجل اليهود في كتاب (الزبور) مناسك الحج إلى الكعبة، وسموا مكة «بكة»

أ ـ ففي المزمور الرابع والثمانين:

«ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي

http://www.al-maktabeh.com

ولحمي يهتفان بالإله الحي. العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشا لنفسها. حيث تضع أفراخها. مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي. طوبى للساكنين في بيتك أبدا. يسبحونك. سلاه.

طوبى لأناس عزّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا. أيضا ببركات يغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يرون قدام الله في صهيون.

يا رب الجنود اسمع صلاتي واصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا ألله والتفت إلى وجه مسيحك [١] . لأن يوما واحدا في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار. لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجدا. لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال. يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك» [مزمور ٨٤]

أشار بالعصفور والسنونة - التي هي اليمامة - إلى الأمن عند الكعبة. وقال: «طوبى للساكنين في بيتك أبدا» وبيت الله هو الكعبة. لأن التوراة لم تحدد لليهود بيتا مقدسا في نابلس أو في أورشليم.

وأشار بقوله: «طرق بيتك في قلوبهم» إلى أن الحجاج يعرفون الطرق الموصلة إلى مكة. وقوله: «عابرين في وادي البكاء» في التراجم الانجليزية بكا Baca الباء كابيتل للدلالة على أنها اسم معروف. والناس على جبل عرفات يبكون على ذنوبهم ويلتمسون الرحمة من الله. وعبر عن كثرة البكاء من الحجاج كلهم بقوله: «وادي البكاء»

وقوله: «يذهبون من قوة إلى قوة» إشارة إلى التنقل والارتحال نحو الكعبة. وقوله في صهيون تحريف. لأن التوراة لم تذكر صهيون ولا جرزيم كمكان مقدس.

ب - وفي المزمور الثاني والأربعين:

«كما يشتاق الإيَّل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا ألله. عطشت نفسي

---

(١) المسيح ههنا: هو محمد ﷺ.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيءُ وأتراءى قدام الله. صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك. هذه أذكرها فأسكب نفسي عليَّ. لأني كنت أمرُّ مع الجُمَّاع أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنُّم وحمد جمهور معيِّد. لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي اللهَ لأني بعدُ أحمده لأجل خَلاص وجهِه.

يا إلهي نفسي منحنية فيَّ. لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مِصعَر. غمر ينادي غمراً عند صوت ميازيبك. كل تيَّاراتك ولججك طَمتْ عليَّ. بالنهار يوصي الرب رحمتهُ وبالليل تسبيحهُ عندي. صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدُو. بسحق في عظامي عيّرني مضايقيّ بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟ لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجيِ الله لأني بعدُ أحمدهُ. خلاص وجهي وإلهي» [مزمور ٤٢]

ج - وفي المزمور السادس والعشرين تجد كلاما عن قضاء تفثهم، وعن الطواف بالكعبة التي هي في لغتهم «المذبح» والمذبح هذا هو الذي بناه نوح عليه السلام من بعد الطوفان «وبنى نوحا مذبحا للرب..» [تك ٨:٢٠]

د - وفي المزمور السابع والعشرين تجد كلاما عن ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعن ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وعن ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾:

نص المزمور ٢٦:

«اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلت بلا تقلقل. جربني يا رب وامتحني. صف كليتي وقلبي. لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك. لم أجلس مع أناس السوء. ومع الماكرين لا أدخل. أبغضت جماعة الأثمة. ومع الأشرار لا أجلس. أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب لأسمّع بصوت الحمد، وأحدث بجميع عجائبك. يارب أحببت محل بيتك وموضع مسكن مجدك.

لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي. الذين في أيديهم رذيلة ويمينهم ملآنة رشوة. أما أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني. رجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب» [مزمور ٢٦]

http://www.al-maktabeh.com

نص المزمور ٢٧ :

«الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب. عندما اقترب إليَّ الأشرار ليأكلوا لحمي. مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا. إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن. واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله. لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب.

استمع يا رب. بصوتي أدعو فارحمني واستجب لي. لك قال قلبي: قلت اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب. لا تحجب وجهك عني. لا تخيب بسخط عبدك. قد كنت عوني. فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي. إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمني. علمني يا رب طريقك. واهدني في سبيل مستقيم. بسبب أعدائي. لا تسلمني إلى مرام مضايقي. لأنه قد قام عليَّ شهود زور ونافث ظلم. لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء. انتظر الرب. ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب» (١) [مزمور ٢٧]

* * *

وقد قال تعالى عن المسجد الذي أسسه اليهود من بعد رجوعهم من بابل ونسبوه إلى سليمان عليه السلام ليتخذوه منسك حج بدل الكعبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(١) يطلق اليهود على المزامير ١٢٠ ـ ١٣٤ مزامير الحجاج. وتسمى بأناشيد المراقي.

مكتبة المهتدين الإسلامية

حَكِيمٌ﴾

وقـال عن إسـراء النبي ﷺ : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

والمعنى على القولين هو: من مكان المسجد الحرام. أي من مكة، إلى مكان المسجد البعيـد. أي الإسراء إلى المسجد الذي بنوه في فلسطين الذي اتخذوه مـسجدا ضرارا. وقد هدمـه إدريانوس الروماني سنة ١٣٢ م وما يزال حـبه في قلوبهم. قلوب اليـهود العبرانيين والمسيـحيين. وقد جعل البركة لواحد هو المسـجد الحرام. لقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ فقوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ يدل على أن البركة لواحد من الاثنين. هو المسجد الحرام. أما المسـجد الأقصى. الذي هو هيكل سليمان في زعمهم فإنه غير مبارك؛ لأن البـركة في زمان شريعة التوراة هي لجبل طور سيناء؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأيضا: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

ولا يحتج أحد بعود الضمير في ﴿حَوْلَهُ﴾ إلى أقرب مذكور وهو المسجد الأقصى المنسوب زورا إلى سليمان. وذلك ليثبت له بركة. لأن عود الضمير إلى أقرب مذكور ليس قاعدة ثابـتة ملزمة في اللغة العربيـة. وفي القرآن الكريم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

والضمير في: ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ لا يعود إلى يعقوب؛ بحجة أنه أقرب مذكور، وإنما يعود إلى إبراهيم، ولو قلنا بعوده إلى يعـقوب؛ لبطلت نبوة مـحمد ﷺ لأنه مـن نسـل إسماعيل عليه السلام.

ولأن هيكل سليـمان هو الذي يقـولون عنه إنه قد هدم، وحـل المسجد الأقـصى مكانه، والإسراء قـد كان في أيام هدمـه؛ لأن بانيه هو أمـير المؤمنين عـبد الملك بن مروان - رضي الله عنه - ولذلك يتعـين أن يكون الإسراء إلى مسجد قبـة الصخرة. وهو أيضا يطلق عليه المسجد الأقصى. أي البـعيد عن مكة. وفي الأحاديث النبوية ما يدل على أن الإسراء كان إلى مسجد قبة الصخرة، وبينه وبين المسجد الأقصى - الذي

http://www.al-maktabeh.com

بناه عبد الملك رضي الله عنه والذي هو محل النزاع والذي جعلوه منسك حج - حوالي خمسمائة متر.

* * *

أحاديث نبوية تدل على أن

الإسراء كان على مسجد قبة الصخرة

١ - قال[١] الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن إبراهيم. واللفظ له. قال: حدثنا أبو نميلة، حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أُسْرِيَ بي - قال - فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس، قال: فوضع إصبعه فيها؛ فخرقها؛ فربط بها البراق..

٢ - قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب؛ أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان بالجابية[٢]، فذكر فتح «بيت المقدس» قال: قال أبو سلمة: فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني؛ صليتَ خلف الصخرة، فكانت «القدس» كلها بين يديك. فقال عمر - رضي الله عنه -: ضاهيت اليهودية، ولكن أصلي حيث صلّى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة، فصلى، ثم جاء، فبسط رداءه، وكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس، فلم يعظّم الصخرة تعظيما. يصلي وراءها وهي بين يديه. كما أشار كعب الأحبار. وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم، ولكن مَنَّ الله عليه بالإسلام، فهدي إلى الحق. ولهذا لما أشار بذلك، قال له أمير المؤمنين عمر: ضاهيت اليهودية.

ولا أهانها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة، من أجل أنها قبلة اليهود ولكن أماط عنها الأذى، وكنس عنها الكناسة بردائه.

٣ - قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن

(١) الأحاديث منقولة من تفسير ابن كثير في سورة الإسراء

(٢) الجابية: هي أرض الجولان في أرض سوريا

مكتبة المهتدين الإسلامية

بي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: لما كان ليلة أسري رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل، حمله جبريل عليها، ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها، فلما بلغ «بيت المقدس» وبلغ المكان الذي يقال له: باب محمد ﷺ أتى إلى الحَجَر الذي ثمة، فغمزه جبريل بإصبعه فثقبه، ثم ربطها، ثم صعد. فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل: يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ فقال: «نعم» فقال: فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة. قال فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن عليَّ السلام فقلت «من أنتن»؟ فقلن: نحن خيرات حسان، نساء قوم أبرار، نقوا فلم يدرنوا، وأقاموا فلم يظعنوا، وخلدوا فلم يموتوا.

* * *

النصوص

أولا: نصوص التوراة:

«فقال الرب لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم. لا تصنعوا معي آلهة فضة. ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب. مذبحا من تراب تصنع لي. وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك، غنمك، وبقرك. في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا. آتي إليك وأباركك. وإن صنعت لي مذبحا من حجارة؛ فلا تبنه منها منحوتة. إذا رفعت عليها أزميلك؛ تدنسها، ولا تصعد بدرج إلى مذبحي. كيلا تنكشف عورتك عليه» [خروج ٢٠:٢٢-٢٦]

من ذلك النص يتبين: أنه يبني مساجد غير مشيدة. مساجد من تراب، وأنه لا مكان بذاته محدد. ليكون مقدسا دون غيره، أو معظما. «كل الأماكن» سواء في التقديس والعظمة. وأن الله تنزل رحمته وبركته في «كل الأماكن» إذا ذكر اسم الله. وأن القبلة تكون إلى أية جهة، وأنه يحرم بناء المساجد بحجارة منحوتة.

* * *

وفي بابل اتفق العبرانيون والسامريون على تغيير ذلك النص. وذلك بتحديد مكان واحد يقدسه الجميع ويعظمونه ويحجون إليه، بعد الرجوع من بابل واستقرارهم في

http://www.al-maktabeh.com

فلسطين، ويقدمـون القرابين والنذور إليه. وهذا المكان الواحد قـالوا: إنه سيكون في أرض سبطٍ من أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر. في أرض فلسطين. وكتبوا في التوراة هذا النص:

«هذه هي الفـرائض والأحكام التي تحـفظون لتـعمـلوها في الأرض. التي أعطاك الرب، إله آبائك لتـمـتلكهـا كل الأيام التي تحـيون عـلى الأرض. تخربون جـمـيع الأماكن. حيث عبدت الأمم التي ترثونها، آلهتـها على الجبال الشامخة وعلى التلال. وتحت كل شجرة خضراء، وتهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار، وتقطعون تماثيل آلهتهم، وتمحون اسمهم من ذلك المكان.

لا تفـعلوا هكذا للرب إلهكم، بل المـكان الذي يختـاره الرب إلهكم مـن جمـيع أسباطكم ليـضع اسمه فيه. سكناه تطلبـون. وإلى هناك تأتون. وتقدمون إلى هناك: محـرقاتكم، وذبائحكم وعـشوركم، ورفـائع أيديكم، ونذوركم، ونوافلكم، وأبكار بقركم وغنمكم. وتأكلون هناك أمـام الرب إلهكم وتفرحون بكل ما تمـتـد إليه أيديكم أنتم وبيوتكم. كـما باركم الرب إلهكم. لا تعملوا حسب كل مـا نحن عاملون هنا اليوم. أي كل إنسـان مهـما صلح في عيـنيه. لأنكم لم تدخلوا حـتى الآن إلى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب إلهكم.

فمتى عبرتم الأردن وسكنتم الأرض التي يقـسمها لكم الرب إلهكم، وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حواليـكم، وسكنتم آمنين. فالمكان الذي يخـتاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه. تحملون إليه كل مـا أنا أوصيكم به: محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم، وكل خيار نذوركم التي تنذورنهـا للرب. وتفرحون أمام الرب إلهكم أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيـدكم وإماؤكم. واللاوي الذي في أبوابكم لأنه ليس له قسم ولا نصيب معكم.

احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه. بل في المكان الذي يختاره الرب في أحد أسباطك. هناك تصعد محرقاتك. وهناك تعمل كل ما أنا أوصيك به. ولكن من كل ما تشتهي نفسك تذبح وتأكل لحما في جميع أبوابك. حسب بركة الرب إلهك التي أعطاك. النجس والطاهر يأكلانه، كـالظبي والإيل. وأمـا الدم فـلا تأكله. على

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأرض تسفكه كالماء. لا يحل لك أن تأكل في أبوابك عشر حنطتك وخمرك، ولا أبكار بقرك وغنمك. ولا شيئا من نذورك التي تنذر. ونوافلك، ورفائع يدك. بل أمام الرب إلهك تأكلها في المكان الذي يختاره الرب إلهك. أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي الذي في أبوابك، وتفرح أمام الرب إلهك بكل ما امتدت إليه يدك. احترز من أن تترك اللاوي كل أيامك على أرضك» [تثنية ١٢:١-١٩]

يقول الكاتب في هذا النص: «لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم. أي كل إنسان مهما صلح في عينيه. لأنكم لم تدخلوا حتى الآن إلى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب إلهكم» إنه يريد أن يغير المكان المقدس الذي هو منسك الحج بمكان واحد ـ ويوهم القارئ بأن موسى هو القائل ـ لا عَزرا في أرض بابل ـ وهذا المكان الواحد ـ في نظره ـ لابد أن يكون في أرض كنعان. بعد عبورهم الأردن، وسكناهم فيها.

ويؤكد الكاتب على المكان الواحد في أرض كنعان، ويأمر بشكر الله ليزيدهم من فضله فيقول: «ومتى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيبا وامتلكتها وسكنت فيها. فتأخذ من أول كل ثمر الأرض الذي تحصل من أرضك التي يعطيك الرب إلهك وتضعه في سلة. وتذهب إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه.

وتأتي إلى الكاهن الذي يكون في تلك الأيام وتقول له: اعترف اليوم للرب إلهك أني قد دخلت الأرض التي حلف الرب لآبائنا أن يعطينا إياها. فيأخذ الكاهن السلة من يدك ويضعها أمام مذبح الرب إلهك، ثم تصرح وتقول أمام الرب إلهك: أراميا تائها كان أبي. فانحدر إلى مصر، وتغرب هناك في نفر قليل، فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة. فأساء إلينا المصريون، وثقلوا علينا، وجعلوا علينا عبودية قاسية، فلما صرخنا إلى الرب إله آبائنا سمع الرب صوتنا، ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا. فأخرجنا من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب. وأدخلنا هذا المكان، وأعطانا هذه الأرض، أرضا تفيض لبنا وعسلا.

فالآن هأنذا قد أتيت بأول ثمر الأرض التي أعطيتني يا رب، ثم تضعه أمام الرب

http://www.al-maktabeh.com

إلهك وتسجد أمام الرب إلهك وتفرح بجميع الخير الذي أعطاه الرب إلهك لك. ولبيتك. أنت، واللاوي والغريب الذي في وسطك» [تث ٢٦: ١-١١]

* * *

ومما تقدم منّ هذه النصوص يتبين أمرين هامين اثنين:

الأمـر الأول: أن الله لم يحدد لبني إسرائيل قبلة معينة، ولا مكانا مقدسا للحج إليه. بل كل الجهات تصلح قبلة، وليس من مكان مقدس لهم وللأمم غير الكعبة. لأنه لو كان في توراة موسى تعيين مكان حج وقبلة؛ ما كان يعبر الكاتب بقوله:

«احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه. بل في المكان الذي يختاره الرب في أحد أسباطك»

وإذ موسى مات، ولم يحدد لهم مكانا، وإذ هو وصى بعدم الزيادة على كلامه أو النقص من كلامه؛ فإنه لا يقدر نبي من بني إسرائيل أن يصرح بأن لنا مكان حج. ذلك قوله: «لا تزيدوا كلمة على ما آمركم به، ولا تنقصوا منه» [تث ٤: ٢] «احرصوا أن تعملوا بجميع ما أنا آمركم به. لا تزيدوا عليه، ولا تنقصوا منه» [تث ١٢: ١]

وعلى ذلك فإنه إذا جاءت في التوراة عبارة بيت الله. فإنه لا يكون المراد بالبيت غير الكعبة. لأنهم يعرفون أنها بيت الله الذي هو في جبل الله من أبيهم إبراهيم ومن كان قبله. فقول داود عليه السلام لله تعالى - وقد كان زمانه قبل زمان تأسيس هيكل سليمان الذي اتخذوه مكان حج وقبلة -: «هنيئا للمقيمين في بيتك» [مز ٨٤: ٥] يدل على أنه كان يعرف بيت الله. وإذ هيكل سليمان مؤسس بعد زمان داود، وإذ موسى لم يحدد لهم بيتا؛ فإن هيكل سليمان؛ لا يكون هو بيت الله. وإذا انتفى أنه بيت الله ينتفي وجوب أو جواز الحج إليه، وينتفي الاتجاه إليه بالصلوات فرضا. انظر أيضا إلى قول داود: «فرحت بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب» [1] [مز ١٢٢: ١] أين

(١) «اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلت بلا تقلقل. جربني يا رب وامتحني. صفّ كليتي وقلبي. لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك. لم أجلس مع أناس السوء. ومع الماكرين لا أدخل. أبغضت جماعة الأثمة ومع الأشرار لا أجلس. **أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب لأسمّع بصوت الحمد، وأحدث بجميع عجائبك. يارب أحببت محل بيتك وموضع -**

مكتبة المهتدين الإسلامية

تذهبون في عصر داود وقد كان هيكل سليمان غير موجود؟ إنهم يذهبون إلى الكعبة.

فإن إبراهيم لما أمره الله بذبح ولده وافتداه بذبح عظيم: «دعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يَرْأه حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يُرَى» [تك ٢٢:١٤]

وقبل أن يذهب إلى ذلك الموضع بولده قال لغلاميه: «وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد» [تك ٢٢:٥] ومكان السجود - في لغتهم - هو مكان حج. وقد كان في جبل الرب. فبيت الله في جبل الله هو معروف للعالم من قبل تأسيس هيكل سليمان. وموسى لم يجعل الهيكل مكان سجود ولا قبلة صلاة. فلماذا بنى؟ هل ليكون مسجدا كسائر المساجد؟ فلماذا امتاز عنها بأنه كان من حجارة حسنة وتحف؟

وفي المزمور السادس والثلاثين: «يروون من دسم بيتك، ومن نهر نعمك تسقيهم؛ لأن عندك ينبوع الحياة»

ثم التفت إلى النبي الأمي الآتي من عند بيت الله وقال: «بنورك نرى نورا» وذكر أن الله نصر نبيه على أعدائه بقوله: «دحروا، فلم يستطيعوا القيام»

وهذا هو النص:

«نأمةُ معصية الشرير في داخل قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه. لأنه ملق عينه لنفسه من جهة وجدان إثمه وبغضه. كلام فمه إثم وغش. كف عن التعقل عن عمل الخير. يتفكر بالإثم على مضجعه. يقف في طريق غير صالح. لا يرفض الشر.

يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام. عدلك مثل جبال الله وأحكامك لجة عظيمة. الناس والبهائم تخلص يارب. ما أكرم رحمتك يا ألله. فبنو البشر في ظل جناحك يحتمون. يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم. لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نورا. أدم رحمتك للذين يعرفونك وعدلك لمستقيمي القلب. لا تأتني رِجْلُ الكبرياء ويد الأشرار لا تزحزحني. هناك سقط فاعلو الإثم.

= مسكن مجدك.

لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي. الذين في أيديهم رذيلة ويمينهم ملآنة رشوة. اما أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني. رجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب» [مزمور ٢٦]

http://www.al-maktabeh.com

دحروا فلم يستطيعوا القيام» [مزمور ٣٦]

* * *

معجزات موسى ـ عليه السلام ـ
هي أيضا منْ أجل محمد ﷺ :

وقد أيد الله موسى بمعجزات حسية كثيرة منها العصا واليد البيضاء. وبمعجزاته الحسية ثبتت نبوته، وسمع اليهود لكلامه. ومن كلامه: «يقيم لك الرب إلهك نبيا.. إلخ» فإذا جاء هذا النبي؛ يجب أن يسمع اليهود له ويطيعون؛ لأن الذي ثبتت نبوته عندهم هو الذي أخبر به. وقد عرفه لهم بعدة أوصاف؛ ظهرت كلها فيه. فلماذا ينتظرون منه معجزات حسية. والأوصاف التي ظهرت فيه تغني عنها؟

* * *

شهادة الملائكة لمحمد ﷺ :

ويوجد فرق بين الملائكة والملائكة المقربون.- وأيضا: يوجد فرق بين ملائكة السماء النورانيين، وبين أتباع شخص مّا. والأتباع يُطلق عليهم ملائكة ـ مجازا ـ وقد قال الله تعالى عن شهادة الملائكة. الذين هم أتباع موسى وعيسى الأمناء: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

فقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ يعني بهم أتباع موسى وعيسى الأمناء؛ لأن ملائكة السماء إذا شهدوا؛ فمن من الناس قد سمع شهاداتهم؟ والشهادة تكون من أجل إثبات حق أو دفع باطل، وتكون مشافهة وتكون مكتوبة. وعن شهاداتهم يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

والمسلمون أتباع محمد ﷺ ملقبون في التوراة وفي الإنجيل بالملائكة ـ مجازا ـ وهم أيضا يشهدون له بالنبوة. وأصحابه الكرام لما توجهوا لقتال اليهود في يوم الرب. يدل قتالهم على أنهم شهدوا له أمامهم بالنبوة. وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين وهو يتكلم عن اسم: «بيراكليت» الذي هو أحمد: «وتشهدون أنتم أيضا؛ لأنكم معي من الابتداء» [يو ١٥: ٢٧]

مكتبة المهتدين الإسلامية

والملائكة المقربون منه: هم أصحاب محمد رسول الله ﷺ وذلك لأنه بعدما فرغ من بيان أن: ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ وجعل ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ. وجعل ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ خبر هذا المبتدأ، وأتم الفائدة. قال: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ منه. والمسيح الرئيس بلغتهم هو محمد ﷺ. والمعنى: لن يستنكف أن يكون خاضعا ومتواضعا لله، وأتباعه مثله لن يستكبروا ولن يستنكفوا.

* * *

والأمر الثاني: أن مكانا مختارا في أرض كنعان سوف يُحدد مكانا مقدسا بعد موت موسى ليحجوا إليه، وليتجهوا إليه وقت الصلاة.

أما عن الأمر الأول، فهو صحيح كل الصحة. وأما عن الثاني فهو خطأ كل الخطأ. ذلك لأن المكان الذي سيختاره الله مستقبلا. من سيبينه لهم فإن موسى عليه السلام قد مات ولم يبينه. وقد تمت شريعته من قبل موته؟ وذلك الذي سيبينه، إما نبي من بني إسرائيل. وإما نبي من غير بني إسرائيل. فإن كان من بني إسرائيل؛ فقد وصى موسى بأنه لن يأتي منهم نبي مشرع مثله، يسمعون له ويطيعون. ففي سفر التثنية: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى» [التثنية ٣٤: ١٠] وإن كان من غير بني إسرائيل، وذلك هو الحق. فإنه سيبين كما يوحي الله إليه سواء أكان بيانه في أرض الأسباط، أم في أي أرض تكون. فلماذا يحددونه في أرض الأسباط؟

* * *

العبرانيون يمنعون السامريين من تأسيس الهيكل المنسوب إلى سليمان:

ولما رجع بنو إسرائيل من «بابل» متفقين على هذه النصوص التي ذكرناها؛ طلب السامريون من العبرانيين أن يشتركوا معهم في بناء الهيكل الذي نسبوه زورا إلى سليمان، حسبما يقول العبرانيون في توراتهم. ففي سفر عزرا: «وقالوا لهم: نبني معكم. لأننا نظيركم نطلب إلهكم. وله قد ذبحنا من أيام أسرحدّون ملك أشور الذي أصعدنا إلى هنا. فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل: ليس لكم

http://www.al-maktabeh.com

ولنا أن نبني بيتا لإلهنا. ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل، **كما أمرنا الملك كورش ملك فارس»** [عزرا٤: ٢-٣]

ولما منع العبرانيون السامريين من الاشتراك في بناء الهيكل الذي نسبوه زورا إلى سليمان؛ كتب السامريون خطابا إلى «أرتحشستا ملك فارس» بمنع العبرانيين من بناء أورشليم وأسوارها والهيكل. وهذا نص ما كتبوه:

«ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا قد أتوا إلى أورشليم، ويبنون المدينة العاصية الردية. وقد أكملوا أسوارها ورمموا أسسها، ليكن الآن معلوما لدى الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يؤدون جزية ولا خراجا، ولا خفارة. فأخيرا تضر الملوك. والآن بما أننا نأكل ملح دار الملك، ولا يليق بنا أن نرى ضرر الملك. لذلك أرسلنا فأعلمنا الملك. لكي تفتش في سفر أخبار آبائك فتجد في سفر الأخبار، وتعلم: أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد. وقد عملوا عصيانا في وسطها منذ الأيام القديمة. لذلك أخربت هذه المدينة. ونحن نعلم الملك،أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها؛ لا يكون لك عند ذلك نصيب في عبر النهر» [عزرا٤: ١٢-١٦]

وبناء على ذلك الخطاب: توقف العمل في هيكل سليمان بقوة. لأنه ـ كما يقول عزرا ـ قد «أرسل الملك جوابا إلى رحوم صاحب القضاء وشمشاي الكاتب، وسائر رفقائهما الساكنين في السامرة وباقي الذين في عبر النهر. سلام إلى آخره.

الرسالة التي أرسلتموها إلينا قد قرئت بوضوح أمامي. وقد خرج من عندي أمر. ففتشوا ووجد. أن هذه المدينة منذ الأيام القديمة تقوم على الملوك. وقد جرى فيها تمرد وعصيان. وقد كان ملوك مقتدرون على أورشليم، وتسلطوا على جميع عبر النهر. وقد أعطوا جزية وخراجا وخفارة. فالآن أخرجوا أمرا بتوقيف أولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر مني أمر. فاحذروا من أن تقصروا عن عمل ذلك. لماذا يكثر الضرر لخسارة الملوك؟

حينئذ لما قرئت رسالة أرتحشستا الملك أمام رحوم، وشمشاي الكاتب ورفقائهما ذهبوا بسرعة إلى أورشليم إلى اليهود وأوقفوهم بذراع وقوة. حينئذ توقف عمل بيت الله الذي في أورشليم. وكان متوقفا إلى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس»

مكتبة المهتدين الإسلامية

[عزرا ٤:١٧-٢٤]

ثم بنى العبرانيون الهيكل فيما بعد.

* * *

جبل جرزيم وجبل عيبال:

تلك هي وجهة نظر العبرانيين في تمسكهم بهيكل سليمان في أورشليم، نقلناها من توراتهم. ولكي يبعدوا القبلة عن «جرزيم» كما يدعي السامريون قالوا: إن التوراة التي بأيديهم تنص على أن يبني بنو إسرائيل مذبحا مقدسا إذا عبروا الأردن، ويكون البناء على «جبل عيبال» يقول موسى: «يوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك، أرضا تفيض لبنا وعسلا كما قال لك الرب إله آبائك. حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال. وتكلسها بالكلس. وتبني هناك مذبحا للرب إلهك. مذبحا من حجارة لا ترفع عليها حديدا. من الحجارة صحيحة تبني مذبح للرب إلهك وتصعد عليه محرقات للرب إلهك. وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك. وتفرح أمام الرب إلهك وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشا جيدا» [تثنية ٢٧:٢-٨]

وكتب العبرانيون في سفر يشوع: «حينئذ بنى يشوع مذبحا للرب إله إسرائيل في جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب بني إسرائيل. كما هو مكتوب في سفر توراة موسى: مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديدا، وأصعدوا عليه محرقات للرب وذبحوا ذبائح سلامة. وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل» [يشوع ٨:٣٠-٣٢]

غير أن السامريين يقولون: إن موسى لم يوص بعيبال، وإنما وصى أن يكون البناء على «جبل جرزيم» ويقولون ليثبتوا وجهة نظرهم في قبلتهم: إن يشوع بنى المذبح في جرزيم كما تنص توراتهم في بركته. يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري: «إن المنقول أن بني إسرائيل دخلوا في الشهر الأول الموافق لشهر نيسان. وأقاموا في هرجرزيم الحجارة ١٢ حجرا. وكتبوا العزر الإمام عليها كل خطوب الشريعة خطا منظوما. وأخذوا في إصلاح الطريق لصعود المشكن إلى الجبل المقدس؛ لأن المشكن

http://www.al-maktabeh.com

أقام في المرج على ما قيل مدة سنة كاملة من الفسح إلى الفسح.

وفي السنة الثانية بنى يهوشع الهيكل على هرجرزيم، وجعل فيه المشكن. ولم يره أحد بعد ذلك سوى الأئمة الخدام فيه، ثم بنى يهوشع مذبح حجارة. وقرب عليه صعائد ألله. وذبح سلائم، وأخرج منها أجزاء الله والباقي أكل الناس، وخرجت النار اللهوتية وأحرقت الصعائد، وأكثر بنو إسرائيل من التسبيح والحمد لله جلت قدرته، ووقفوا الأسباط الستة المعينة في الشرع الشريف على هرجرزيم وتلوا الليوانية البركة على بني إسرائيل، وكل القوم يلعنوا المخالفين. وكل القوم يقولون: آمين. إلى تمام فصول البركة واللعنة [1]» أ. هـ

* * *

حجج السامريين في رفضهم الهيكل المنسوب إلى سليمان ـ عليه السلام ـ:

هذا ما يقوله السامريون في وجهة نظرهم في تمسكهم بجرزيم، ويقولون: إن الخلاف كان في بابل. وليس بعد الرجوع منها. ويحتجون على العبرانيين بحجج كثيرة منها:

١ ـ إذا كانت القبلة عند العبرانيين لم تحدد إلا زمن داود ـ عليه السلام ـ فمن قبل ذلك أين كان بنو إسرائيل يؤدون القرابين؟ وبين موسى وداود أربعمائة وثمانون عاما ـ كما في سفر الملوك الأول ـ

٢ ـ أن موسى عليه السلام أوصى بجعل البركة على جبل جرزيم، واللعنة على جبل عيبال، وهذا يعني أنه لو كان ثمة مكان مختار، فالأولى أن يكون هو جبل البركة، ففي سفر التثنية: «وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلا: هؤلاء يقفون على جبل جرزيم، لكي يباركوا الشعب، حين تعبرون الأردن: شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين. وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة: رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي. فيصرح اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت

---

(١) ص ٢٦ ـ ٢٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء ـ ولاحظ ركاكة الترجمة.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عال: ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا رجسا لدى الرب على يدي نحات، ويضعه في الخفاء. ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين... إلخ» [التثنية ٢٧:١١ -]

وقد نفذ يشوع وصية موسى. فيوم عبروا الأردن، كما في سفر يشوع: «جميع إسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب. الغريب كما الوطني. نصفهم إلى جهة جرزيم، ونصفهم إلى جهة جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب أولا لبركة شعب إسرائيل. وبعد ذلك قرأ يشوع جميع كلام التوراة: البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة. لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل والنساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم» [يشوع ٨:٣٣-٣٥]

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري: «جاء زوربيل وجماعته اليهود، واجتمعوا بحران ووقفوا بين يدي سوردى الملك - ملك حران - ووقع بينهم وبين السامرة مشاجرة على القبلة، وأقبلوا السامرة بسفر المدرج الكبير من هيكل نينوه، وذكروا النصوص التي تدل على أن هرجرزيم هو القبلة، وأخرج زوربيل مدرجا وادعى أنه مدرج داود. وادعى أنه يدل على أن داود قال: إن الأندر الذي في إيليا هو القبلة، ورفع الجدل بينهم قدام الملك»

ويستطرد أبو الفتح فيقول: «واستشهدوا ببراهين عدة بأن القبلة هي الجبل الذي حدده الله تعالى في شريعته المقدسة المنزلة على يد موسى بن عمران (عم) وهو هرجرزيم. وسوردى الملك يستوفي عليهم القول. ويتأمل هو وعلماء زمانه مواضع الجدل ومجال الحجاج. فلما انتهت السامرة من الإتيان بالبراهين قال لزروبيل وأصحابه: ماذا هويتم تقولوا؟ فقالوا: قد جاءنا في خبرنا: أن داود وسليمان: قالا: إن القبلة بيروشليم، فقال لهم سنبلط الليواني: إذا كان داود وسليمان على زعمكم هم اللذين عرفا القبلة قبلتهم قبل ذلك إلى أين كانت الأئمة تؤدى القرابين سنة بسنة»؟ (١) أ. هـ

---

(١) التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ٦٤ - ٦٩ لاحظ ركاكة الترجمة.

http://www.al-maktabeh.com

ابتعاد الملائكة عن اليهود بسبب انصرافهم عن مكة:

ولقد عرف من كلامهم اختلافهم في مكان الحج، وجهة القبلة. واختلافهم هذا يدل على أنهم كذبوا على موسى بقولهم إنه حدد لهم قبلة ومنسك حج. إذ لو كانوا من زمان موسى يحجون إلى مكان في فلسطين؛ لربا عليه صغارهم، وصار معلوما. ليس لهم وحدهم بل للعالم أجمع. ومكان نشأ على تقديسه الصغير؛ لا يرد الاختلاف فيه. والسامريون أنفسهم يذكرون الخلاف بين بني إسرائيل من بعد موسى في شأن القبلة بين ثلاث فرق. فلو كان بناء يشوع بنص من موسى. لما اختلفوا.

يقول أبو الفتح: «ووقعت فتنة عظيمة بين إيلي بن يفنى من نسل إيثمر، وبين أولاد فينحاس، وقصد إيلي أن يأخذ الإمامة الكبرى. فسار إلى سيلون، فاجتمع إليه جماعة كثيرة، وبنى له بها ناووسا مثل الهيكل، وبنى مذبحا. ولم يغير شيئا إلا مكانا بمكان. وصار بنو إسرائيل حينئذ ثلاث فرق: فرقة في هرجرزيم، وفرقة ضلوا وتبعوا آلهة أخرى. وفرقة تبعوا إيلي في سيلون. فلما تكاسلوا القوم عن استدراك الفراط، وتغافلوا وعميت أبصارهم، وتخلفوا عن الإنكار؛ نفرت الملائكة عنهم، وسخط الباري عليهم.

ولما توجه إيلي إلى سيلون، وبنى فيها مشكنا، وأقام تشبيها بزمان الرضوان. قال له تلامذته: أقم لنا ملكا. فأخذ شاول بن قيس من سبط بنيميم، وأقامه ملكا. وعظم شاول (طالوت) في ملكه، وضل من بني إسرائيل عالم عظيم، وفي بداية ملك شاول وقع خلف في بني إسرائيل الضالين ـ يهود أورشليم ـ منهم من أراد سيلون، ومنهم من أراد هرجرزيم، ومنهم من قال: لا هنا ولا هنا [1]» أ. هـ

---

(١) ص ٣٨ ـ ٤٢ التاريخ مما تقدم عن الآباء ـ ويقول الدكتور جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس: «جرزيم جبل في أفرايم فوق شكيم حيث نطق بالبركات، كما نطق باللعنات من عيبال (تثنية ١١: ٢٩و ٢٧: ١١ ـ ١٣) ويعلو جرزيم ٢٨٥٠ قدما فوق البحر، و ٨٠٠ فوق نابلس. ويفصل بينه وبين عيبال: واد ضيق. وقد وقف ستة أسباط على عيبال، وستة على جرزيم (تثنية ٢٧: ١٢و١٣) ويرجح بأن التابوت كان في الوادي بينهما، ثم قرأ يشوع البركات واللعنات (يشوع٨: ٣٣و٣٥) وعاد اللاويون على كل جانب فكرروها. ثم قال الشعب: آمين. . . وحسب التقاليد السامرية: كان هذا الجبل الموضع الذي توجه إليه إبراهيم ليقدم إسحق» أ هـ.

وأفرايم: يعني سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام، وشكيم: نابلس.

مكتبة المهتدين الإسلامية

هدف داود ـ حسب زعمهم ـ في بناء هيكل سليمان:

وبعدما بينا طرفا من اختلافهم وتناقضهم. نبين المكتوب عندهم في هدف داود ـ عليه السلام ـ من إرادته بناء بيت في أورشليم ـ القدس ـ

يهدف داود ـ عليه السلام ـ كما بدا من النصوص التي يقدسونها ـ إلى: بناء بيت لوضع الخيمة فيه. وهم قد أزادوا على هدفه: أنه بيت للحج وللصلاة. وأيا ما كان هدف داود؛ فإن قبلته استحسانا لا إلزاما، وأما الحج إليه فلم يكن استحسانا ولا إلزاما؛ لأن داود من بني إسرائيل. ولا يسمع بنو إسرائيل ويطيعون لنبي منهم إلا على شريعة موسى. لا يسمعون لنبي إلا من موسى وحده. كما تقول التوراة: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى» [تث ٣٤:١٠] ولا يجوز لداود الذي هو مأمور باتباع التوراة أن يحل حراما، أو يحرم حلالا، أو يزيد فيها أمرا من الأمور أو ينقص أمرا.

وكيف؟ وفي آخر حياته لما حضره الموت ـ كما في الأصحاح الثاني من سفر الملوك الأول ـ: «أوصى سليمان ابنه قائلا: أنا ذاهب في طريق الأرض كلها. فتشدد وكن رجلا. احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه، وصاياه وأحكامه وشهاداته، كما هو مكتوب في شريعة موسى، لكي تفلح في كل ما تفعل، وحيثما توجهت» [١مل٢:١-٣]

فإذا كان داود في آخر حياته يوصي ابنه سليمان باحترام شريعة موسى، فكيف يتسنى له الخروج عليها بقبلة لم يحددها موسى؟ ومنسك حج لم يذكره موسى؟

وادعى اليهود أن سليمان قال لله تعالى: إن هذا الهيكل الذي بنيته هو قبلة ومنسك حج.

ودعواهم هذه باطلة. لأنه على شريعة موسى. وليس فيها تحديد قبلة وليس فيها مكان حج إلى غير الكعبة.

* * *

http://www.al-maktabeh.com

وبيان ذلك:

خطبة سليمان بعد بناء الهيكل:

وهذا هو كلامهم الذي نسبوه إلى سليمان:

يقول سليمان لله عز وجل: «مبارك الرب إله إسرائيل الذي تكلم بفمه إلى داود أبي، وأكمل بيده قائلا: منذ يوم أخرجت شعبي إسرائيل من مصر؛ لم أختر مدينة من جميع أسباط إسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي هناك. بل إنما اخترت داود ليكون على شعبي إسرائيل. وكان في قلب داود أبي أن يبني بيتا لاسم الرب إله إسرائيل. فقال الرب لداود أبي: من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتا لاسمي. قد أحسنت بكونه في قلبك. إلا أنك لا تبني البيت، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي. وأقام الرب كلامه الذي تكلم به. وقد قمت أنا مكان داود أبي، وجلست على كرسي إسرائيل كما تكلم الرب، وبنيت البيت لاسم الرب إله إسرائيل، وجعلت هناك مكانا للتابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع آبائنا عند إخراجه إياهم من أرض مصر.

ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل، وبسط يديه إلى السماء وقال:

أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك. في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل حافظ العهد والرحمة لعبيدك، السائرين أمامك بكل قلوبهم، الذي حفظت لعبدك داود أبي ما كلمته به. فتكلمت بفمك، وأكملت بيدك كهذا اليوم. والآن أيها الرب إله إسرائيل: احفظ لعبدك داود أبي ما كلمته به قائلا: لا يعدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل. إن كان بنوك إنما يحفظون طرقهم حتى يسيروا أمامي كما سرت أنت أمامي.

والآن يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود أبي. لأنه هل يسكن الله حقا على الأرض. هوذا السموات، وسماء السموات لا تسعك. فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت. فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها الرب إلهي واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك اليوم. لتكن عيناك مفتوحتين على

مكتبة المهتدين الإسلامية

هذا البيت ليلا ونهـارا على الموضع الذي قلت: إن اسمي يكون فيه؛ لتـسمع الصلاة التي يصليهـا عبدك في هذا المـوضع، واسمع تضرع عـبدك وشعـبك إسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع. واسـمع أنت في موضع سكناك في الـسماء. وإذا سـمعت فاغفر.

إذا أخطأ أحد إلى صاحبه، ووضع عليه حلفا ليحلفه. وجاء الحلف أمام مذبحك في هذا البيـت؛ فاسمع أنت في الـسماء واعـمل واقض بين عبيـدك، إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه. وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره.

إذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العـدو لأنهم أخطأوا إليك ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعـوا إليك نحو هذا البيت فاسمع أنت من الـسمـاء واغفر خطية شعبك إسرائيل، وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لآبائهم.

إذا أغلقت السمـاء ولم يكن مطر. لأنهم أخطأوا إليك ثم صلوا في هذا الموضع، واعترفوا باسمك ورجعوا عن خطيتهم لأنك ضايقتهم؛ فاسمع أنت من السماء واغفر خطية عبيـدك وشعبك إسرائيل. فتعلمهم الطريق الـصالح الذي يسلكون فيه. وأعط مطرا على أرضك التي أعطيتـها لشعبك ميراثا. إذا صـار في الأرض جوع. إذا صار وبأ. إذا صار لفح. أو يرقان، أو جراد جـردم، أو إذا حاصره عدوه في أرض مدنه، في كل ضـربة وكل مـرض؛ فكل صـلاة وكل تضرع تكـون من أي إنسان كـان من كل شـعـبك إسرائيل الذين يعرفـون كل واحد ضربة قلبه؛ فيبسط يديه نحـو هذا البيت؛ فاسـمع أنت من السمـاء. مكان سكناك واغفـر واعمل وأعط كل إنسـان حسب كل طرقه كـما تعـرف قلبه. لأنك أنت وحـدك قد عـرفت قلوب كل بني البشـر. لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لآبائنا.

وكـذلك الأجنبي [١] الذي ليس من شعبك إسرائيل هو. وجاء من أرض بعيدة من أجل اسمك. لأنهم يسمـعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك المـمدودة. فمتى جاء وصلى في هذا البيت؛ فاسمع أنت من السماء مكان سكناك وافعل حسب كل ما

---

(١) قوله والأجنبي يدل على أن الهيكل مؤسـس ليكون منسـك حج بدل الكعبة في مكة

http://www.al-maktabeh.com

يدعو به إليك الأجنبي [١] لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك فيخافوك كشعبك إسرائيل، ولكي يعلموا أنه قد دعى اسمك على هذا البيت الذي بنيت.

إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك. فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم. إذا أخطأوا إليك. لأنه ليس إنسان لا يخطئ، وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو، وسباهم سابوهم إلى أرض العدو بعيدة أو قريبة. فإذا ردوا إلى قلوبهم في الأرض التي يسبون إليها، ورجعوا وتضرعوا إليك في أرض سبيهم قائلين: قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا. ورجعوا إليك من كل قلوبهم، ومن كل أنفسهم في أرض أعدائهم الذين سبوهم، وصلوا إليك [٢] نحو المدينة التي اخترت، والبيت الذي بنيت لاسمك. فاسمع في السماء مكان سكناك. صلاتهم وتضرعهم. واقض قضاءهم واغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك، وجميع ذنوبهم، التي أذنبوا بها إليك، وأعطهم رحمة أمام الذين سبوهم. فيرحموهم؛ لأنهم شعبك وميراثك اللذين أخرجت من مصر، من وسط كور الحديد.

لتكن عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك إسرائيل. فتصغى إليهم في كل ما يدعونك. لأنك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض كما تكلمت عن يد موسى عبدك عند إخراجك آباءنا من مصر يا سيدي الرب» [الملوك الاول ٨: ١٥-٥٣]

* * *

رد الله على خطبة سليمان:

وكتب المحرفون: أن الله استجاب دعاء سليمان بتقديس هيكله. ونسوا أن الله إذا أراد أن يشرع لهم؛ فإنه لا يشرع لهم عن طريق نبي من بني إسرائيل. وإنما يشرع لهم عن طريق النبي الأمي المماثل لموسى. وليس هو سليمان. وقد كتبوا أن الله تعالى قد ردّ على سليمان بقوله: «قال له الرب: قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي

---

(١) لاحظ: أنه ساوى بين الأجنبي وبين اليهودي في العمل بشريعة موسى.

(٢) هذا يدل على أن هيكل سليمان مؤسس ليكون قبلة موحدة لجميع اليهود.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تضرعت به أمامي. قدست هذا البيت الذي بنيته، لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد. وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام. وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب، واستقامة. وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي. فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد. كما كلمت داود أباك قائلا: لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل.

إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي، ولا تحفظون وصاياي. فرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها. والبيت الذي قدسته لاسمي؛ أنفيه من أمامي. ويكون إسرائيل مثلا وهزأة في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة. كل من يمر عليه؛ يتعجب ويصفر ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض؟ ولهذا البيت؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر. وتمسكوا بآلهة أخرى، وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر» [الملوك الأول ٩: ٣-٩]

* * *

متى ابتدئ في بناء هيكل سليمان؟

ولو سألنا اليهود العبرانيين هذا السؤال وهو: بعد كم من السنين بني هيكل سليمان من بعد موسى؟ لأجابوا بما نصه: «في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو، وهو الشهر الثاني: أنه بنى البيت للرب» [الملوك الأول ٦: ١]

وقد سألناهم من قبل: ما إذا كان موسى قد حدد لهم مكانا أم لم يحدد؟ وأجابوا بعدم تحديد مكان. وعلى ذلك فإن هيكل سليمان ليس مكان حج، وليس قبلة شرعية بنص سماوي. وإنما هو قبلة وضعية. لا يجوز التمسك بها إلزاما وقسرا. في الحج، واستحسانا في الصلوات.

* * *

وقد تبين لنا من تضرع سليمان لله عز وجل ورد الله عليه: أن أول بيت وضع

http://www.al-maktabeh.com

لبني إسرائيل ليتجهوا إليه إلزاما واستحسانا حيثما كانوا في صلواتهم وحجهم: إنما كان في عهد سليمان ـ عليه السلام ـ وهذا يدل على أنه إلى عهد سليمان لم يكن لهم مكان مقدس إلا الكعبة. التي في أرض الجنوب. وأنه يوجد شرط وجواب من الله تعالى، وهو إن استقام بنو إسرائيل؛ حفظهم الله. وإذا زاغوا عن الحق؛ فإن البيت الذي قدسه الله؛ ينفيه عن وجه الأرض. ويكون هذا البيت عبرة. كل ما يمر عليه يتعجب ويصفر. ويقول الناس: لماذا عمل الرب هكذا لهذا البيت؟

* * *

انقسام اليهود بعد موت سليمان:

ومن فمهم ندينهم. فقد تحقق فساد بني إسرائيل، وأصبح البيت عبرة. فإنه من بعد موت سليمان ـ عليه السلام ـ انقسمت مملكته إلى قسمين:

١ ـ قسم مع يربعام بن نباط وضم عشرة أسباط. وهم اليهود السامريون.

٢ ـ وقسم مع رحبعام بن سليمان وضم سبطي يهوذا وبنيامين. وهم اليهود العبرانيون.

وأراد يربعام ـ كما يقول العبرانيون ـ أن يصرف الناس عن هيكل أورشليم. لأنه قال ـ كما في التوراة ـ: «إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني ويرجعون إلى رحبعام ملك يهوذا. فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب. وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم، وهوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر» [الملوك الأول ١٢: ٢٧ ـ ٢٨]

* * *

مدة المعبد الثاني:

ويقول اليهود كذبا: إنهم لما عادوا من بابل؛ بنى هيكل سليمان: زربابّل بن شألتيل ويشوع بن يهو صاداق، وعُرف هذا الهيكل، فيما بعد باسم «هيكل زربابل» وإن كانت التسمية القديمة لم تنس لأنه بني على أطلال هيكل سليمان. هذا هو قولهم.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعرف أيضا باسم «المعبد الثاني» وفي كتب التاريخ: أن بناء زربابل ظل قائما حتى جاء عيسى ـ عليه السلام ـ وكان قد رمم بعض الجدران وأصلحه قبل مجيئه بعشرين سنة: هيرودس الملك.

وفي السنة السبعين من الميلاد غزا (تِيطُوس) الروماني أورشليم ودمر الهيكل. وفي السنة الثانية والثلاثين بعد المائة من الميلاد حرث القائد (أدريانوس) أرض الهيكل وأزال معالم المدينة والهيكل تماما. وبنى مكان الهيكل معبدا للإله الروماني (جوبيتر) رب الآلهة عند الرومان. ولما اعترف الامبراطور الروماني (قسطنطين) بالنصرانية مذهبا واعتنقها؛ أزيل معبد (جوبيتر) من مكانه، وبمرور الزمن أصبح أرضا خربة عليها أتربة وقاذورات. ولما جاء أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه. نظف المكان وهيأه لبناء مساجد [1]. أما إسراء النبي ﷺ فقد كان إلى مسجد قبة الصخرة ـ حسب تفسير الأحاديث النبوية لأول سورة الإسراء ـ وقد كانت موجودة ليلة الإسراء ـ كما نطقت بذلك كتب الأحاديث ـ أما المسجد الأقصى الذي هو محل النزاع الآن بين اليهود وبين المسلمين فإنه لم يكن موجودا ليلة الإسراء. وقد بنى على بعد خمسمائة متر من مسجد قبة الصخرة. في عهد أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

* * *

هيكل السامريين:

هذا عن هيكل سليمان. وأما عن هيكل جرزيم، فإن العبرانيين يقولون: إن الذي بناه هو سنبلط الحوراني بعد رجوع السامريين من بابل. وفي سنة ٣٣٠ ق.م اجتاحت جيوش الاسكندر الأكبر أراضي فلسطين فأدخلت إليها البدع والتقاليد الهيلانية ووثنية الإغريق. وقد أظهر السامريون ـ كما يقول العبرانيون ـ «تساهلا تجاه الوثنية وكرسوا معبدهم للإله «جوبيتر» الروماني. ولما قام يهود أورشليم بالثورة على اليونانيين بقيادة يهوذا المكّابي، وجدوا الفرصة ملائمة للانتقام من السامريين فغزوهم بقيادة يوحنا هرقنوس المكابي، واستولوا على السامرة ودمروها وهدموا معبد

---

(١) اليهودية ص ٨١ .

السامرين على جرزيم.

ولما غزا الرومان بلاد فلسطين؛ سهل السامريون لهم فتح أورشليم فكافأوهم بأن أعادوا لهم استقلالها ويسروا لهم إعادة بناء هيلكهم. وبعد قرن من السنين قام يهود أورشليم بثورتهم الكبرى ضد رومية، فكان أول عمل قام به الثوار أنهم أغاروا على السامريين ودمروا هيكلهم مرة أخرى. فثار السامريون لأنفسهم بأن انضموا إلى الجيش الروماني الذي قدم لإخماد الثورة بقيادة (اسبازيان) وعندئذ أعاد (اسبازيان) بناء بلدة «شكيم» وأطلق عليها اسم «نابلس» وفي سنة ١٣٢م جدد القيصر (أدريان) معبد (جويبتر) فوق جبل جرزيم ليصرف الأنظار عن هيكل سليمان بعد تدميره.

ولما ظهرت الديانة المسيحية كمذهب رسمي. سن القيصر (تيو دوروس) ومن بعده (جستنيان الأول) القوانين الصارمة ضد السامرين، فاضطر عدد كبير منهم إلى اعتناق الديانة الحاكمة؛ فتحول هيكل جوبيتر فوق الجرزيم إلى كنيسة للعذراء سنة ٥٣٠»[١] أ. هـ

* * *

ثانيا نصوص الإنجيل

يقول يوحنا في الأصحاح الرابع من إنجيله: «فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يُصيّر ويعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا [٢]. مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمّد بل تلاميذه. ترك اليهودية، ومضى إلى الجليل. وكان لابد له أن يجتاز السامرة. فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه. وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة. فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء. فقال لها يسوع: أعطيني لأشرب. لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما. فقالت له المرأة السامرية: كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي. وأنا امرأة سامرية؟ لأن اليهود لا يعاملون السامرين.

---

(١) ص ١٨٥ ـ ١٨٦ رحلة بنيامين.

(٢) يوحنا المعمدان ـ وهو غير يوحنا كاتب الإنجيل.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك: أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا. قالت له المرأة: يا سيد لا دلو لك، والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحى؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر؟ وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟ أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أبدا. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا؛ فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية.

قالت له المرأة: يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش، ولا آتي إلى هنا لأستقي. قال لها يسوع: اذهبي وادعي زوجك وتعالي إلى هنا. أجابت المرأة وقالت: ليس لي زوج. قال لها يسوع: حسنا قلت: ليس لي زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق. قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي. آباونا سجدوا (١) في هذا الجبل. وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه.

قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة. لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود.

ولكن تأتي ساعة. وهي الآن. حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. قالت له المرأة: أنا أعلم أن مَسِيًّا، الذي يقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك؛ يخبرنا بكل شئ. قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو»
[يوحنا٤: ١ - ٢٦]

وفي ترجمة الإنجيل لصبحي حموي، ويوسف قوشاقجي. ترجما «السجود» بالعبادة هكذا: «قالت المرأة: سيدي أرى أنك نبي. قد تعبد آباؤنا في هذا الجبل. وأنتم تقولون: إن أورشليم هي المكان الذي فيه يجب التعبد. قال لها يسوع: صدقيني أيتها المرأة ستأتي ساعة تعبدون فيها الآب. لا في هذا الجبل، ولا في

---

(١) المراد بالسجود: الحج.

http://www.al-maktabeh.com

أورشليم. . . ستأتي ساعة. بل أتت الآن. يعبد فيها العباد الصادقون الآب بالروح والحق. لأن الآب يريد [١] مثل هؤلاء العباد. . . إن الله روح فيجب على العباد أن يعبدوه بالروح والحق»

وفي ترجمة اليسوعيين ترجموا «مَسِيًّا»: بماشيح هكذا: «ولكن تأتي ساعة، وهي الآن حاضرة إذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين له. لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. قالت له المرأة: قد علمت أن ماشيح الذي هو المسيح آت. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ» أ.هـ

الشرح والبيان:

١ ـ الرب في هذا النص هو عيسى ـ عليه السلام ـ ومعنى الرب في هذا النص. «السيد» كما في قوله «قال الرب لربي: اجلس عن يميني» وفي ترجمة اليسوعيين: «قال الرب لسيدي» والمعنى: يقول يوحنا كاتب الإنجيل: إن عيسى لما سمع أن الفريسيين يضطهدونه، ويريدون قتله، لأنه يصيّر تلاميذ أكثر من التلاميذ الذين ضمهم إليه يوحنا المعمدان وهو (يحيى عليه السلام) لما سمع بذلك ترك بلاد اليهودية ومضى إلى بلاد الجليل. لقد ترك اليهودية لأنه علم أنه معرض للاضطهاد فيها إلى الموت. وهكذا وصلت ثورة الفَرِّيسيين عليه.

٢ ـ ولما اجتاز السامرة أتى إلى مدينة «سوخار» يقول الأنبا أثناسيوس عن هذه المدينة: «واسم المنطقة أصلا شكيم، وفيها بئر شرب منها يعقوب أبو الأسباط هو بنوه في طريق عودتهم من عند (لابان) خاله، وهناك قطعة أرض وهبها يعقوب ليوسف ابنه، وهناك دفن الشعب عظام يوسف التي حملوها معهم من مصر، واسم شكيم الآن (نابلس).

ويحيط بها من الشمال جبل عيبال، ومن الجنوب جبل جرزيم، ويدعى جبل البركة، وكان بئر يعقوب عند سفح هذا الجبل، ويقال: إنه الجبل الذي اختاره الرب لإبراهيم لتقديم ذبيحة إسحق عليه، وفي شكيم أقام يعقوب مذبحا»

---

(١) لاحظ: انه يتكلم عن أمة آتية.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم يقول الأنبا أثناسيوس عن هيكل السامريين: «وفي أيام الاسكندر الأكبر كان لرئيس كهنة اليهود المدعو «يادوا» أخ اسمه «مَنَسَّى» تزوج بابنة سنبلط أحد كبار السامريين، فطرده الكهنة من الكهنوت. فقام سنبلط والسامريون وبنوا له هيكلا على جبل جرزيم، أزاد ارتباط السامريين بأرضهم دون أورشليم، وإلى جبل جرزيم أشارت المرأة السامرية والرب يسوع في حديثهما» [يوحنا٤: ٢٠و٢١] وتقول بعض التقاليد: إن المرأة كان اسمها: فوتينا (١)».

وكلام الأنبا أثناسيوس إن لم يكن عن تجديد هيكل جرزيم بعد الرجوع من بابل لا تأسيسه. فكلامه باطل عند السامريين، لأن السامريين كما قلنا من قبل يقولون بوجود هيكل جرزيم من قبل السبى بكثير. ويشير إلى وجهة نظرهم: أن كاتب سفر الملوك الأول أشار إلى أن «يربعام» لما انفصل بالسامريين عن العبرانيين «عمل عجلي ذهب» ووضع واحدا في «بيت إيل» ووضع الآخر في «دان» لئلا يذهب السامريون «ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم» [١مل ١٢: ٢٧]

٣ ـ ويقول متى هنري في تفسير «لأن اليهود لا يعاملون السامريين»: كان السامريون أعداء اليهود العبرانيين، أعداء يهوذا. وكانوا يؤذونهم في كل المناسبات. واليهود كانوا يحقدون بشدة على السامريين، وكانوا ـ كما يقرر أحد علماء اليهود ـ «ينظرون إليهم كأنهم ليس لهم نصيب في القيامة وكانوا يحرمونهم، وكانوا يلعنونهم باسم الله المقدس. وبالوصايا العشر المقدسة وبلعنة الحياة الحاضرة والعتيدة. وعلى أساس هذه القاعدة: لا يأكل إسرائيلي شيئا من سامري فذلك يعتبر كأنه أكل لحم خنزير»

٤ ـ ويفسر الأنبا أثناسيوس «الماء الحي» تفسيرا مجازيا، أي التعاليم التي ينقيها المسيح على المرأة فتنتفع بها إلى الأبد. كما يقال «شرب العلم» أي سمعه فاستفاد منه. يقول: «قصد السيد بالماء الحي: ماء الحياة أو نعمته التي ينالها المؤمنون. أما المرأة فظنته يقصد ماء جاريا من نبع، أو مجرى. لأن اليهود كانوا يسمون ماء الآبار ماء «ميتا»

---

(١) انظر تفسير متى هنري ج ١ ص ٢٢٢ إلى آخر تفسير الأصحاح الرابع. وانظر تفسير إنجيل يوحنا للأنبا أثناسيوس ص ١٣٦ إلى ص ١٤٠.

http://www.al-maktabeh.com

وأما الماء الجاري فيسموه ماء «حيا» وهذا ما قصدته المرأة: بقولها: من أين لك الماء؟ أما هو فقال لها: إنه يقصد ماء روحيا. من يشرب منه لا يعطش إلى الأبد. وقد قال ذات الكلام للجموع: «اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي. أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ؛ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا» [يوحنا٦:٣٥] و«من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» [يوحنا٧:٣٨]

٥ ـ وأما عن إنباء عيسى بالغيب. فإنه أخبر المرأة بقوله: «قد كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك»

يقول متى هنري في ذلك: «لاشك في أن المسيح لم يقصد أن يوبخها على محنتها، أي على دفن خمسة أزواج، بل على خطيتها. فهي إما أن تكون قد هربت من أزواجها وتزوجت بغيرهم. أو أنها بسيرتها الدنسة وخيانتها اضطرتهم أن يطلقونها، أو أنها طلقتهم بطرق تتنافى مع الناموس»

«والذي لك الآن ليس هو زوجك» إما أنها لم تتزوجه قط. أو أنه كانت له كزوجة أخرى، أو الأرجح أنه زوجها السابق، أو أزواجها السابقون كانوا لا يزالون أحياء(١). وهكذا بالإيجاز كانت تعيش في الزنا» أ.هـ

٦ ـ وقد ردت المرأة عليه على الفور باعترافها بنبوته، لأنه كيف عرف ماضيها وهو من اليهود العبرانيين، الذين قد انقطعت صلتهم بالسامريين. ولا يوجد بينهم وبين السامريين إلا الشر؟ لاشك إذاً في نظرها أنه شخص متصل بالسماء ولم تنكر صدق ما اتهمها به، ولكنها بسكوتها اعترفت بعدالة التوبيخ ولم يحتدم غضبها، كما يفعل الكثيرون عندما يُمسّون في نقطة حساسة. ولم تنسب توبيخه لها للكراهية العامة التي

---

(١) يشير متى هنري في تفسيره إلى هذا النص: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه، لأنه وجد فيها عيب شئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر. فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة. لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست. لأن ذلك رجس لدى الرب» [تثنية ٢٤: ١ ـ ٤]

مكتبة المهتدين الإسلامية

بها يبغض اليهودُ السامريين، لكنها احتملت أن يقال لها: إنها ارتكبت خطأ. وهذا أمر يندر أن يحصل، ولم يقتصر الأمـر عند هذا الحد، لكنها تعدته إلى الحديث عنه بكل احترام. فلقد دعـته سيدا «يا سيد» واعتـرفت بأنه «نبي» ورغبت في المزيد من التعلم منه.

* * *

ولقد عـرضت المرأة على المسيح قـضية تـتعلق بالضمـير بصدد مكـان الحج وقبلة الصلاة. وقد بسطت المرأة قضيتها على النحو الآتي:

أولا: فيـما يختص بالسامـريين: «آباؤنا سجدوا في هذا الجـبل» بالقرب من هذه المدينة وهذه البئر.

ثانيا: فيـما يتعلق بالعبرانيين: «وأنتم تقـولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجـد فيه» يقـول متى هنري: «كـان السامريون يسلكـون بحسب أسفـار موسى الخمسـة. ويظن البعض أنهم كانوا يعتقـدون بأنها هي وحدها الأسفار القـانونية. لقد وجدوا فيهـا مواضع كثيرة عن المكان الذي يختاره الله. لكن لم يحـدد فيها اسم هذا المكان»(١) أ. هـ

* * *

وقد أجاب عيسى ـ عليه السلام ـ عن هذه القضية المتعلقة بالضمير هكذا:

أولا: أنه استخف بالسؤال كما قدمـته المرأة بصدد مكان الحج وقبلة الصلاة. وقال لها: يا امـرأة، آمني بأنني نبي، وانتبهي إلى ما أقـول. أنتم تنظرون الساعة التي فـيها يحسم هذا الأمر بإعلان إلهي؛ فتختار أورشليم أو جبل جرزيم. أما أنا فأقول لك: إن السـاعـة قد اقـتربت، الساعة التي لا يـبقى فيهـا الأمر معلقـا. وذلك الموضوع الذي تعلمتم بأن تضـعوا عليه أهمـية كبرى سـوف ينبذ، ولا تكون له أهميـة مطلقا «تأتي ساعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب»

ثانيا: وشدد على أمور أخـرى في موضوع العبادة الروحيـة. عندما استخف بمكان

(١) انظر كيف يعترف المسيحيون بعدم تحديد موسى للقبلة ومكان الحج.

http://www.al-maktabeh.com

العبادة، لم يقصد أن يقلل من الاهتمام بالموضوع نفسه، الأمر الذي من أجله انتهز الفرصه لبحثه بأكثر توسع.

أ ـ فمن جهة موضوع المناقشة: نجده ـ بحسب الظاهر من النص ـ يهاجم السامريين، ويثني على عبادة اليهود العبرانيين. يهاجم السامريين بقوله: «تسجدون لما لستم تعلمون» أنه حق. أي أنهم اتخذوا قبلة بدون دليل شرعي من كتاب موسى. ويثني على عبادة العبرانيين كما هو الظاهر من قوله: «نحن نسجد لما نعلم» أي نمشي على أساسات سليمة في عبادتنا. وفي اعتقادي: أن ثناءه على عبادة العبرانيين ليس مقصودا بها جمهور الشعب، وإنما هو وحده المقصود؛ لأنه نبي يعرف الحق من الباطل. وتكلم باعتباره نبيا نيابة عن المؤمنين، وتكلم بصيغة المعظم نفسه. والمعنى: نحن نسجد لما نعلم أنه حق بدليل شرعي من كتاب موسى. وفي كتابه أن كل مكان يصح مكانا للصلاة، وأن كل جهة تصلح قبلة. أما تعيين موضع حج غير الكعبة؛ فلا. لأن مناسك الحج موجودة في سفر الزبور من قبل كتابة هذا الزور على داود وسليمان.

وعبارة «لأن الخلاص هو من اليهود» عبارة موضوعة للبس الحق بالباطل؛ ليدلل بها الكاتب على أن المسيح أثنى على عبادة العبرانيين، وأن عيسى نفسه هو النبي الذي وعد به موسى وينتظره اليهود ليخلصهم وينقذهم. من ذل الأجانب الذين يأخذون موضعهم وأمتهم.

ودليلنا على أنه للتحريف:

أولا: أن المسيح نفسه وبخ اليهود العبرانيين بسبب فساد عبادتهم. فكيف يثني عليهم في عبادتهم هنا؟ لقد قال إن إشعياء قال عنهم على لسان الله تعالى: «يقترب إلى هذا الشعب بفمه، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا. وباطلا يعبدونني. وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس» [متى ١٥: ٧-٩] وقال لعامة الشعب عن علماء العبرانيين: «اتركوهم. هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى؛ يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة [متى ١٥: ١٤]

وبهذا أشار المسيح ضمنا إلى أن عبادة العبرانيين كانت عبادة طقسية شكلية، وكان

مكتبة المهتدين الإسلامية

العابدون بعيدين عن عمق العبادة الروحية.

ومعنى الخلاص عند اليهود: هو أن النبي المنتظر إذا أتى فإنه يحارب الملوك الأجانب الذين يحكمون على اليهود، ويخلص اليهود من حكمهم. وذلك واضح من قول زكريا عليه السلام: «خلاص من أعدائنا، ومن أيدي مبغضينا» ثم قال عن ابنه يحيى: «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى؛ لأنك تتقدم أمام وجه الرب؛ لتعد طرقه» [لو ١: ٧١ -] أي يهيئ الطريق أمام وجه نبي الرب. وهو محمد ﷺ والمسيح لم يصرح بأنه سيخلص اليهود من الروم، وصرح بخراب أورشليم من بعده إلى الأبد. ذلك قوله: «يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا» [متى ٢٣: ٣٧-٣٨]

وقد وقع اليهود تحت الجزية لملوك بابل، ثم الفرس، ثم اليونان، ثم الرومان. ومن يدفع الجزية فإنه يطلق عليه «ميت» مجازا؛ لأنه ليس حرا. ولم يحرر اليهود من الرومان إلا محمد ﷺ والحرية «حياة» وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ وقال عن خراب أورشليم على يد نبوخذ نصر: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ثانيا: إن المنقذ المخلص لا يمكن أن يكون من اليهود. سامريين كانوا أو عبرانيين. لأن موسى بين أن لا نبي من بعده مماثلا له، سيظهر من بني إسرائيل. وعيسى نفسه من بني إسرائيل. فكيف يكون هو المنقذ المخلص؟ أو كيف يكون غيره من بني إسرائيل للإنقاذ والخلاص؟

ويقول المسيحيون: إن عيسى خلصنا من خطيئة آدم عليه السلام.

كيف. وقد قال عيسى لبني إسرائيل: «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب

http://www.al-maktabeh.com

ويتكثون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية» [متى٨: ١١ - ١٢] كيف. وفي التوراة أن آدم تاب وتاب الله عليه. ففي سفر الحكمة: «والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول. أب العالم. الذي خلق وحده. لما سقط في الخطيئة؛ رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شئ» [حك١٠: ١ - ٢]

ب - ومن جهة العبادة الجديدة التي يرتضيها وحدها الله ويقبلها ويسر بها «بالروح والحق»

فقد بين أن تغييرا سوف يحدث في العبادة الجديدة في وقت الإصلاح. بين أن العبادة ستحرر من الشكليات والمظاهر التي ابتدعها الربانيون والأحبار إلى فرائض روحية بهيئات إلهية ليس فيها آصار ولا أغلال.

وقد لحظ معنى ذلك «بولس» في الرسالة إلى العبرانيين، حيث يقول:

«ثم العهد الأول كان له فرائض خدمة، والقدس العالمي لأنه نُصب المسكن الأول الذي يقال له القدس. الذي كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة. ووراء الحجاب الثاني؛ المسكن. الذي يقال له: قدس الاقداس. فيه مبخرة من ذهب. وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب. الذي فيه قسط من ذهب. فيه المن، وعصا هرون التي أفرخت، ولوحا العهد، وفوقه كروبا المجد مظللين الغطاء.. إلخ» [عب٩: ١ - ٥]

يعني بولس بذلك: أن عبادة العهد الأول التي كانت مثقلة بالطقوس والشكليات أصبحت منسوخة بمجئ عيسى الذي جعل العبادة روحية قلبية خالية من الطقوس والشكليات. أي أنه يقر بالنسخ ويعترف به. ثم يزعم أن الناسخ للتوراة هو الإنجيل. مع أن الإنجيل يحيل إلى التوراة في التشريعات والعقائد، وليس فيه إضافات على ما تركه موسى عليه السلام.

* * *

وفي تفسير: «حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» يقولون: إن هؤلاء الآتين في المستقبل هم المسيحيون.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ونحن نقول إنهم هم المسلمون. ودليلنا على ذلك:

أولا: إن شريعة موسى وضحت أنه لا نبي من بني إسرائيل كموسى، منه يسمعون وله يطيعون [١] . وعلى ذلك فالمسيح ما كان ينبغي له أن يشرع مكانا أو جهة مخالفا بذلك شريعة موسى. كيف وقد قال هو نفسه لجموع اليهود: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» [متى:٥:١٧]

ثانيا: لو كان الله يريد أحد المكانين مستقبلا لأخبر عيسى بذلك [٢]، وما كان ثمة ما يدعوه إلى أن يتنبأ بخراب أورشليم وهدم هيكل سليمان الذي هو قبلة العبرانيين. فقد قال في آخر حياته على الأرض عن هيكل العبرانيين: «إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض» [متى ٢٤:٢] وكيف يتنبأ بهدمه ويلزم المسيحيين بالتوجه إليه؟

ثالثا: إنه قال للعبرانيين بصراحة: «إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» [متى٢١:٤٣] وعيسى من العبرانيين. هو وأتباعه الأوائل، وملزم هو وإياهم بناموس موسى. إلى أن ينزع منهم الملكوت. فكيف يكون المراد من الآتين مستقبلا أمة المسيحيين وهم طائفة من بني إسرائيل؟

ب ـ ومن جهة الأسباب التي من أجلها يجب أن يعبد الله: فقد بين عيسى عليه السلام: أن هؤلاء الآتين مستقبلا هم الذين يحسبون عابدين حقيقيين. وأن الله عز وجل هو الذي اختارهم «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له»

٧ ـ وكان الموضوع الأخير في الحديث مع هذه المرأة هو عن «المَسيًّا»

لم يكن لديها ما تعترض به على ما قاله المسيح، فلقد تقبلت منه هذا الحديث لكنها في نفس الوقت ظنت أنه من الأفضل أن ترجئ تصديقه إلى أن يأتي المسيا. ليخبر بني إسرائيل بجهة الحج. ولذلك قالت له: «أنا أعلم أن مسيا يأتي فمتى جاء

---

(١) قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل﴾ وفي تفسير القرطبي ما نصه: «قال العلماء وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾ وكل رسول بعد موسى فإنما جاء بإثبات التوراة والأمر بلزومها» (ج٢ ص ٢٣ ـ ٢٤) وفي تفسير الكشاف مثله. يقول ما نصه: «وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾ وهم يوشع وشمونيل وداود وسليمان... إلخ» (ج١ ص ٢٢٥)

(٢) أحد المكانين: أي جرزيم أو صهيون.

http://www.al-maktabeh.com

يخبرنا بكل شئ»

يقول متى هنري: «من هو الذي كانت تنتظره؟ «أنا أعلم أن مسيا يأتي»؟ بالرغم من الاختلافات الكثيرة التي كانت بين اليهود والسامريين، فقد اتفقوا على انتظار المسيا وملكوته. لقد قبل السامريون كتابات موسى، ولم ينكروا الأنبياء، ولا آمال الأمة اليهودية. كان أقلهم علما يعلم أن «مسيا» يأتي. كان انتظاره عاما، ولا يتنازع فيه»

وما الذي كانت تتوقعه منه؟ «يخبرنابكل شئ» يتعلق بعبادة الله، وكل شئ يلزمنا أن نعرفه، يخبرنا بما يكمل نقصنا، ويصحح أخطاءنا، ويضع حدا لكل منازعاتنا. يخبرنا بفكر الله كاملا وواضحا ولا يخفي عنا شيئا. وهذا يتضمن اعترافا بتوقع السامريين لتغيير في شريعة موسى، وبكفاية المسيا لإجراء هذا التغيير. وأن التغيير لن يكون من أحد إلا من المسيا نفسه. فمن هو المسيا؟ «قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو»

ويتمسك المسيحيون بهذا القول على أن عيسى هو «المسيا»

وليس هو المسيا. وهذه العبارة إن لم يكن قالها عيسى عليه السلام من باب النيابة عن الغير، احتراما وتوقيرا كما قال النبي ﷺ لسلمان الفارسي - رضي الله عنه - : «لئن كنت صدقتني يا سلمان. فقد لقيت عيسى بن مريم» (١) إن لم تكن من باب النيابة عن الغير، فإنها تكون موضوعة للبس الحق بالباطل.

* * *

وهذا الحديث الذي أورده يوحنا عن هذه المرأة السامرية يبدو أنه حديث طويل قد أورده يوحنا موجزا كما قال متى هنري في تفسيره. قال: «المرجح أن الحديث تضمن كلاما أكثر جدا. مما هو مدون هنا» أو أورده كاملا ومحرفو الإنجيل قد حذفوا منه ووضعوا فيه للبس الحق بالباطل.

* * *

---

(١) ص ٣٠٤ ج ١ السيرة النبوية لابن كثير طبعة القاهرة ١٩٦٤ م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

رواية برنابا عن المرأة السامرية:

وقد أورده برنابا بتفصيل وإيضاح هكذا:

«وبلغ يسوع باكرا صباح يوم بئرا كان قد صنعها يعقوب ووهبها ليوسف ابنه. ولما أعيا يسوع من السفر أرسل تلاميذه إلى المدينة ليشتروا طعاما. فجلس بجانب البئر على حجر البئر وإذا بامرأة من السامرة قد جاءت إلى البئر لتستقي ماء. فقال يسوع للمرأة: أعطني لأشرب.

فأجابت المرأة: ألا تخجل وأنت عبراني أن تطلب مني شربة ماء. وأنا امرأة سامرية؟ أجاب يسوع: أيتها المرأة لو كنت تعلمين من يطلب منك شربة ماء لطلبت أنت منه شربة. أجابت المرأة: وكيف تعطيني لأشرب ولا إناء ولا حبل معك لتجذب به الماء والبئر عميقة؟ أجاب يسوع: أيتها المرأة من يشرب من ماء هذه البئر يعاوده العطش. أما من يشرب من الماء الذي أعطيه فلا يعطش أبدا بل يعطي العطاش ليشربوا بحيث يصلون إلى الحياة الأبدية. فقالت المرأة: يا سيد أعطني من مائك هذا. أجاب يسوع: اذهبي وادعي زوجك وإياكما أعطي لتشربا. قالت المرأة: ليس لي زوج. أجاب يسوع: حسنا قلت الحق. لأنه كان لك خمسة أزواج. والذي معك الآن ليس هو زوجك

فلما سمعت المرأة هذا اضطربت. وقالت: ياسيد أرى بهذا أنك نبي. لذلك أضرع إليك أن تخبرني عما يأتي: إن العبرانيين يصلّون على جبل صهيون في الهيكل الذي بناه سليمان في أورشليم. ويقولون: إن نعمة الله ورحمته توجد هناك لا في موضع آخر. أما قومنا فإنهم يسجدون على هذه الجبال. ويقولون: إن السجود إنما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط.

فمن هم الساجدون الحقيقيون؟

حينئذ تنهد يسوع وبكى قائلا: ويل لك يا بلاد اليهودية لأنك تفخرين قائلة: هيكل الرب. هيكل الرب. وتعيشين كأنه لا إله، منغمسة في الملذات ومكاسب العالم. فإن هذه المرأة تحكم عليك بالجحيم في يوم الدين. لأن هذه المرأة تطلب أن تعرف كيف تجد نعمة ورحمة عند الله. ثم التفت إلى المرأة وقال: أيتها المرأة إنكم أنتم

http://www.al-maktabeh.com

السامريون تسجدون لما لا تعرفون. أما نحن العبرانيين فنسجد لمن نعرف. الحق أقول لك: إن الله روح وحق. ويجب أن يسجد له بالروح والحق. لأن عهد الله إنما أخذ في أورشليم في هيكل سليمان لا في موضع آخر [١]. ولكن صدقيني إنه يأتي وقت يعطي الله فيه رحمته في مدينة أخرى، ويمكن السجود له في كل مكان بالحق. ويقبل الله الصلاة الحقيقية في كل مكان رحمته.

أجابت المرأة: إننا ننتظر مسيا. فمتى جاء يعلمنا. أجاب يسوع: أتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لابد أن يأتي؟ أجابت: نعم يا سيد. حينئذ تهلل يسوع وقال: يلوح لي أيتها المرأة أنك مؤمنة. فاعلمي إذاً أنه بالإيمان بمسيا سيخلص كل مختاري الله. إذا وجب أن تعرفي مجئ مسيا. قالت المرأة: لعلك أنت مسيا أيها السيد؟ أجاب يسوع: إني حقا أرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص. ولكن سيأتي بعدي مسيا، المرسل من الله لكل العالم. الذي لأجله خلق الله العالم. وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة. حتى أن سنة اليوبيل التي تجئ الآن كل مئة سنة. سيجعلها مسيا كل سنة في كل مكان. حينئذ تركت المرأة جرتها، وأسرعت إلى المدينة لتخبر بكل ما سمعت من يسوع.. إلخ» [برنابا٨١ / ٨٢]

* * *

والفرق بين حديث برنابا ويوحنا بسيط للغاية - كما هو ظاهر - فبرنابا وضح أن المسيا سيأتي بعد عيسى ـ عليه السلام ـ وأن الله سيقبل الأعمال من الناس في كل مكان. غير أن اتجاههم الرئيسي في صلواتهم وحجهم سيكون إلى مكان معين ومحدد «في مدينة أخرى» وقد قال بحسب المكتوب في أسفار الأنبياء باختيار داود ـ عليه السلام ـ أورشليم لبناء بيت للتابوت. وبين أن عهدا تم بين الله وبين سليمان ـ عليه السلام ـ بعد بناء بيت التابوت في أورشليم ـ كما هو مكتوب ـ إن لم يكن النص مقحما من قبل المحرفين.

* * *

---

(١) يشير إلى عهد الله لسليمان ـ بحسب المكتوب ـ وقد سبق ذكره في هذا الفصل.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم قال المسيح: «ولكن صدقيني أنه يأتي وقت يعطي الله فيه رحمته في مدينة أخرى» فما هي هذه المدينة الأخرى؟

نقول: إنها مكة المكرمة. لأن النبي الآتي سيكون من بني إسماعيل - الذي له بركة - وسكنى إسماعيل كانت في «مكة» وقد رفع قواعد الكعبة مع أبيه إبراهيم - عليهما السلام - وهي أول بيت وضع للناس، ولأن إشعياء تحدث عن مكة تلميحا لا تصريحا في قوله: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد... إلخ» كما سبق بيانه. ولأن الله لو كان يريد جرزيم أو أورشليم. لما قال عيسى عليه السلام: «لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب»

* * *

اختلاف المسيحيين في القبلة ومكان الحج:

والمسيحيون اليوم ثلاث فرق. الأرثوذكس نصارى الشرق الذين كانوا يسمون قديما باليعاقبة والكاثوليك نصارى الغرب الذي كانوا يسمون قديما بالملكانية، والبروتستنات وهم طائفة من نصارى الغرب، انشقوا عن الكاثوليك في كل شئ ما عدا اعتقادهم في ذات الله تعالى [١]. وقد رجع البروتستانت إلى القبلة الحقيقية التي نصت عليها التوراة، وهي: كل مكان يصلح للعبادة، وكل جهة تصلح لمخاطبة الله. يقول متى هنري: «يعلمنا عقلنا أن تكون أمكنة العبادة أنيقة ومريحة. أما ديانتنا فإنها لا تفضل مكانا عن آخر من ناحية قداسته، أو رضا الله عنه. والذين يفضلون أية عبادة من أجل المكان الذي تؤدى فيه فقط، حتى وإن كان في غاية الفخامة، ومكرسا تكريسا حارا. كما كان الحال مع هيكل سليمان. فإنهم ينسون أنه قد أتت الساعة التي فيها لا يميز الله هذا المكان عن ذاك، ولا يفرق حتى بين أورشليم التي اشتهرت جدا بقداستها. وبين جبل السامرة الذي عرف بنجاسته» [٢].

أما الأرثوذكس والكاثوليك فيقولون بتحديد الجهة نحو هيكل سليمان بأورشليم

---

(١) راجع الشهرستاني في حديثه عن النصارى، وسنقارن عقائد الفرق القديمة بعقائد هذه الأيام في كتابنا «أقانيم النصارى».

(٢) ص ٢٥٣ تفسير يوحنا لمتى هنري ج ١.

http://www.al-maktabeh.com

لأنهم يقدسون التوراة التي تسلموها من العبرانيين لا من السامريين. وفيها. في سفر الملوك الأول: أن سليمان قال لله عز وجل: «فكل صلاة، وكل تضرع تكون من أي إنسان كان، من كل شعبك إسرائيل، الذين يعرفون كل واحد. ضربة قلبه. فيبسط يديه نحو هذا البيت، فاسمع أنت من السماء مكان سكناك، واغفر» [الملوك الاول ٨: ٣٩]

وفي سفر دانيال: «فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته. وكواه مفتوحة في علّيته نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم، وصلى وحمد قدام إلهه، كما كان يفعل قبل ذلك» [دانيال ٦١: ١٠]

* * *

سبب اختلاف اليهود في مكان الحج والقبلة:

ولقد وضح مما تقدم أن موسى ـ عليه السلام ـ قال: لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله. وأن بني إسرائيل أرادوا جعل الحج والقبلة في أرض ملكهم، في أرض سبط من الأسباط. ثم اختلفوا. وجاء من بعدهم المسيحيون فاختلفوا أيضا ﴿وما بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾

وبعد هذا الإيضاح نسأل أنفسنا عن السبب الذي حدا بهم إلى أن يختلفوا هذا الاختلاف الكبير؟

إنه حسبما ورد في التوراة يمكن أن يؤدي الكلام الآتي إلى النتيجة التالية:

أولا: أول بيت وضع للناس ـ وهو الكعبة ـ كان في أرض العرب. وقد بناه نوح عليه السلام بعد الطوفان [تكوين ٨: ٢٠]

ثانيا: جدد إبراهيم عليه السلام هذا البيت.

ثالثا: أخذ إبراهيم ابنه البكر الوحيد وانطلق ليسجد معه في هذا البيت العتيق وأن يذبحه قربانا لله [١].

---

(١) في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين: وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له: يا إبراهيم. فقال. هأنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكر إبراهيم صباحا، وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه، وإسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له=

مكتبة المهتدين الإسلامية

رابعا: قال الله لإبراهيم إن الأمم ستتبارك في نسلك. بعد افتداء الذبيح، ولم يكن غير إسماعيل. فإذاً هو الذي تتم فيه مواعيد البركة. ويكون إسحق الآتي بعده ممهدا له. والبركة حاصلة بالتساوي بين إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ وقد أسكن إبراهيم إسماعيل ولده في أرض العرب. فليس ببعيد عقلا، ولا شرعا ـ وهذه هي النتيجة ـ أن ينطق النبي الآتي من بني إسماعيل ـ عن أمر الله تعالى ـ بأن القبلة في أرضه. ولا يعترض أهل الكتاب على نطقه لأنها مقدسة من زمن الآباء. بل هي مقدسة من الأزمان القديمة الأولى.

* * *

استقرار السفينة في مكة:

والسفينة التي نجا بها نوح ومن آمن معه، قد استقرت بعد غرق الكافرين على جبل الجودي في مكة المكرمة. وبعد استقرارها بنى نوح عليه السلام الكعبة المعظمة. وعبرت عنها التوراة بمذبح الرب. وبيان ذلك:

١ ـ تقول التوراة العبرانية إن سفينة نوح عليه السلام استوت على جبل أراراط. وتقول التوراة السامرية: إنها استوت على جبل سرنديب. وسرنديب جبل في «سيلان» ففي التوراة العبرانية (٤): «واستقر الفلك في الشهر السابع عشر من الشهر. على

=الله. وفي اليوم الثالث رفع عينيه وأبصر الموضع من بعيد. فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكما». وفي أي مكان سيذهب إبراهيم ليسجد؟ إن معنى السجود هو التوجه إلى الله للحج، في مكان معين ومعروف. فما هو هذا المكان؟ هل هو جبل جرزيم في نابلس كما يزعم اليهود السامريون. أم هو جبل صهيون في أورشليم كما يزعم اليهود العبرانيون؟ أين ذهب إبراهيم ليسجد؟ إن ذهاب إبراهيم إلى مكان معد للسجود، يدل على أنه معروف للغلامين من قبل، ومعروف للناس أيضا. ولا يمكن أن يكون هذا المكان غير «مكة المكرمة» لأن إبراهيم لم يضع مكانا للسجود في نابلس أو أورشليم. وإنما صار مكان في نابلس وصار مكان في أورشليم من بعد داود عليه السلام، أي بعد ألف سنة تقريبا من ولادة إبراهيم عليه السلام. ولأن المكان معروف من قبل ذهاب إبراهيم إليه، ولأن في النص تحريفاً في وضع إسحق بجانب الابن الوحيد وفي وضع «مريا» بدل «المروة» في مكة المكرمة، ومريا ـ بحسب زعمهم ـ لم تكن قبلة في ذاك الزمان. فإن المكان المعد للسجود هو في مكة المكرمة.

http://www.al-maktabeh.com

جبل أراراط (٥) وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر. وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال» [تكوين ٨: ٤ ـ ٥] فالآية الرابعة: تثبت أن سفينة نوح ـ عليه السلام ـ استقرت في الشهر السابع على جبل أراراط. والآية الخامسة: تثبت أن ظهور الجبال كان في الشهر العاشر. فإذا كان ظهور رؤوس الجبال في العاشر، فكيف استقرت في الشهر السابع والرؤوس لم تظهر بعد؟

والقرآن ينص على أن السفينة استوت على الجودي في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ وليس على جبال أراراط. أو سرنديب. وهذا هو الحق. ويدل عليه ثلاثة أمور:

الأمر الأول: شك المفسرين من أهل الكتاب في أنه أراراط. أو سرنديب.

والأمر الثاني: أن الناس بعد نوح ارتحلوا شرقا «وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك» [تكوين ١١: ٢] وأرض شنعار هي كل أرض بلاد فارس ما بين دجلة والفرات [١] فلو كانت السفينة في أراراط، لكانت شنعار في الغرب. لأن أراراط في بلاد أرمينية.

والأمر الثالث: اختلاف التوراة العبرانية والسامرية في اسم الجبل الذي رست عليه السفينة.

يقول المفسرون في [التكوين ٨: ٤] ما نصه: «أراراط: قال بعضهم في الآية الثانية من الأصحاح الحادي عشر: إن أولاد نوح سافروا شرقا إلى شنعار. وترجمه بعضهم: «من الشرق» وعلى هذا لا يكون «أراراط» هو جبل أراراط المعروف في أرمينية. والكلمة الأشورية تعني أرضا ذات تلال أو نجدا. فيصح أن يكون أراراط نجدا من الأنجاد»

ويقول المفسرون في [التكوين ١١: ٢] ما نصه: «وجاء في النبأ الكلداني: أن السفينة استقرت على جبل (نيزيز) أو (نزير) أو (الوند) شرقي أشور. ومع أن أراراط يمكن أن يكون أريو يرات. أي أرض مقدسة. يصعب بيان نقل اسم الوند إلى أرمينية بل

---

(١) ص ٣ ١ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يتعذر»(١).

وقولهم «يمكن أن يكون أريويرات. أي أرض مقدسة» يدل على أن السفينة استوت على مكان مقدس، وليس من مكان مقدس إلا في أرض العرب بني إسماعيل. فإن فيها المكان المقدس. وهو «الكعبة المكرمة» ولو كانت الأرض المقدسة بلاد الشام لهلل أهل الكتاب وكبروا. وهم لم يقولوا بذلك لأن أرض شنعار ليست إلى الشرق من بلادهم.

٢ - وقد ذكر القرآن: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ وذكرت التوراة: أن نوحا بعد استقرار السفينة على الأرض: «بنى نوح مذبحا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة. ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح» [تكوين٨: ٢] فلماذا لا يكون بناء نوح هو أول بيت وضع للناس ويكون استقرار السفينة في أرض العرب؟ ويكون نوح مؤسسا، وإبراهيم مجددا؟ خاصة وأن الطوفان قد محا كل ما كان قائما على وجه الأرض.

وبناء المذبح في لغة التوراة يعني بناء مكان لعبادة الله. وعلى سبيل المثال: فإن إبراهيم - عليه السلام - وهو في أرض فلسطين - كما يزعمون - «بنى هناك مذبحا للرب» [تك١٢: ٧] ولم يقتصر على البناء فقط، بل دعا الناس إلى عبادة الله تعالى «فبنى هناك مذبحا للرب. ودعا باسم الرب» [تكوين ١٢: ٨] وتعيد التوراة هذا القول مرة ثالثة بعد رجوع إبراهيم من مصر إلى أرض فلسطين - كما يزعمون - «إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولا. ودعا هناك أبرام باسم الرب» [التكوين١٣: ٤] والمتأمل في نصوص التوراة يجد أن إبراهيم لم تطأ قدماه أرض فلسطين. لأنها مدن محصنة بأسوار، ويعبد أهلها الأوثان. فكيف يدخل ويبني؟ والقول بهجرته إلى مكة وبنائه مساجد وهو في الطريق إليها هو قول معقول؛ لأن الناس يمشون إليها من أجل الحج، ولا أحد يعترض سبيلهم. لأنه ليس لهم هدف عدائي ضد أحد. وما في التوراة من أنه ذهب إلى مصر، وقدم امرأته لمن اشتهاها؛ هو من تحريف علماء التوراة

---

(١) ص ٨٢، ١٠٣ السنن القويم.

http://www.al-maktabeh.com

للنصوص؛ ليقولوا: إن إبراهيم لم يكن داعيا إلى الله حتى تلزمنا الدعوة إليه. ومثله قولهم بأنه لم يهاجر إلى مكة؛ لأن هجرته إليها معناها: أنه فيها دعا الناس جميعا إلى الله. وهم يقولون - زورا - بالخصوص في دعوة موسى.

٣ ـ وقد اعترف عيسى ـ عليه السلام ـ بنزع الحج والقبلة من جرزيم وأورشليم إلى مدينة أخرى. ولكنه لم يحدد اسم تلك المدينة.

فإنه لما سألته المرأة السامرية ذلك السؤال وهو: «إن العبرانيين يصلون على جبل صهيون في الهيكل الذي بناه سليمان في أورشليم. ويقولون: إن نعمة الله ورحمته توجد هناك لا في موضع آخر. أما قومنا فإنهم يسجدون على هذه الجبال. ويقولون: إن السجود إنما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط. فمن هم الساجدون الحقيقيون؟» [برنابا ٨١: ١٩ ـ ٢٠] أجاب بقوله: «صدقيني إنه يأتي وقت يعطي الله فيه رحمته في مدينة أخرى [١] . ويمكن السجود له في كل مكان بالحق. ويقبل الله الصلاة الحقيقية في كل مكان رحمته» [برنابا ٨٢: ٨]

وقد فسر نبي الإسلام ﷺ هذه المدينة الأخرى بمكة المكرمة ـ عن أمر الله تعالى ـ وأمر أتباعه أن يتجهوا إليها في صلواتهم في أي مكان كانوا. وأن يتموا الحج والعمرة إليها مرة في العمر إن استطاعوا إلى العمرة والحج سبيلا.

* * *

وإن اختيار مكة المكرمة للقبلة لهو اختيار مناسب تماما. والحكمة الإلهية فيه واضحة للناس. وهذا الاختيار في نظرنا مناسب للأسباب الآتية:

أولا: إن الناس من سلالة المؤمنين الذين آمنوا برسالة نوح ـ عليه السلام ـ وكان موضع استقرار آبائهم الأوائل هو مكة. فهم بذلك يتذكرون آباءهم الذين آمنوا فيشكرون الله على أنه هداهم للإيمان.

---

(١) اعترف عيسى عليه سلام بتحديد القبلة في مدينة أخرى في المستقبل. وكان النبي ﷺ يتجه جهة الشام؛ اجتهادا منه ـ كما في الأحاديث ـ ولا ندري أكان يتجه إلى قبلة السامريين أم إلى قبلة العبرانيين قبل أن يأمره الله بالتوجه إلى الكعبة. واتجاهه إلى أحد قبلتيهما ليس عليه نص في القرآن.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثانيا: إن الله اصطفى من ذرية نوح: آل إبراهيم. وكان إبراهيم صاحب فضل على الناس بنبذه عبادة الأصنام، ودعائه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وسماعه لكلام الله. فقد رضي بذبح ابنه البكر قربانا لله. في أرض مكة. وجدد مع ابنه الذي كان سيذبح، بناء نوح ـ عليه السلام ـ ولإيمانه وعمله أراد الله أن يجعل في ذريته النبوة والكتاب، وأن يكون من نسله هداة للأمم. فالناس باتجاههم إلى مكة يتذكرون الإخلاص الحقيقي من إبراهيم لله، فيقتدون به.

ثالثا: لا يحق لأهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كافة أن يتذمروا على قبلة مكة. فإنها قبلة أبيهم إبراهيم من قبل أن تكون قبلة نبي الإسلام ﷺ وكانت قبلة نوح ـ عليه السلام ـ من قبل أن تكون قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

وعلى ما قدمنا تكون قبلتهم التي ابتدعوها من بعد الرجوع من بابل ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ قال الله عنه في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وهم قد اتخذوه من بعد الرجوع من سبي بابل سنة ٥٣٨ ق.م بدون دليل من كتاب موسى عليه السلام من أجل الضرر بالمؤمنين بالله، والكفر بمحمد ﷺ من قبل ظهوره، والتفريق بين السامريين والعبرانيين، ومكان تجسس على المؤمنين لصالح أهل فارس. وعبر الله بقوله ﴿لا يزال﴾ إلى أنهم مقيمون على هذه الشعيرة مع ارتيابهم في صحتها. وما يزال اليهود والمسيحيون يقدسونه إلى هذا اليوم ويحجون إليه. والبروتستانت إذا ذهبوا إليه للحج يكونون كسائحين وزائرين. لا معظمين ولا مقدسين.

* * *

http://www.al-maktabeh.com

نبوءة حجاي عن مجد البيت الأخير:

في سِفر النبي حجـاى: يقول كاتبه: إنه لما عاد اليهود العبرانيون من سبي بابل، حثهم حجـاى على إعادة بناء هيكل سليمان، وقال لهم: إن الهيكل الجـديد سيفوق بالمجد الهيكل الذي بناه سليمان، ودمره البابليون.

أي أنه يقرّ بـأنه من قبل السـبي كان هيكل، ومن بعـد السبي كان هـيكل. ومدة الهيكل الأخير ستكون أحسن من مدة الهيكل الأول.

وفي هذا السفـر: أن «زَرُبّابل» كان هو الوالى على أورشليم من قـبل كورش ملك فارس، وأن «يَهُوشَع» كان رئيس الكهنة.

وفي هذا السفـر: أن «زربابل» سيكون الرئيس المختار من الله لإفناء الممـالك بعد بناء الهيكل الأخير.

وفي هذا السـفر: أن حربا سـتحـدث في يوم الرب، بين النبي الأمي الآتي، وبين اليهود والأمم، وعبر عن شدتها بزلزلة السـموات والأرض والبحر واليابسة. وستكون الهزيمة لكل الأمم «ويأتي مشتهى كل الأمم»

ووجه الخطأ في هذا السفر:

١ ـ أنه اعترف بهيكل من قبـل السبى. والحق: أنه لم يكن من قبل السبي هيكل، وإنما مساجد من طين وتراب وجذوع النخل. وغـرضه من هذا اللغو: إبعاد مكة عن النبوة والملك. بقوله: إن المرتين لهيكل واحد لا أن لشريعة موسى مدة، ولشريعة النبي الآتي على مـثاله مدة. ويرد لغـوه: أن التـوراة تُلزم ببناء مـساجد مـتواضعـة من تراب. وأنهم اعتـرفوا بأن الراجـعين بأمر كورش أسـسوا الهـيكل ـ لا أنهم جددوه ـ واتخذوه مسجـدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصـادا لمن حارب الله ورسوله من قبل.

وكاتـب السـفـر نفسه يـقول: «من اليـوم الذي فيـه تأسس هيكل الرب» ولـم يقل تجدد. وفي ترجمة: «في الأيام الآتية بعد أن تأسس هيكل الرب»

٢ ـ وقوله بأن زربابل سيكون هو «المختار من الله» ليـقلب كرسي الممالك. وليبيد قوة ممالك الأمم، هو قول باطل. الغرض منه: إبعـاد يوم الرب عن محمد ﷺ المعبر

مكتبة المهتدين الإسلامية

عنه بمشتهى كل الأمم. والدليل على بطلانه: أن اليهود لما رجعوا من بابل، رجعوا تحت ملوك الفرس وأدوا لهم الجزية، ثم ملك عليهم اليونان، ثم ملك عليهم الرومان. وهذا يدل على أن اليهود لم يملك عليهم «زربابل» ليحارب الأمم ويسود عليها. والذي حارب اليهود والأمم وأزال مملكة الرومان هو محمد ﷺ وهو الذي انطبق عليه «وأقلب كرسيّ الممالك، وأبيد قوة ممالك الأمم، وأقلب المركبات والراكبين فيها، وينحط الخيل وراكبوها. كل منها بسيف أخيه»

وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يخبر أن اليهود خرجوا من فلسطين إلى بابل سبايا في حرب نبوخذ ناصر ملك بابل خائفين من الموت الحقيقي. فساعدهم الله على الخروج لتضرب عليهم الجزية. ودفع الجزية يدل على الذل. والذل بعد العزّ؛ هو موت ـ على سبيل المجاز ـ وظلوا يدفعون الجزية للفرس واليونان والرومان إلى أن أحياهم الله من موت الذل بظهور محمد ﷺ فإنه لما ظهر حارب الرومان وانتصر عليهم. وجعل اليهود الذين آمنوا به أحرارا، وقد كانوا عبيدا تحت الجزية

وعبر الكاتب عن محمد ﷺ بلقب «مشتهى كل الأمم» وهو ـ بحسب لسانهم ـ «حِمده» وتعبير «مشتهى كل الأمم» عندهم يدل على «المسيح» الذي هو «المَسِيًّا» وقد فسره المسيح عيسى عليه السلام بمحمد وقال: إنه هو الذي تتطلع إليه جميع الأمم.

وهذا هو نص الأصحاح الثاني من سفر حجاى:

«في الشهر السابع في الحادي والعشرين من الشهر كانت كلمة الرّب عن يد حجى النبي قائلا. كلم زربابل بن شألتيل والى يهوذا، ويهوشع بن يهوصاداق الكاهن العظيم وبقية الشعب قائلا: من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول؟ وكيف تنظرونه الآن؟ أما هو في أعينكم كلا شيء. فالآن تشدد يا زربابل. يقول الرب. وتشدد يا يهوشع بن يهوصاداق الكاهن العظيم وتشددوا يا جميع شعب الأرض. يقول الرب. واعملوا فإني معكم. يقول رب الجنود. حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحى قائم في وسطكم. لا تخافوا. فإنه هكذا

http://www.al-maktabeh.com

قال رب الجنود. هي مرة بعد قليل. فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة. وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم؛ فأملا هذا البيت مجدا. قال رب الجنود. لي الفضة ولي الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفي هذا المكان أعطي السلام. يقول رب الجنود.

في الرابع والعشرين من الشهر التاسع في السنة الثانية لداريّوس كانت كلمة الرب عن يد حجى النبي قائلا: هكذا قال رب الجنود. اسأل الكهنة عن الشريعة قائلا: إن حمل إنسان لحما مقدسا في طرف ثوبه ومس بطرفه خبزا أو طبيخا أو خمرا أو زيتا أو طعاما ما؛ فهل يتقدس؟ فأجاب الكهنة وقالوا: لا. فقال حجى: إن كان المنجس بميت يمس شيئا من هذه. فهل يتنجس؟ فأجاب الكهنة وقالوا: يتنجس. فأجاب حجى وقال: هكذا هذا الشعب، وهكذا هذه الأمة قدامي. يقول الرب. وهكذا كل عمل أيديهم وما يقربونه هناك: هو نجس.

والآن فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فراجعا قبل وضع حجر على حجر في هيكل الرب. مذ تلك الأيام كان أحدكم يأتي إلى عَرَمَة عشرين فكانت عشرة. أتى إلى حوض المعصرة ليغرف خمسين فُورة فكانت عشرين. قد ضربتم باللفح وباليرقان وبالبرد في كل عمل أيديكم وما رجعتم إليّ. يقول الرب. فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فصاعدا من اليوم الرابع والعشرين من الشهر التاسع من اليوم الذي فيه تأسس هيكل الرب؛ اجعلوا قلبكم. هل البذر في الأهراء بعد. والكرم والتين والرمان والزيتون لم يحمل بعد؟ فمن هذا اليوم أبارك.

وصارت كلمة الرب ثانية إلى حجى في الرابع والعشرين من الشهر قائلا: كلم زربابل والي يهوذا قائلا: إني أزلزل السموات والأرض. وأقلب كرسيّ الممالك، وأبيد قوة ممالك الأمم وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحط الخيل وراكبوها كل منها بسيف أخيه. في ذلك اليوم يقول رب الجنود: آخذك يا زربابل عبدي ابن شألتئيل. يقول الرب. وأجعلك كخاتم؛ لأني قد اخترتك. يقول رب الجنود» [حجى ٢٠]

* * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

مشتهى الأمم هو محمد رسول الله ﷺ:

وفي الفصل الثالث والستين من إنجيل برنابا ما نصه:

«وذهب يسوع مع تلاميذه إلى البرية وراء الأردن. فلما انقضت صلاة الظهيرة جلس بجانب نخلة وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة. حينئذ قال يسوع: أيها الإخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أني أقول لكم الحق: إنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط. وهو الذي تتطلع إليه الأمم [1] الذي تتجلى له أسرار الله تجليا. فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم. لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة. بلى إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان. أجاب التلاميذ: يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه، الذي سيأتي إلى العالم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله.

ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها. كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمرا بعد انقطاع المطر زمنا طويلا. فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهي رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث»

[برنابا ١٦٣]

---

(١) حج ٢: ٧.

http://www.al-maktabeh.com

الفصل السادس
الحج إلى الكعبَة
في
سِفر الزبور

زبور داود عليه السلام كـان منتشرا في بني إسرائيل من قبل موته. وفـيه قطع كان الحجاج يتلونها، وهم صاعدون إلى الكعبة. ويسمونها بمزامير المصاعد. وفيه قطع تذكر مناسك الحج. وكيفيته، وطريقة ذبح الذبائح لشكر الله. وفيه قطع تُفصح عن أوصاف النبي الأمي الآتي إلى العـالم على مثال موسى، المكتـوب عنه في التوراة في سـفر التثنيـة وغيره. وقد مات داود عليـه السلام والزبور متداول بين علمـاء بني إسرائيل، وبين المرنّمين والمغنيين الذين كانوا ينشدون على الآلات الموسيـقية هذه القطع «بصوت ترنمّ وحمـد» ومات من قـبل أن يحج الحجـاج إلى هيكل سليـمان عليه الـسلام في «أورشليم»

وفي كتب تواريـخ بني إسرائيل: أن ابتداء حـج بني إسرائيل إلى الهـيكل كان في عـصر سليـمان. ويتـرتب على مـا في هذه الكتب: ١ - أن المكتـوب في الزبور عن مناسك الحج إلى بيت الله ٢ ـ وجبله المقدس. يكون عن الكعبة البيت الحرام.

وهذا هو بيان بالتواريخ:

إبراهيم ٢٠٠٠ قبل الميلاد تقريبا

موسى ١٢٥٠ قبل الميلاد تقريبا

داود ١٠١٠ ـ ٩٧٠ قبل الميلاد تقريبا

مُلك سليمان ٩٧٠ ـ ٩٣١

سبي اليهود إلى بابل ٥٥٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

بداية الحكم الفارسي ٥٣٩

تأسيس هيكل سليمان من بعد الرجوع من السبي ٥٢٠

الإسكندر الأكبر ٣٣٣

الرومانيون يحتلون فلسطين ٦٣ ق.م

وهذه التواريخ تقريبية وقد نقلناها من الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بلبنان. وهي تدل على أن ملك سليمان كان ما بين ٩٧٠ ـ ٩٣١ ق.م وفي ملكه بحسب زعمهم تم بناء الهيكل، وقال سليمان لله وهو يفتتحه ليكون كعبة بدل كعبة مكة: «وإذا جاء الغريب الذي لا ينتمي إلى بني إسرائيل شعبك[1] إذا جاء من أرض بعيدة

(١) فسر بولس لفظ «العالمين» بالكون كله. إنسه وجنّه. وذلك في قوله في أول الرسالة إلى العبرانيين: «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة؛ كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء ، الذي به أيضا عمل العالمين» وقال المفسرون: إنه يقصد بالعالمين: الآية الثانية من المزمور الثاني وهي «اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصي الأرض ملكا لك»

ولفظ «العالمين» في القرآن من المشترك اللفظي فإنه يأتي بمعنى ١ - العالم أجمع إنسه وجنه وأرضه وسمائه ٢ - وبمعنى طوائف اليهود الثلاثة.

وجميع المسلمين يفسرون العالمين بالعالم أجمع وما خطر في بال واحد منهم أن يفسر العالمين باليهود والمسيحيين والصابئين. مع أنهم مُنذرون في بدء سورة الفرقان والإنذار في القرآن لا يأتي إلا للكافرين بمحمد رسول الله من اليهود والطوائف المنشقة عنهم؛ لأن الإنذار يعقبه هلاك ولا هلاك لبني إسماعيل الذين هم العرب ـ وهم من العالم ـ وإذا قال إنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو يعني رب الناس الذين كانوا يهدون إلى الله قبل القرآن، وإذ هو ربهم الذي كانوا يهدون إليه فإنه يكون رب العالم أجمع أي أنه يخاطب العالم عن طريق اليهود. وإذا كان هو رب اليهود والطوائف المنشقة عنهم وهم إخوة للكافرين، والذين يسلمون منهم يكونون إخوة للمسلمين؛ فإن الله تعالى يكون هو الخالق للعالم أجمع. وفي كتب الشعر ما يدل على أن اعتقاد المسلمين في لفظ العالمين هو للعالم أجمع ومن ذلك:

أنشد الأخفش للأبيرد بن المعذر:

حلفتُ برب الرافعينَ أكفهم ... ورب الهدايا، حيث حلّ بها النّحر

ومجتمع الحجاج حيث توافقت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جأر

إلى أن قال عن أخيه الذي يرثيه:

سلكتَ سبيلَ العالمين. فمالهمْ ... وراء الذي لاقيتَ مَعدًى، ولا قَصر

وأبليت خيرا في الحياة، وإنما ... ثوابكُ عندي اليوم؛ أن ينطق الشعر

http://www.al-maktabeh.com

من أجل اسمك. فالناس يسمعون باسمك العظيم ويدك القديرة وذراعك الممدودة، وصلى في هذا الهيكل؛ فاسمع أنت من السماء من مكان سكناك، واستجب ما يرجوه منك هذا الغريب؛ ليعرف جميع أمم الأرض اسمك، ويخافوك مثل بني إسرائيل شعبك، ويعلموا أن اسمك في هذا الهيكل الذي بنيتهُ لك» [٢أخ٦:٣٢:٣٣]

فالناس على هذا الذي هو مكتوب من قبل سليمان ومن بعد داود؛ كانوا يحجون إلى الكعبة في مكة المكرمة؛ لأن مناسك حج مذكورة في كتاب داود، والناس كانوا يؤدونها إلى أن مات، وهي مدونة في كتابه ومشهورة. وسوف أذكر قطعا من الزبور تدل على ما قلنا، وتدل على أنه محمدا ﷺ مكتوب عنه في سفر الزبور:

مكتبة المهتدين الإسلامية

الجبل المقدس

مزمور ٦٨

«يقوم الله. يتبدد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه كما يذري الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله. والصديقون يفرحون يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحا.

غنوا لله. رنموا لاسمه. أعدوا طريقا للراكب في القفار باسمه ياه، واهتفوا أمامه. أبو اليتامى وقاضي الأرامل، الله في مسكن قدسه. الله مسكن المتوحدين في بيت. مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء.

اللهم، عند خروجك أمام شعبك، عند صعودك في القفر. سلاه. الأرض ارتعدت. السماوات أيضا قطرت أمام وجه الله. سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل. مطرا غزيرا نضحت يا ألله. ميراثك وهو معي أنت أصلحته. قطيعك سكن فيه. هيأت بجودك للمساكين يا ألله. الرب يعطي كلمة. المبشرات بها جند كثير. «ملوك جيوش يهربون يهربون، الملازمة البيت تقسم الغنائم. إذا اضطجعتم بين الحظائر فأجنحة حمامة مغشاة بفضة، وريشها بصفرة الذهب». عندما شتت القدير ملوكا فيها، أثلجت في صلمون.

جبل الله، جبل باشان. جبل أسنمة، جبل باشان. لماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه؟ بل الرب يسكن فيه إلى الأبد. مركبات الله ربوات، ألوف مكررة. الرب فيها. سينا في القدس. صعدتَ إلى العلاء. سبيت سبيا. قبلت عطايا بين الناس، وأيضا المتمردين للسكن أيها الرب الإله.

مبارك الرب، يوما فيوما يحمّلنا إله خلاصنا. سلاه. الله لنا إله خلاص، وعند الرب السيد للموت مخارج ولكن الله يسحق رؤوس أعدائه، الهامةَ الشعراءَ؛ للسالك في ذنوبه. قال الرب: من باشان أرجع. أرجع من أعماق البحر، لكي تصبغ رجلك بالدم. ألسن كلابك من الأعداء نصيبهم. رأوا طرقك يا ألله، طرق إلهي ملكي في القدس. من قدام المغنون. من وراء ضاربو الأوتار. في الوسط فتيات ضاربات الدفوف

http://www.al-maktabeh.com

في الجماعات باركوا الله الرب، أيها الخارجون من عين إسرائيل. هناك بَنيامين الصغير متسلطهم، رؤساء يهوذا جلهم، رؤساء زبولون، رؤساء نفتالي. قد أمر إلهك بعزّك. أيّد يا ألله هذا الذي فعلته لنا. من هيكلك فوق أورشليم، لك تقدم ملوك هدايا. انتهر وحش القصب، صُوار الثيران مع عجول الشعوب المترامين بقطع فضة. شتت الشعوب الذين يسرون بالقتال. يأتي شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله.

يا ممالك الأرض غنّوا لله. رنّموا للسيد. سلاه. للراكب على سماء السماوات القديمة. هوذا يعطي صوته صوت قوة. أعطوا عزا لله. على إسرائيل جلاله وقوته في الغمام. مخوف أنت يا ألله من مقاديسك. إله إسرائيل هو المعطي قوة وشدة للشعب. مبارك الله» [مزمور:٦٨]

البيان:

هل الجبل المقدس هو جبل الكعبة في مكة أم هو جبل صهيون في فلسطين الذي عليه هيكل سليمان، أم هو جبل جرزّيم؟ إن هجرة إبراهيم عليه السلام كانت إلى مكة؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ والأرض المباركة هي أرض مكة؛ لأنها في زمن إبراهيم كانت شريعة نوح عليه السلام نازلة عندها. وما كانت قد نسخت بعد. ولأن القرآن نزل فيها. وفيه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ معناه: مباركا بشريعة قديمة هي شريعة نوح، وبشريعة محدثة هي شريعة محمد عليه السلام وقوله ﴿وُضِعَ﴾ يدل على فرضية الحج. وقوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعني بهم: اليهود فقط. يريد أن يقول لليهود: إن أول بيت لكم للحج هو الكعبة لا هيكل سليمان ولا هيكل جرزيم. وقوله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يحتمل معنيين: إما عالم اليهود والمسيحيين والصابئين، وإما ممالك العالم أجمع. وفي القرآن ما يدل على المعنى الأول. ومنه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ والإنذار خاص باليهود.

أيا ما كان التفسير. فإن إبراهيم لما أراد أن يذبح ابنه وحيده؛ أخذه إلى «جبل

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرب» فأين مكان جبل الرب؟ هل هو في مكة؟ هل هو في فلسطين؟ في التوراة ما يدل على أن جبل الرب هو جبل الكعبة في مكة. ذلك قوله: «فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يراه. حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يُرى» [تك ٢٢: ١٤] وفي التفسير: «يَهوِه يَرْأَه. أي الرب يرى»

وإن «يَهْوَه» وهو اسم الله عندهم «يرأه» أي يرى. وهذا التعبير خاص بمكان حج. وذلك لأن الله في كل مكان يسمع ويرى. وقد عبر بمكان الحج في قوله: «وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد» [تك ٢٢: ٥] والسجود يدل على مكان حج

وهاجر رضي الله عنها وأرضاها دعت بئر زمزم ببئر لَحَيْ رُئي [تك ١٦: ١٤] وهذا يدل على أن مكان الذبح كان عند بئر زمزم. وقوله إن جبل الرب كان عليه الهمّ بالذبح؛ يُعيّن أن جبل الرب في مكة.

ويقول اليهود والمسيحيون: إن الابن الوحيد الذي همّ إبراهيم بذبحه ليس هو إسماعيل وإنما هو إسحق. وهم يعلمون أن إسماعيل وحيد هاجر. وهي أمه التي ولدته من بطنها. وهو وحيد سارة أيضا. وذلك لأنه في شريعة الناس في زمان إبراهيم وإلى زمان موسى أن السيدة الحرة إذا لم تنجب. كانت تعطي جاريتها لزوجها. فإذا أنجبت منه الجارية؛ يكون الولد للسيدة ويرث فيها. وعلى هذه الشريعة أنجب يعقوب من جاريتين لسيدتين. وصار الكل أولاده ووارثين فيه. ففي سفر التكوين: «وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام: هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة. ادخل على جاريتي. لعلّي أُرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراي» [تك ١٦: ١ -]

وعلى هذا فقول التوراة إن الذبح كان للابن الوحيد على جبل الرب، عند بئر «يَهْوه يرأه» الذي كانت عنده هاجر لما ظهر لها ملاك الله وبشرها بإسماعيل. يدل على أن جبل الرب هو جبل مكة.

وقد روى بَرْنابا عن المسيح عيسى عليه السلام أن الابن الوحيد هو إسماعيل وأنه كان هو الذي سيذبح، لأنه كان مولودا قبل إسحق أخيه بسبع سنين. وروى عنه

http://www.al-maktabeh.com

برنابا: أن النبي الآتي سيأتي من أرض الجنوب. وفي التوراة: أن هجرة إبراهيم ولوطا كانت إلى أرض الجنوب[1]. «فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب» [تك ١٣:١] «وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب» [تك ٢٠:١] وإسحق ابن إبراهيم كان ساكنا في أرض الجنوب عند بئر زمزم المعروف ببئر لَحَيْ رئي. الذي كانت عنده هاجر لما بشرها الملاك بإسماعيل «وكان إسحق قد أتى من ورود بئر لحي رئي. إذ كان ساكنا في أرض الجنوب [تك ٢٤:٦٢] وفي التوراة أن إسماعيل سكن في برية فاران» [تك ٢١:٢١] ويقول المفسرون: إنها جنوب أرض كنعان.

وعلى ذلك. فإنه إذا جاء في الزبور ذكر لجبل مقدس؛ فإن هذا الجبل يكون جبل الكعبة في مكة «في جبل الرب يرى»

تفسير المزمور ٦٨:

١ ـ ليس الغرض من قيام الله أنه كان جالسا وقام. فإن تابوت عهد الرب كان إذا أراد اليهود رفعه والسير به. يقول الكهنة وهم يرفعونه: «قم يا رب. فلتتبدد أعداؤك، ويهرب مبغضوك من أمامك» [عد ١٠:٣٥] أي انصرنا على أعدائنا. وفي هذا النص يقارن بين النبي الآتي وبين موسى الذي كان يقول هذا القول مع الكهنة. فيقول: سوف يأتي اليوم الذي يقوم فيه الله بنصر المؤمنين. أصحاب النبي الآتي على أعدائهم. وسوف ينصرهم. وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله «ويطفرون فرحا»

٢ ـ هذا النبي سوف يظهر من أرض قفر. فابتهجوا به.

---

(١) في الأصحاح السادس والتسعين من إنجيل برنابا:

«أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس لله. لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حبا في الله بأية كيفية سيأتي مَسِيًّا؟ أجاب يسوع: لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي أني لست مَسِيًّا الله الذي تنتظره كل قبائل الأرض، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلا: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادمي التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي، حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا. حينئذ يرحم الله العالم، ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة... إلخ» [برنابا ٩٦]

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأشار بقوله «رغوا لاسمه» إلى أنه هو النبي الأمي الآتي على مثال موسى. وهو محمد رسول الله؛ لقوله في أوصافه:

«ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطالبه. وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبي» [تث ١٨: ١٩-٢٠]

وأشار بقوله: «أعدوا طريقا للراكب في القفار» إلى قول الله لإشعياء النبي عن محمد رسول الله الآتي بعد جهاد بني إسرائيل مع الله: «عَزُّوا عَزُّوا شعبي. يقول إلهكم. طيّبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها قد كمل. إن إثمها قد عُفي عنه. أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخ في البرية:

أعدوا طريق الرب. قوّموا في القفر سبيلا لإلهنا. كل وِطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض» [إشعياء: ٤٠]

٣ - ومن عادات الملوك سواء أكانوا على شريعة من الله أو كانوا على شرائع لم يأذن بها الله؛ أنهم يحمون العجزة وينصفون المساكين. وهو هنا يذكر أن النبي الآتي سيحمي العجزة وسينصف المساكين بشريعة إلهية. ذلك قوله: «أبو اليتامى. . إلخ» وقد ذكر المسيح عيسى عليه السلام هذا الوصف عن محمد رسول الله فقال: «طوبى للمساكين بالروح؛ لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للحزانى؛ لأنهم يتعزّون. طوبى للودعاء؛ لأنهم يرثون الأرض. . .» [متى٥: ٣ -] وقد فرق داود بين المؤمنين والكافرين بقوله: «إنما المتمردون يسكنون الرمضاء» أي لهم الفقر.

٤ - ويتكلم داود عن شعب آت ليسير أمام الله بدل شعب اليهود الذي سيرفض من السير أمامه. وذكر أن هذا الشعب سيعد جنودا من أرض قفر. وسينصرها الله على الكافرين بالنبي الآتي في يوم الرب. ويقول داود: إنه إذا سارت هذه الجنود للدعوة إلى دين محمد رسول الله سترتعد السموات منهم. كناية عن هول المعارك وشدتها. ويقول داود: إن جميع الممالك سترتعد. حتى سكان سيناء الذي فيه الجبل الذي نزلت عليه التوراة؛ سيحل بهم الهلاك إذا لم يؤمنوا بهذا النبي؛ لأن التوراة قد نسخت. ونسخها يدل على أنهم قد تساووا بالأمم الوثنية الرافضة لشريعة هذا النبي

http://www.al-maktabeh.com

«سينا نفسه» ارتعد من وجه الله إله إسرائيل.

٥ - ويتكلم داود عن كثرة الخيرات في عهد النبي الآتي. بعبارات كنائية بديعة فيقول: «مطرا غزيرا نضحت يا ألله» لتثبت الأرض نباتا حسنا. وذكر داود تقسيم الأرض بين إسماعيل وإسحق صاحبا البركة التي هي الملك والنبوة. فقال: إن ميراث الأرض في عهد بني إسحق لم يكن حسنا؛ لأنهم حرفوا التوراة. وإن ميراث الأرض مع النبي الآتي قد أصلحه الله «ميراثك وهو معي؛ أنت أصلحته» وشبه الله بالراعي المشفق على غنمه. فقال: إن «قطيعك» وهم المؤمنون بالنبي «سكن» في الأرض التي ورثتها لهم. وكرر داود هذا المعنى في الزبور. وعن هذا المعنى في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

وهذا في المزمور السابع والثلاثين. وكيفية إصلاح الميراث هي: أن المعاني الحسنة التي لم تحرف في التوراة؛ وضعها الله في القرآن. فصار القرآن وعاء حفظ لما فيه من التوراة وتكفل الله بحفظ وعاء الحفظ وهو القرآن. فيكون القرآن حافظا لما فيه من التوراة من المعاني الحسنة التي لم تحرف. ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أي من كتاب التوراة في القرآن ﴿ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي الذي أخذناه من التوراة ووضعناه في القرآن ﴿ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ - ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

والذي وضعناه في القرآن من التوراة؛ حفظناه في كتاب القرآن. وذلك لأن التوراة ذكر والقرآن ذكر. فهما ذكران. وذكر التوراة كان من قبل نزول الزبور بخمسمائة عام تقريبا. والله يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

فسمى التوراة ذكرا وقال أيضا: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ معناه: إنا نحن نزلنا التوراة وإنا له لحافظون في القرآن.

٦ - وقول داود: «الرب يعطي كلمة. المبشرات بها جند كثير» هو نفسه قول إشعياء

مكتبة المهتدين الإسلامية

عن النبي الآتي إن الله وعد به. ووعده قد ظهر للناس بكلام صدر منه. وكلمة الوعد تثبت إلى الأبد، والمبشرات بها جند كثير. ذلك قوله: «وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد. على جبل عال اصعدي يا مبشرة صهيون. ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. . .»

٧ ـ وأشار بهرب الملوك إلى انتصار النبي على أعدائه، وأشار بتقسيم النساء للغنائم إلى سهولة الحصول عليها.

وفي سفر القضاة معنى ما في كلام داود عن انتصار النبي ﷺ على أعدائه. وذلك لأنه في أيام بني إسرائيل الأولى؛ نصرهم الله على أعدائهم. وعبر كاتب سفر القضاة عن انتصار بني إسرائيل بنفس تعبيرات داود عن انتصار النبي ﷺ. وتقسيم النساء للغنائم في سفر القضاة، هو نفسه تقسيمهن الغنائم في كلام داود.

وهذه هي النصوص:

«وأنشدت دبورة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم قائلين: باركوا الرب لأن الرؤساء تولوا زمام القيادة في إسرائيل ولأن الشعب انتدبوا أنفسهم متطوعين. فاسمعوا أيها الملوك، واصغوا أيها الأمراء، لأنني أنا أشدو للرب، وأغني لإله إسرائيل. يارب، عندما خرجت من سعير وتقدمت من صحراء أدوم، ارتعدت الأرض، وسكبت السماء أمطارها، وقطرت السحب ماء. تزلزلت الأرض أمام الرب وارتعد جبل سيناء هذا من حضرة الرب إله إسرائيل.

في أيام شمجر بن عناة وفي أيام ياعيل؛ هجر المسافرون الطرق المعروفة، ولجأوا إلى المسالك الملتوية. وتضاءل عدد سكان إسرائيل، إلى أن صارت دبورة أُمًّا لإسرائيل. عندما اختاروا آلهة أخرى نشبت حرب عند بوابات المدينة، ولم يشاهد ترس أو رمح مع أي من الأربعين ألفا من إسرائيل. قلبي مع قضاة إسرائيل الذين ضحوا بأنفسهم عن رضى من بين الشعب فباركوا الرب. أيها الراكبون الأُتن الشهب، الجالسون على طنافس سرجكم، وأنتم أيها السائرون في الطريق؛ تجاوبوا. بأصوات المنشدين عند سواقي المياه يتغنون بانتصارات الرب. وشعبه في إسرائيل، عندئذ ينزل شعب الرب إلى بوابات المدينة.

http://www.al-maktabeh.com

استيقظي يا دبورة، استيقظي واهتفي بنشيد. قم ياباراق. وخذ سَبْيك إلى الأسر، يا ابن أبينوعم. عندئذ أقبل الناجون إلى النبلاء؛ انحدر شعب الرب والتف حولي لمحاربة الأشداء. أقبل بعضهم من أرض أفرايم حيث أصولهم بين عماليق، وفي أعقابهم جاء شعب بنيامين. من ماكير، تقدم قضاة، ومن زبولون أقبل حاملو عصا القيادة. جاء رؤساء يسّاكر مع دبورة وأخلصوا لباراق، فاقتحموا الوادي في أعقابه. أما أبناء رأوبين فقد اعتراهم التخاذل والحيرة. لماذا تخلفتم في حظائركم؟ ألتسمعوا صفير الرعاة إلى القطعان؟ لشد ما تسام عشائر رأوبين من عذاب الضمير. أقام جلعاد شرقي الأردن. وأنت يادان لماذا استوطنت عند السفن؟ وبقي أشير قابعا عند ساحل البحر، وانطوى عند خلجانه. أما زبولون ونفتالي فقد عرضا حياتهما للموت عند روابي الحقل.

احتشد ملوك وحاربوا، حارب ملوك كنعان في تعنك بجوار مياه مجدّو، ولكنهم لم يغنموا قطعة فضة واحدة. من السماء حاربت النجوم سيسرا من مساراتها، وفاضت مياه نهر قيشون القديم. وجرفت رجاله؛ فتقدمي يا نفسي بعزّ.

ثم تردد وقع حوافر خيل العدو، من عَدْو الجياد الضخمة. غير أن ملاك الرب قال: العنوا ميروز. العنوا ساكنيها بمرارة، لأنهم لم يأتوا للمحاربة في صف الرب ضد الجبابرة. لتكن ياعيل زوجة حابر القيني مباركة. لتكن مباركة أكثر من كل النساء ساكنات الخيام.

فقد سألها سيسرا ماء فأعطته لبنا، قدمت له زبدة في وعاء العظماء. ثم تناولت وتد الخيمة بيد، ومدت يمينها إلى المطرقة وضربت سيسرا فسحقت رأسه وشدخت صدغه وخرقته! فانطرح عند قدميها. سقط، وظل ملقى هناك. انطرح عند قدميها. وسقط. وحيث انطرح سقط قتيلا. من الكوة أشرفت أم سيسرا. ومن وراء النافذة المشبكة ولولت: لماذا أبطأت مركباته عن المجيء؟ لماذا تأخر صرير وقع مركباته؟ فأجابتها أحكم نسائها، بل هي أجابت نفسها: ألم يجدوا الغنيمة ويقتسموها؟ فتاة أو فتاتين لكل رجل، وغنيمة ثياب مصبوغة لسيسرا، وأخرى مصبوغة ومطرزة الوجهين لتكون غنيمة ألف بها عنقي؟ هكذا ينقرض جميع أعدائك يارب، أما أحباؤك فهم كالشمس المتألقة في جبروتها»[قضاة:٥]

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقوله: «إذا اضطجعتم بين الحظائر؛ فأجنحة حمامة مغشاة بفضة، وريشها بصفرة الذهب» معناه: الكناية عن كثرة الخيرات. فإنه لما تكلم عن الغنائم التي سيحصلون عليها بسهولة بسبب هروب جيوش الملك. قال: إنهم إذا استراحوا بين حظائر الحيوانات - كناية عن الرزق الكثير عن يمينهم وعن شمالهم -؛ فإنهم سيحصلون على رزق وفير وهم لا يكدّون ولا يتعبون، أي أنهم سيرزقون من فضل الله، كّدوا أو لم يكدوا. وعبر عن الرزق بغير كد على سبيل الكناية بأنهم سيرون أجنحة حمامة مغشاة بفضة وريشها من ذهب.

ويقول المفسرون في «عندما شتت القدير ملوكا فيها؛ أثلجت في صَلْمون» وفي ترجمة: «جبل الظلمات»: إن المعنى كما في سفر القضاة ٩:٤٨ تساقط الثلج في هذا الجبل. فأهلك المحتمون فيه من التشتت.

٨ - ثم قال: «جبل الله» والمعنى: اذكروا جبل الله الذي يعرف الناس أنه جبل الله من قبل أن يتوجه إبراهيم إليه بابنه. وتم الكلام.

ثم استأنف كلاما جديدا يبين به أن جميع الجبال الشامخة لا تعلو على جبل الله في القيمة، وإن كانت عالية في الارتفاع. جبل باشان. جبل عالي وله أسنمة يبدو بها أنه عدة جبال «لماذا أيتها الجبال المسنمة» من باشان ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه؟ أنه أعظم منكن قدرا؛ لأنه جبل الله «اشتهاه الله لسكنه» أي وضع عليه بيته المحرم «بل الرب يسكن فيه إلى الأبد» لأن الشريعة التي سيجيء بها هذا النبي ستبقى إلى الأبد.

ويقول المفسرون: إن جبل باشان ناحية الدروز في لبنان.

والله لا يسكن في بيوت. ويعبر بالسكن في البيوت عن الشريعة.

٩ - ثم تكلم عن جيوش النبي الآتي. فقال: إنها آلاف مؤلفة. والرب فيها أي أنه سينصرها في الحروب. ونسب أدوات الحرب إلى الله لأنه سينصر نبيه وقال «سينا في القدس» ويريد من هذا القول: أن اليهود مكلفون بالدخول في دين هذا النبي. وستدخل في الأراضي المقدسة الجديدة. شاءوا أم أبوا. وقد أشار إلى ذلك المفسرون بقولهم: «حيث يوجد الله؛ هناك سيناء» ومعلوم أن وجود الله هو وجود شريعته.

http://www.al-maktabeh.com

وهو لا يقبل إبعاد سيناء ـ المقدسة سابقا ـ عن شريعته الجديدة.

والأرض المقدسة: هي مقدسة: لأن الله وعد بها. وقدست مرة بشريعة موسى. ومرة أخرى بشريعة محمد رسول الله. وقد وعد الله بها بني إسرائيل - أي كتبها لهم - إلى أن يظهر محمد رسول الله. فيرثها.

١٠ ـ وقال عن النبي الآتي: «صعدتَ إلى العلاء» أي سيكون ملكك عظيما وستملك على فلسطين «سبيت سبيا» أي انتصرت على أعدائك «قبلتَ عطايا بين الناس» أي أخذت الجزية من المغلوبين.

وقد ترجمها بولس بقوله: «أعطى الناس عطايا» على معنى: أن المسيح نزل إلى أقسام الأرض السفلى، وصعد منها «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين» [أفسس٤:٨-١١]

وقول بولس. غرضه منه: إبعاد نبوءة داود عن محمد ﷺ بوضعها على المسيح عيسى عليه السلام. والدليل على أنه يبعدها: هو قوله بنزول المسيح إلى أقسام الأرض السفلى، وانتصاره على الموت. وهو يعلم أن قبول العطايا معناه: الجزية.

وفي ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: «صعدتَ إلى العلاء أيها الرب. تقود أسراك إلى الأسر؛ لتقبل جزية المتمردين عليك» والمراد بالرب: السيد وهو النبي الأمي المماثل لموسى.

١١ ـ «ولكن الله يسحق رءوس أعدائه الهامةَ الشعراءَ؛ للسالك في ذنوبه» أي أن الهلاك في هذه المعارك سيكون للمذنبين لا للطائعين. وفي ترجمة: «الله يسحق رءوس أعدائه. وفروةَ رأس الممعن في آثامه»

١٢ ـ وقال داود عن أعداء هذا النبي إنهم إذا هربوا من أمامه في الحروب واختبأوا وتحصنوا في الجبال الشامخة؛ فإن الله يردهم إلى ساحة المعارك لكي يُقتلوا. أي لا نجاة لهم منه.

١٣ ـ «رأوا طرقك يا ألله. طرق إلهي مَلكي في القدس» وفي ترجمة: «تراءت مواكبك يا ألله. يا ألله ملكي، في الموضع المقدس» والمعنى: أن مواكب النصر للنبي الآتي سيراها الناس في الموضع المقدس. فهل الموضع المقدس مدينة أورشليم أم مدينة

مكتبة المهتدين الإسلامية

مكة؟ لقد فسر داود بقوله «طرق إلهي [1] ملكي» أي مواكب سيدي التي هي أيضا مواكب الله. فمن هو سيد داود؟ قال المسيح عيسى عليه السلام: إن سيد داود هو النبي الآتي. ولا يأتي من نسل داود؛ لأن الابن لا يكون سيدا لأبيه [متى ٢٢: ٤١-٤٦]

وقال داود نفسه في المزمور المائة والعاشر: «قال الرب لسيدي الملك: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك...» وفي ترجمة أخرى: «قال الرب لربي: اجلس عن يمني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك...» وفي النص العبراني: «قال يَهْوَه لأدوناي...» ومعنى هذا: إن الموضع المقدس هو المكان الذي تتراءى فيه مواكب النصر. والنبي المنتصر من مكة.

١٤ - «قد أمر إلهك بعزك [2]» يفسر المفسرون من المسيحيين بأن العزة لعيسى عليه

---

(١) قال الله لموسى: «أنا جعلتك إلها لفرعون» [خروج٧: ١] أي سيدا

(٢) من عبث الرواة في الكتب:

في المجلد الأول من كتاب الأمالي:

قرأ أبو عمرو بن العلاء «ما ننسخ من آية أو نَنْسَأْها» على معنى: أو نؤخرها. والعرب تقول: نسأ الله في أجلك، وأنسأ الله أجلك، أي أخر الله أجلك. وقال النبي ﷺ: «من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق؛ فليصل رحمه» والنَّساء: التأخير. يقال: بعته بنساء وبنسيئة. أي بتأخير. وأنسأته البيع. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ والمعنى فيه - على ما حدثني أبو بكر بن الأنباري - رحمه الله - أنهم كانوا إذا صدروا عن مِنىً؛ قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة. فقال: أنا الذي لا أعاب ولا يرد لي قضاء. فيقولون له: أنسئنا شهرا. أي أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر. وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يُمكنهم الإغارة فيها؛ لأن معاشهم كان من الإغارة؛ فيحل لهم المحرم، ويحرم عليهم صفرا. فإذا كان في السنة المقبلة حرم عليهم المحرم، وأحل لهم صفر. فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ وقال الشاعر:

ألسنا الناسئين على معدّ ... شهور الحل؛ نجعلها حراما؟

والدليل على أنه من العبث: أن العرب لم يكن عندهم النسيء وإنما النسيء موجود عند اليهود والمسيحيين إلى هذا اليوم. وهم المقصودون في القرآن بقوله: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وإذا جاء في القرآن لفظ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأت ما قبل الكلام وما بعده؛ وجدت أنهم هم اليهود والمسيحيون. ولكي تعرف ذلك: تطلع على النتائج الفلكية عند المسيحيين، وسوف تجد فيها فرقا بين السنة الزراعية وهي توت - أبيب - طوبة - وبين السنة الميلادية وهي يناير - فبراير - مارس. ويقدر هذا الفرق بخمسة أيام تقريبا. وتجد فرقا بين سنة اليهود القمرية وبين السنة الشمسية. والفرق هو النسيء وهذا موجود في كتبهم وهم يُضلون به؛ لأن أعيادهم الدينية لا تنضبط، فتقع في غير موضعها. =

http://www.al-maktabeh.com

السلام وذلك بقبول الأمم للمسيحية. ومعنى هذا: أن المزمور كله نبوءة عن المسيح عيسى عليه السلام. ولم لا يكون نبوءة عن محمد ﷺ؟ فإن الأوصاف التي فيه منطبقة عليه.

١٥ ـ «من هيكلك فوق أورشليم. لك تقدم ملوك هدايا» ـ «من هيكلك في أورشليم» ترجمة أخرى. ولم تقدم ملوك هدايا لعيسى عليه السلام. وإنما قدمت لمحمد ﷺ كما في المزمور الخامس والأربعين والثاني والسبعين.

١٦ ـ ويخاطب الله نبيه بصيغة الأمر. فيقول: «انتهر وحش القصب» وهو رمز للمصريين «صوار الثيران» مع عجول الشعوب المترامين بقُطع فضة» الثيران والعجول كناية عن الشعوب المعادية صغيرة أو كبيرة.

ثم أمره بجهاد الكفار والمنافقين بقوله: «شتت الشعوب الذين يسرون بالقتال».

١٧ ـ وقال: «يأتي شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله» وكوش هي الحبشة وأرض السودان. والمراد: أنهم يقدمون هداياهم إلى النبي ﷺ

١٨ ـ ثم نصح الملوك بقبول شريعة هذا النبي ولقبه بالسيد. فقال: «يا ممالك الأرض غنوا لله، رنموا للسيد» وقال عن تعظيمه وارتفاعه وانتصاراته: «للراكب على سماء السموات القديمة» كناية عن أن الله في الأزل في سابق علمه؛ رأى أن يرسله رحمة للعالمين وأن ينصره على أعدائه.

* * *

= يُضاف إلى ذلك: أنهم نسبوا إلى العرب تحليل ما حرم الله، وإغارة بعضهم على بعض. والإغارة فيها أخذ أموال وسبي نساء وهتك أعراض. والله في القرآن قد نزه العرب عن المعائب والنقائص. فلذلك يجب تنقية الكتب من الإسرائيليات والموضوعات وإبعاد النقائص والعيوب عن العرب؛ فإنهم هم أهل الله وخاصته أهل بيته وقد اصطفاهم الله واختارهم في الأزل لنصرة نبيه ﷺ

مكتبة المهتدين الإسلامية

بيت الله

المزمور ٢٦

«اقض لي يارب لأني بكمالي سلكت، وعلى الرب توكلت؛ بلا تقلقل. جربّني يارب وامتحني. صفّ كليتي وقلبي. لأن رحمتك أمام عيني. وقد سلكت بحقك. لم أجلس مع أناس السوء، ومع الماكرين لا أدخل. أبغضت جماعة الأثمة، ومع الأشرار لا أجلس. أغسل يدي في النقاوة، فأطُوفُ بمذبحك يا ربُّ، لأسمّع بصوت الحمد، وأحدث بجميع عجائبك. يا رب، أحببتُ محل بيتك وموضع مسكن مجدك.

لا تجمع مع الخطاة نفسي، ولا مع رجال الدماء حياتي. الذين في أيديهم رذيلة، ويمينهم ملآنة رشوة. أما أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني. رجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب» [مزمور ٢٦]

* * *

المزمور ٢٧

«الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن أرتعب؟ عندما اقترب إليّ الأشرار ليأكلوا لحمي، مضايقيّ وأعدائي؛ عثروا وسقطوا. إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن. واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرس في هيكله. لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب.

استمع يا رب، بصوتي أدعو فارحمني واستجب لي. لك قال قلبي: قلت: اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب. لا تحجب وجهك عني. لا تخيب بسخط عبدك. قد كنت عوني فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي. إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمني. علمني يا رب طريقك، واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي. لا تسلمني إلى مرام مضايقي، لأنه قد قام عليّ شهود زور ونافث ظلم. لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء. انتظر الرب. ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر

http://www.al-maktabeh.com

الرب» [مزمور ٢٧]

* * *

المزمور ٢٨

«إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي، لا تتصامم من جهتي، لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب. استمع صوت تضرعي إذ أستغيث بك وأرفع يدي إلى محراب قدسك. لا تجذبني مع الأشرار، ومع فعلة الإثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم. أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم. حسب صنع أيديهم؛ أعطهم. رد عليهم معاملتهم. لأنهم لم ينتبهوا إلى أفعال الرب، ولا إلى أعمال يديه، يهدمهم ولا يبنيهم.

مبارك الرب، لأنه سمع صوت تضرعي. الرب عزيّ وترسي. عليه اتكل قلبي، فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده. الرب عز لهم، وحصن خلاص مسيحه هو. خلّص شعبك، وبارك ميراثك، وارعهم واحملهم إلى الأبد» [مزمور ٢٨]

* * *

المزمور ١٠٠

«اهتفي للرب يا كل الأرض. اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنم. اعلموا أن الرب هو الله. هو صنعنا وله نحن شعبه وغنم مرعاه. ادخلوا أبوابه بحمد دياره بالتسبيح، احمدوه وباركوا اسمه. لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته. وإلى دور فدور أمانته» [مز ١٠٠]

* * *

المزمور ١٠١

«رحمة وحكما أغني. لك يا رب أرنم. أتعقل في طريق كامل. متى تأتي إلي أسلك في كمال قلبي. في وسط بيتي. لا أضع قدام عيني أمرا رديئا. عمل الزيغان أبغضت. لا يلصق بي. قلب معوج يبعد عني. الشرير لا أعرفه. الذي يغتاب صاحبه سرا هذا أقطعه. مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله. عيناي على امناء الأرض لكي

مكتبة المهتدين الإسلامية

أجلسهم معي. السالك طريقا كاملا هو يخدمني. لا يسكن وسط بيتي عامل غش. المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عيني. باكرا أبيد جميع أشرار الأرض لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم» [مز ١٠١]

لاحظ: ١ - «ادخلوا إلى حضرته» أي إلى مكان بيته وهو الكعبة ٢ - «ادخلوا أبوابه بحمد» أي إلى مكة ٣ - «دياره» هي ديار مكة.

٤ - «أسلك في كمال قلبي. في وسط بيتي» نسب البيت الحرام إلى محمد رسول الله صاحب الشريعة. وفي القرآن الكريم: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ نسب البيت إليه ﷺ ٥ - «لا يسكن وسط بيتي عامل غش» ٦ - «باكرا أبيد جميع أشرار الأرض؛ لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم» ومدينة الرب: هي مكة.

http://www.al-maktabeh.com

المزمور الأول:

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾

والمراد بالكتاب: سفر الزبور ـ وهو يُعدّ من أسفار التوراة ـ والنص المشار إليه موجود في المزمور الأول ونصه:

«طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا. فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل. وكل ما يصنعه ينجح.

ليس كذلك الأشرار، لكنهم كالعصافة التي تذريها الريح. لذلك لا تقوم الأشرار في الدين، ولا الخطاة في جماعة الأبرار. لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك»

محمد ﷺ يتكلم في سفر الزبور عن نفسه

وقد مثّل الله محمدا في الأزل، كأنه موجود بجسمه، وجعله متكلما عن نفسه، وأوحى إلى داود بكلامه؛ فكتبه في سفر الزبور. فمن يقرأ في سفر الزبور يعتقد أن داود هو المتكلم عن نفسه. وهو في الحقيقة يتكلم بالنيابة عن محمد ﷺ.

هكذا يقول اليهود والمسيحيون. ولكنهم يضعون بدل كلمة «محمد» كلمة «المسيح» أو «النبي الأمي الآتي» أو «السيد» وهكذا . ويقولون في سفر الزبور: هو سفر النبي الآتي على مثال موسى. وهو الذي يتكلم فيه عن نفسه بظهر الغيب.

ولما نزل عليهم في الزبور أنهم لا يجلسون في مجالس الأشرار؛ تكلم النبي الآتي عن نفسه بظهر الغيب بأنه لا يحب مجالسة الأشرار، ولن يجلس معهم. ونقل داود كلامه هذا في مزمور من مزامير الحج. وغرضه من النقل: هو أن النبي في وقت ظهوره سيخبر الناس في كتابه بما كان قد قاله عن نفسه في الأزل؛ ليعلموا أنه هو النبي الآتي من الله.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ففي المزمور السادس والعشرين:

يقول النبي لله: «اقض لي يارب» بيني وبين اليهود الأشرار. ثم بين أنه هو صاحب الحق في الدعوى بقوله: «لأني بكمالي سلكت، وعلى الرب توكلت» وقال: لن أحيد عن الحق أبدا «لا أتقلقل» في ترجمة. وفي ترجمة «بلا تقلقل»

وقال لله: أنت أمرت بعدم الجلوس مع الأشرار. وأنا «لم أجلس مع أناس السوء، ومع الماكرين لا أدخل. أبغضت جماعة الأثمة، ومع الأشرار لا أجلس» وفي ترجمة: «لا أجالس المنافقين، ومع الماكرين لا ادخل. أُبغض أهل السوء، ولا أجالس الأشرار» وقال عن طوافه بالكعبة المكرمة في مكة: «أغسل يدي؛ فأطهر. وأطوف يارب بمذبحك» وفي ترجمة: «أغسل يديّ في النقاوة؛ فأطوف بمذبحك يارب» وغسل اليدين كناية عن الطهارة قبل الطواف. وهو معنى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ والطواف ببيت الله الحرام هو المشار إليه بقوله: «فأطوف بمذبحك يارب» وهذا المذبح هو الذي وضعه نوح عليه السلام بعد الطوفان، وأصعد عليه محرقات وذبائح طاهرة لله، وأمر المؤمنين إذا تفرقوا من عنده أن يأتوا إليه كل عام. من استطاع منهم. ليروه فيعلموا أن الله قد أكرمهم بأن هداهم إلى الإيمان. ويطوفوا حوله ويذبحوا الذبائح لإطعام الفقراء والمساكين. ثم يرجعون من حيث أتوا شاكرين وحامدين ومسبحين الله عز وجل. ومخبرين بعدله وفضله وبآياته في كونه الدالة على وجوده وقدرته. ويقول النبي عن نفسه إنه سوف يطهر يديه ويَقضي تفثه، وسيصيح بأعلى صوته مسمّعا بصوت الحمد لله عند الكعبة قائلا: «إن الحمد والنعمة لك. لبيك» ذلك قوله: «أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يارب؛ لأسمّع بصوت الحمد»

وقال النبي ﷺ لله تعالى: «وأحدث بجميع عجائبك» أي سأخبر العالم أجمع بدلائل وجودك وقدرتك. وعظّم النبي الكعبة، وأعلى من قدرها، وصرح بكثرة الأرزاق عندها. فقال: «يارب أحببت محل بيتك» أي أنا راض عن البقاء فيه لإقامة الشعائر حوله. وعلّل حبه للكعبة بقوله: لأنني وأنا مع الله عند بيته لن يمكن أعدائي مني، وسينصرني عليهم. وهو لا يتكلم عن نفسه فقط. وإنما هو يتكلم بالنيابة عن كل أصحابه المؤمنين به، والمقيمين عند البيت. يريد أن يقول: إنه حرم آمن.

http://www.al-maktabeh.com

وقد توسع النبي في ذكر هذا المعنى، في المزمور الذي بعده مباشرة فقال: «الرب نوري وخلاصي» ومادام الله معه ينور له طريقه، ويخلصه من أعدائه. فكيف يخاف؟ «ممن أخاف»؟ إذا كان الله معي. ثم قال: إن كل ما أتمناه من الله «أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي؛ لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرس في هيكله؛ لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي؛ فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب»

وطلب من الله تعالى أن لا يكون مع اليهود في مملكة واحدة على دينهم الذي حرفوه. وذلك لأنهم لما حرفوه؛ صاروا من الأشرار، ومع القتلة وأهل الظلم. وأخذوا الرشوة وعوّجوا القضاء «لا تجمع مع الخطاة نفسي، ولا مع رجال الدماء حياتي. الذين في أيديهم رذيلة، ويمينهم ملآنة رشوة» وفرق بينه وبين اليهود بقوله: «أما أنا فبكمالي أسلك» ولأنه يسلك بالكمال بحسب الشريعة المعطاة له من الله. قال لله تعالى: «افدني وارحمني»

وصرح بأنه لكماله واستقامته على الشريعة كأنه واقف على صخرة. ذلك قوله: «رجلي واقفة على سهل» لا على أرض هشّة. على جرف هار. وكرر هذا المعنى في أكثر من مزمور. ومن ذلك: «وأقام على صخرة رجلي ثبتّ خطواتي» [مز ٤٠: ٢] وصرح بأن دعوته عالمية لجميع الأمم بقوله: «في الجماعات أبارك الرب» وكرر هذا المعنى كثيرا فقال: «في وسط الجماعة؛ أسبحك» [مز ٢٢: ٢٢] «أحمد الرب بكل قلبي. في مجلس المستقيمين وجماعتهم» [مز ١١١: ١]

وفي المزمور الثامن والعشرين يقول النبي لله بظهر الغيب: «استمع صوت تضرعي إذ أستغيث بك، وأرفع يدي إلى محراب قدسك» وفي ترجمة: «استمع إلى تضرعي حين أستغيث رافعا يدي إلى محرابك المقدس» ورفع اليدين: علامة الصلاة [راجع ١ مل ٨: ٢٢ نح ٨: ٦ عز ٩: ٥ مز ٦٣: ٥ و١٣٤: ٢ إش ١: ١٥] «ومدى حياتي أباركك، وباسمك أرفع للصلاة كفي. تشبعني كما من طعام شهي. فترنم شفتاي، ويهلل فمي» [مز ٦٣: ٥].

بعد ذلك نقول:

مكتبة المهتدين الإسلامية

إن مفسري سفر الزبور يقولون: إن المزامير الثلاثة ٢٦ و٢٧و ٢٨ تتكلم عن الاستغراق في البهجة في محضر الرب وفي بيته. والمزامير الثلاثة تتحدث عن «بيت الرب»

ويقول المفسرون: إن المتحدث فيهم هو داود وليس النبي المنتظر. ويقولون: ونحن أمام لغز لا يمكن حله. وهو أن في المزامير الثلاثة كلام واضح عن أن «بيت الله» موجود، وتقام فيه الشعائر. فإذا قلنا: إن بيت الله هو «هيكل سليمان» فإن إقامة الشعائر فيه كانت من بعد موت داود. وهذا لغز لا يمكن حله. ومما يدل على إقامة شعائر الحج إلى الكعبة في مكة من قبل موته: مز ٢٧:٦و٤٢:٤و٦٨:٢٤ تجد فيهم: إنه كانت توجد مرحضة تقف بين المذبح الذي هو مبنى الكعبة، وبين الخيمة التي هي جهة الشرق من المذبح. وفيها يغسل الكهنة أيديهم وأرجلهم قبل الاقتراب من المذبح أو الخيمة [خروج ٤٠:٣٠ ـ ٣٢] وأن داود تكلم عن فعل هذه الشعيرة وتكلم عن «بيت الرب» الذي هو كعبة مكة بكلام يدل على أنه موجود، والناس يحجون إليه. في زمانه «واحدة سألت من الرب، وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي»

ووقع المفسرون في لغز آخر، والتمسوا له حلا، ولم يجدوا. فقالوا: إن فيه معنى قد يكون افتراضيا. وهذا اللغز هو أن النبي الآتي يقول له: إنني ولدت يتيم الأب والأم. وأنت آويتني. وداود الذي يقولون. إنه يتكلم عن نفسه لم يكن يتيما. ذلك قولهم: «إن والدي داود لم يتركاه فعلا» ونص الآية هو: «إن أبي وأمي قد تركاني والرب يضمني» وفي القرآن الكريم عن هذا المعنى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وفي القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وفي الزبور هذا المعنى: «استمع يارب. بصوتي أدعو؛ فارحمني واستجب لي. لك قال قلبي: قلت: اطلبوا وجهي. وجهك يارب أطلب» [مز ٢٧:٧-٨]

واللغز الثالث الذي حير المفسرين هو أن النبي ﷺ يقول: «إليك يارب أصرخ. يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب. استمع صوت تضرعي. إذ أستغيث بك، وأرفع يدي إلى محراب قدسك» شبه نفسه بأحد الحجاج الذين من قبل ظهوره كانوا يرفعون أيديهم في الصلاة عند الكعبة. ليظهر لهم

http://www.al-maktabeh.com

أنه مثل أي واحد منهم في تعظيم الكعبة. وكرر هذا المعنى. ففي المزمور ١٣٨ «أحمدك من كل قلبي. قدام الآلهة[1] أرنم لك. أسجد في هيكل قدسك، وأحمد اسمك على رحمتك وحقك...» [مز١٣٨:٢] وهذا يدل على أن هيكل الله الذي هو بيت الله المقدس كان موجودا في مكة في زمان داود. ولذلك قال المفسرون: إن الكلمة العبرية dcbir المترجمة «محراب قدسك» كانت مستخدمة قبل أيام سليمان بفترة طويلة.

واللغز الرابع هو: في نص المزمور «الرب عزّ لهم» عِزّ لمن؟ لأنه يتكلم عن شعبين. شعب النبي الآتي الذي يتكلم عن نفسه، وشعب اليهود الذي سيخلص المؤمنين منهم به من تسلط أمم الكفر عليهم. فيقول: «الرب عزلهم، وحصن خلاص مسيحه؛ هو. خلاص شعبك» وقد حار المفسرون في حل هذا اللغز. وإنهم إذا قالوا: إن المتكلم هو النبي الآتي؛ يزول تحيرهم. وفي ترجمة: «الرب عزّة لشعبه، وحصن خلاص للملك الذي مسحه. خلص شعبك»

واللغز الخامس: هو أنه يتكلم في هذا المزمور عن النبي الأمي الآتي. الذي سيكون عزا لشعبه، والذي سيخلص اليهود من تسلط الكفار عليهم. وداود ليس هو الآتي لشعبين اثنين. ذلك قوله: «وحصن خلاص مسيحه» أي أن الله هو الذي سينصر النبي الآتي، الملقب بالمسيح. أي المصطفى من الله. فإن النبي الآتي يلقب ـ عندهم ـ بالمسيح. أو بالمَسِيّا. ومعناها منطبق على محمد فهو النبي والعالم والملك. وقد أخذوا لقب المسيح من قول موسى عنه: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون» [تث١٨:١٥-٢٢] وعيسى عليه السلام مسيح. ولكن ليس هو هذا «المسيح» وقد بينا ذلك في كتابنا «المسيا المنتظر» وغيره.

يقول المفسرون: «وهناك صعوبة صغيرة في النص في آية ٨ في القول «لهم» بدل من «الشعبه». وذلك بحذف حرف واحد من الأصل العبري»

ملاحظة:

(١) قال الله عن اليهود: «أنا قلت: إنكم آلهة. وبنو العلي كلكم» [مزمور ٨٢] أي سادة، ومنتسبون إلى الله. لا إلى الشيطان.

مكتبة المهتدين الإسلامية

«خلّص شعبك، وبارك ميراثك، وراعهم، واحملهم إلى الأبد»

واحملهم في ترجمة: «وارفعهم»

قال الله في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وذلك لأنه رعاهم عن طريق محمد ﷺ فما هي الفائدة من قولهم ﴿رَاعِنَا﴾ وقد جاء؟

* * *

http://www.al-maktabeh.com

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

المزمور ١١٨

«احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته. ليقل إسرائيل: إن إلي الأبد رحمته. ليقل بيت هارون: إن إلى الأبد رحمته. ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته.

من الضيق دعوت الرب؛ فأجابني من الرحب. الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ الرب لي بين معيني، وأنا سأرى بأعدائي. الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان. الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء. كل الأمم أحاطوا بي. باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بي واكتنفوني. باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بي مثل النحل. انطفأوا كنار الشوك. باسم الرب أبيدهم. دحرتني دحورا لأسقط، أما الرب فعضدني. قوتي وترنمي الرب، وقد صار لي خلاصا. صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين: يمين الرب صانعة ببأس. يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس. لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب. تأديبا أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني.

افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصدّيقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصا. الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا.

هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلّص! آه يا رب أنقذ! مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب. الرب هو الله وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح. إلهي أنت فأحمدك، إلهي فأرفعك. احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته» [مزمور:١١٨]

البيان:

يتكلم محمد ﷺ عن نفسه، وينقل كلامه داود عليه السلام فيقول: «من الضيق دعوت الرب» يعني: أعداءه أحاطوا به في ساحات المعارك. وضاق بهم ذرعا، ودعا الله أن ينصره عليهم فنصره «فأجابني من الرحب»

ويقول مفسرو المسيحيين: إن المتكلم عن نفسه ههنا هو «المسيح عيسى بن مريم»

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقولهم باطل؛ لأن المسيح لم يحارب ولم ينتصر.

وبين المتكلم أن جميع الأمم أحاطت به. تريد حربه والقضاء عليه. ومنهم أمة بني إسرائيل. ذلك قوله: «كل الأمم أحاطوا بي» وهذا يظهر للناس أن سفر المزامير هو سفر محمد ﷺ لا كما يدعى المفسرون أنه ليس له. ويتناقضون في تعيين المتكلم حتى أن المفسر الواحد مرة يقول: إنه هو داود، ومرة يقول: إنه هو المسيح عيسى بن مريم. وكل واحد منهما كان على شريعة التوراة، ولم يكن صاحب دعوة عالمية مستقلة عنها. واتفاق المسيحين جميعا على أن في سفر المزامير خمسة عشر مزمورا جاء لهم ذكر في كتب الأناجيل أنهم يتنبأون عن «المَسِيّا» ومعنى قولهم هذا: هو أن سفر المزامير لا يتكلم عن داود. وإنما هو يتكلم عن النبي الآتي. سواء أكان «المَسِيّا» محمدا أم عيسى بن مريم. وأنه هو محمد ﷺ لأن عيسى نفسه استدل بسفر المزامير عليه. ومن استدلالته: استدلاله بالمزمور المئة والعاشر. وفيه يقول داود: إن النبي الآتي سيده؛ ويقول المسيح: لو كان النبي الآتي من نسل داود. ما كان داود يقول: إنه سيده؛ لأن الابن لا يكون سيدا لأبيه. ويكون من نسل إسماعيل؛ لأن لإسماعيل بركة. ففي إنجيل متى: «وبينما الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع: ما قولكم في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: إذاً كيف يدعوه داود ربا. وهو يقول بوحي من الروح: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك» فإذا كان داود يدعو المسيح ربا؛ فكيف يكون المسيح ابنه؟ فما قدر أحد أن يجيبه بكلمة، ولا تجرأ أحد من ذلك اليوم أن يسأله عن شيء» [متى ٢٢: ٤١: ٤٦]

و«المسيح المنتظر» هو نفسه «المَسِيا» وهو نفسه محمد ﷺ وكانوا يظنون أنه سيظهر من نسل داود - أي من اليهود العبرانيين - فصحح المسيح عيسى عليه السلام اعتقادهم في «المسيح الرئيس» وبين أنه لن يأتي من اليهود.

وقد ذكرتُ هذا دليلا على أن سفر الزبور هو سفر محمد ﷺ بشهادة المسيح عيسى نفسه.

ويقول النبي ﷺ: «باسم الرب أبيدهم» وأكد على هذا المعنى كثيرا. وصرح بانتصاره بقوله: «وإلى الموت لم يسلمني» وهذا ضد اعتقاد المسيحين في المسيح بن

http://www.al-maktabeh.com

مـريم وقـال النبي ﷺ : «افتحـوا لي أبواب البر. أدخل فيهـا وأحمد الرب» والمعنى: افتحوا أبواب مـكة المكرمة لأحمد الرب فيهـا عند الكعبة وأوفي بنذوري. وهذا المعنى قد صـرح به النبي إشـعيـاء في قوله: «في ذلك اليـوم يغني بهذه الأغنيـة في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية»

نص الأصحاح السادس والعشرين من سفر إشعياء:

«في ذلك اليوم يغني بهـذه الأغنية في أرض يهوذا. لنا مدينة قـوية. يجعل الخلاص أسوارا ومترسـة. افتحوا الأبواب لتدخل الأمَّة البـارةُ الحافظة الأمانة. ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالما سالما لأنه عليك متوكل.

توكلوا على الرب إلى الأبد لأن في ياه الرب صـخر الدهور. لأنه يخـفض سكان العلاء يضع القرية المرتفعة. يضعها إلى الأرض. يلصقها بالتراب. تدوسها الرِّجل رِجلا البائس أقدام المساكين

طريق الصديق استـقامة. تمهد أيها المسـتقيم سبيل الصـديق. ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس.

بنفسي اشتـهيتك في الليل. أيضا بروحي في داخلي إليك أبتكـر. لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العـدل. يرحم المنافق ولا يتعلم العدل. في أرض الاستقامة يصنع شرا ولا يرى جلال الرب.

يا رب ارتفعت يدك ولا يرون. يرون ويخزون من الغـيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك. يا رب تجعل لنا سلاما لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا.

أيها الرب إلهنا قد استولى علينا سـادة سواك. بك وحدك نذكر اسمك. هم أموات لا يحيون. أخيلة لا تقوم. لذلك عاقبتَ وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم.

زدتَ الأمة يا رب، زدت الأمة. تمجـدت. وسعت كل أطراف الأرض. يا رب في الضيق طلبـوك. سكتوا مخافـتة عند تأديبك إياهم. كما أن الحبلى التي تقارب الولادة تتلوى وتصرخ في مخاضها هكذا كنا قدامك يا رب. حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحا. لم نصنع خلاصا في الأرض ولم يسقط سكان المسكونة.

تحيا أمواتك. تقوم الجثث استيقظوا ترنموا يا سكان التراب. لأن طلك طل أعشاب

مكتبة المهتدين الإسلامية

والأرض تسقط الأخيلة. هلم يا شعبي ادخل مخادعك، وأغلق أبوابك خلفك. اختبئ نحو لحيظة حتى يعبر الغضب. لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكشف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها في ما بعد» [إش:٢٦]

البيان:

من هي الأمة الباردة الحافظة الأمانة؟ من هو ذو الرأي الممكن؟

ثم قال إشعياء لبني إسرائيل: «هلم يا شعبي. ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك» لماذا؟ «حتى يعبر الغضب» لأن الشعب الآتي وهم بنو إسماعيل سيحاربون شعب بني إسرائيل الكافرين بمحمد ﷺ في «يوم الرب» والرب سينصرهم.

وقال داود عليه السلام: إن شعب بني إسماعيل لأن أم إسماعيل جارية مصرية اسمها هاجر؛ هو شعب محتقر في نظر شعب اليهود. وشبهه بالحجر المرفوض من البنائين. وقال: إنهم قد رفضوه، وسوف يحتاجون إليه ليضعوه في رأس الزاوية.

ولما تكلم المسيح عيسى عليه السلام عن نزع الملكوت من اليهود إلى أمة أخرى. والمعنى نزع الملك ونسخ التوراة على يد محمد ﷺ استاء علماء بني إسرائيل من قوله هذا وطلبوا قتله. فقال لهم: لماذا تستاءون من كلامي؟ أليس هذا هو ما قاله داود في سفر الزبور؟

وقال المسيح: إن هذا الحجر ليس حجرا صغيرا وإنما هو حجر كبير صلد. إذا وقع على قوم؛ أهلكهم. وإذا ارتطم به قوم؛ هشمهم. وعلى ذلك فلا فائدة تعود عليكم من رفض محمد إذ الهلاك على يديه.

وهذا هو النص من الأصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متى:

«اسمعوا مثلا آخر: كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا: يهابون ابني.

وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ

http://www.al-maktabeh.com

ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يُعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب «الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا»؟ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر؛ يترضض ومن سقط هو عليه؛ يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله؛ عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي» [متى:٢١]

مبارك الآتي باسم الرب:

قول داود في هذا المزمور عن النبي الآتي: «مبارك الآتي باسم الرب» يدل على أنه لا يعني نفسه وإنما يعني غيره. وقوله «باسم الرب» هو إشارة إلى قول موسى عن النبي الآتي من بعده: إنه سيأتي باسم الرب [تث ١٨:١٥-٢٢]

وقال المسيح عيسى عليه السلام: إن الآتي باسم الرب سيأتي بعده. ذلك قوله في الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى[1]: «إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب»

* * *

(١) وهذا هو نص الأصحاح الثالث والعشرين بتمامه:

«حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس. فيعرِّضون عصائبهم ويعظِّمون أهداب ثيابهم. ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع. والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي. وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا إخوة. ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات. ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح. وأكبركم يكون خادما لكم. فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع. لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدّام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل. ولعلّة =

مكتبة المهتدين الإسلامية

«أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح»:

معناه: بيان طريقة تقديم الذبيحة في المذبح. وهو أن الذبائح تأتي من بلاد بعيدة إلى مكان المذبح، وتتوقف عن السير، وتربط في قرون المذبح حتى يحين موعد أجلها.

ويقول المفسرون: إن هذا المذبح بجوار هيكل سليمان في أورشليم، ويسمى بمذبح المحرقة. وقد بينا من قبل: أنه هو المذبح الذي بناه نوح عليه السلام من بعد الطوفان،

=تطليون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا. ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء. ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب؟ومن حلف بالمذبح فليس بشيء. ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم؟ أيها الجهال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذي يقدس القربان؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصفحة وهما من داخل مملوآن اختطافا ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نق أولا داخل الكأس والصفحة لكي يكون خارجهما أيضا نقيا. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين. وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل.

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خرابا. لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» [متى: ٢٣]

http://www.al-maktabeh.com

وأصعد عليه محرقات طاهرة. ثم إن الناس من بعده قد ارتحلوا شرقا إلى أرض شنعار، التي هي أرض العراق. وهذا يدل على استقرار السفينة في جبل الجود والكرم في مكة. لأنها لو كانت قد استقرت على «أراراط» لكان يصرح بقوله: ارتحلوا غربا. فالكعبة التي هي بحسب لسانهم المذبح؛ هي البيت العتيق.

* * *

أما عن أصحاب محمد رسول الله ﷺ في هذا الزبور: فإنهم موصوفون بالصديقين «افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصدِّيقون يدخلون فيه» ووصف داود عليه السلام اليهود بقوله: «ليس في أفواههم صدق» ويشر أتباع النبي الأمي فقال: «وابتهجوا يا أيها الصديقون» [مز ٣٢:١١] ووعدهم بإرث الأرض: «الصديقون يرثون الأرض» [مز ٣٧:٢٩] وقال: إن الله يحوطهم بعنايته: «عينا الرب نحو الصديقين» [مز ٣٤:١٥] وفي القرآن الكريم يصف الله محمدا وأصحابه بقول: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وقال عن أصحابه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وقال إنه رضي عنهم ورضوا عنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

وقد اندس في المسلمين منافقون من علماء اليهود. وتظاهروا بالإسلام، وكتبوا عن أصحاب محمد رسول الله كلاما سيئا. وفرقوا بين صحابي وصحابي. فقالوا: هذا كان ظالما لفاطمة بنت النبي ﷺ ومنعها ميراثها من أبيها. وهذا كان باب العلم. وكتبوا أن الصحابة قد شتم بعضهم بعضا وغير ذلك من الأباطيل التي انخدع بها السذج. وانقسموا بها إلى طوائف وملل ونحل. كيف يصح للمسلمين أن يصدقوا ما يشين صحابيا. وقد وصفهم الله في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن بأنهم من المصطفين الأخيار؟ إن من يشتم صحابيا إما أن يكون كافرا ومتظاهرا بالإسلام، وإما أن يكون سفيها ووقحا لا يبالي بالله ورسوله.

مكتبة المهتدين الإسلامية

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾

المزمور ٦٦:

«اهتفي لله يا كل الأرض. رنموا بمجد اسمه. اجعلوا تسبيحه ممجدا. قولوا لله: ما أهيب أعمالك. من عظم قمتك تتملق لك أعداؤك. كل الأرض تسجد لك وترنم لك. ترنم لاسمك. سِلاَه.

هلم انظروا أعمال الله. فعله المرهب نحو بني آدم. حوَّل البحر إلى يبس وفي النهرَ عبروا بالرجل. هناك فرحنا به. متسلط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأمم. المتمردون لا يرفعن أنفسهم. سلاه.

باركوا إلهنا يا أيها الشعب وسمعوا صوتَ تسبيحه. الجاعل أنفسنا في الحياة ولم يسلم أرجلنا إلى الزلل. لأنك جربًّتنا يا أالله. محصتنا كمحص الفضة. أدخلتنا إلى الشبكة. جعلت ضغطا على متوننا. ركبت أناسا على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب.

أدخل إلى بيتك بمحرقاتٍ، وأوفيك نذوري. التي نطقت بها شفتاي، وتكلم بها فمي في ضيقي. أصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباشٍ. أقدم بقرا مع تيوس. سلاه.

هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي؛ صرخت إليه بفمي وتبيجل لساني. إن راعيت إثما في قلبي لا يستمع لي الرب. لكن قد سمع الله. أصغى إلى صوت صلاتي. مبارك الله الذي لم يبعد صلاتي ولا رحمته عني»

[مزمور: ٦٦]

البيان:

إن هذا المزمور يتكلم فيه محمد ﷺ بظهر الغيب عن نفسه. وينقل كلامه إلى الناس داود عليه السلام ذلك لقوله: «هلم اسمعوا. فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي صرخت إليه بفمي وتبجيل لساني. إن راعيت إثما في قلبي؛ لا يستمع لي الرب. لكن قد سمع الله. أصغي إلى صلاتي»

وأشار بقوله: «اهتفي لله يا كل الأرض» إلى فرح جميع الشعوب به؛ لأن دعوته

http://www.al-maktabeh.com

عالمية، وسوف تنضم الشعوب إلى شعبه. كما قال موسى في نشيده عنه: «تهللي أيتها الأمم مع شعبه» بحسب النص اليوناني [تث ٣٢:]

وأشار بقوله: «رنموا بمجد اسمه» إلى النبي ﷺ وذلك لأن موسى قال لبني إسرائيل: إن نبيا سوف يرسله الله إليكم ليقيم الدين. وهذا النبي سوف يأتي باسم الله «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطالبه» [تث ١٨:١٩]

وأوضح داود من صفاته: أنه سوف ينتصر على أعدائه الكافرين به «من عظم قوتك تتملق لك أعداؤك» وقال: إن جميع الأمم ستخضع لشريعته «كل الأرض تسجد لك، وترنم لك» وبين أن الذين سيخضعون لشريعته هو النبي الأمي الآتي باسم الله «ترنم لاسمك» ويقول المفسرون: إن صيغة الأفعال هي صيغ للمستقبل؛ لأنه وعد لايزال ينتظر التحقيق.

ثم تكلم عن مظاهر قدرة الله. وبعدها قال: «باركوا إلهنا يا أيها الشعوب..» وأوضح ١ ـ ما حدث في زمانه ٢ ـ وما سيحدث في زمانه. فقال: إن في زمان ما قبل النبي الآتي كان اليهود تحت نفوذ الأجانب وتسلطهم. وفي زمان النبي الآتي سيكون من يؤمن به في سعة من العيش. ذلك قوله: «ثم أخرجتنا إلى الخصب»

وقال محمد ﷺ: «أدخل إلى بيتك بمحرقات» أي أصطحب معي حيوانات سمينة وطاهرة لأذبحها ولأحرقها على المذبح الذي أسسه نوح وجدده إبراهيم ـ حسب لسان أهل الكتاب ـ والإبل ليست من ﴿الْبُدْنَ﴾ لأن أكلها محرم في التوراة. وحللت في القرآن. وقال: «أوفيك نذوري» وكرر هذا المعنى. ففي المزمور ١١٦: «أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه» ـ «فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو. أوفي نذوري للرب مقابل شعبه، في ديار بيت الرب»

وبين أن المحرقات سمينة لا هزيلة بقوله: «أصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباش. أقدم بقرا مع تيوس» محرقات سمينة من البقر. ودل بالبدن على الذكور من البقر وأيضا كباش الغنم وتيس الماعز. ولم يذكر البدن من الإبل. أي السمينة؛ لأن الإبل محرم أكلها في التوراة. ولا تقدم الإناث في القرابين؛ لأن البدن جمع بدين لا جمع بَدِينَة. ويقول المفسرون: إن المتكلم في هذا المزمور هو داود ويتكلم عن

مكتبة المهتدين الإسلامية

نفسه. وعلى قولهم هذا ـ وهو قول باطل ـ يلزم أن داود كان يوفي النذر في الكعبة البيت الحرام؛ لأن فلسطين لم يُعين فيها موضع حج إلا من بعد موته. وهو قد كتب شعائر حجه في الزبور. والصحيح: أن المتكلم عن نفسه هو محمد ﷺ بظهر الغيب. والدليل على ذلك: أنه في المزمور ٢٢ يقول محمد ﷺ عن نفسه: «أوفي بنذوري قدام خائفيه. يأكل الودعاء ويشبعون» وفي ترجمة: «يأكل البائسون»

ومفسرو الزبور متفقون بلا خلاف بينهم على أن هذا المزمور يتكلم عن المَسيّا الآتي. وذلك لأن «بُولس» في الرسالة إلى العبرانيين قد طبّقه على «المسيا» بقوله: «لأن المقدس والمقدسين جميعهم واحد. فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة قائلا: «أخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبحك» [عب ٢:١١-١٢] يشير إلى المزمور ٢٢:٢٢ و٢٥ والنص المقتبس هو: «أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبحك. . من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدام خائفيه. يأكل الودعاء فيشبعون»

والمسيا هو المسيح وهو بحسب لسانهم محمد رسول الله. لا المسيح عيسى بن مريم كما يزعم بولس. ومعنى هذا: أن المزمور ليس لداود وإنما هو للنبي الأمي الآتي.

التطابق مع القرآن الكريم:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ قوله ﴿الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ هو المعبر عنه: «يأكل الودعاء فيشبعون» وفي ترجمة: «يأكل البائسون» وفي ترجمة «المساكين» ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وقد ذكرنا ما يدل على ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

* * *

وفي المزمور ١٤٥ يقول النبي لله بظهر الغيب: «وبعظمتك أحدّث»

والنص هو:

«أرفعك يا إلهي الملك، وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد. في كل يوم أباركك،

http://www.al-maktabeh.com

وأسبح اسمك إلى الدهر والأبد. عظيم هو الرب وحميد [1] جدا، وليس لعظمته استقصاء. دور إلى دور يسبح أعمالك وبجبروتك يُخبرون. بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج. بقوة مخاوفك ينطقون، وبعظمتك أحدث. ذكر كثرة صلاحك؛ يبدون، وبعدلك يرنمون.

الرب حنان ورحيم، طويل الروح وكثير الرحمة. الرب صالح للكل، ومراحمه على كل أعماله. يحمدك يا رب كل أعمالك، ويباركك أتقياؤك. بمجد ملكك ينطقون، وبجبروتك يتكلمون، ليعرفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال ملكك. ملكك ملك كل الدهور، وسلطانك في كل دور فدور. الرب عاضد كل الساقطين، ومقوم كل المنحنين. أعين الكل إياك تترجى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتشبع كل حي رضي. الرب بار في كل طرقه، ورحيم في كل أعماله. الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق. يعمل رضي خائفيه، ويسمع تضرعهم، فيخلصهم. يحفظ الرب كل محبيه، ويهلك جميع الأشرار. بتسبيح الرب ينطق فمي، وليبارك كل بشر اسمه القدوس إلى الدهر والأبد» [مزمور:١٤٥]

البيان:

هذا المزمور مزمور أبجدي. Acrostie تبدأ كل آية منه بحرف من حروف أبجد - هوز... إلخ. مثل المزمور ١١٩ . وقد جاء مثل هذا في القرآن الكريم فالحروف المقطعة في أوائل السور. وهي ﴿الٓمٓ﴾... إلخ قال الله بعد ذكر ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ﴾ قال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذه الحروف الأبجدية ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهذا من نبي أمي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؛ يدل على أن الله هو الذي اصطفاه نبيا وعرفه طريقة الوحي عند أهل الكتاب. ومثله: مزمور ٩، ١٠ و٢٥ و٣٤ و٣٧ و١١١ و١١٢ و١١٩ و١٤٥ وسفر الأمثال ٣١: ١٠ - ٣١ ومراثي إرمياء ٣

ويقول المفسرون: «وهنا يوجد حرف واحد من الأبجدية العبرية ناقصا وهو حرف النون في النص العبري القياسي للمزمور، لكن معظم التراجم القديمة، وكذلك نص

(١) ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾

مكتبة المهتدين الإسلامية

قُمران يمدوننا بالآية الناقصة التي تضيفها الترجمات الحديثة في أعقاب الآية ١٣ أي المقطع الذي يبدأ بالقول «الرب عاضد كل الساقطين» إما كتكملة للآية ١٣ أو كبداية للآية ١٤ كما في الترجمة العربية» أ.هـ

ويقول المفسرون: إن هذا المزمور لداود نفسه، وينطبق عليه هو نفسه. فماذا يقولون في قوله: «يحفظ الرب كل محبيه. ويُهلك جميع الأشرار»؟ في أي زمن يكون الحفظ، ويكون هلاك جميع الأشرار؟ إن يكون في «يوم الرب» على يد أصحاب رسول الله ﷺ صاحب «البيت» وقد تطابق هذا المزمور مع القرآن الكريم في قوله آيات منها «الرّب حنّان ورحيم» ﴿ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ «الرب قريب لكل الذين يدعونه. الذين يدعونه بالحق يعمل رضي خائفيه ويسمع تضرعهم؛ فيخلصهم. يحفظ الرب كل محبيه ويهلك جميع الأشرار» ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ـ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

* * *

http://www.al-maktabeh.com

بَكَّة

في

سفر الزبور

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

نص المزمور ٨٤:

«ما أحلى مسكنك يا رب الجنود! تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي. العصفور أيضا وجد بيتا، والسنونة عشا لنفسها حيث تضع أفراخها، مذابحك يا رب الجنود، ملكي وإلهي.

طوبى للساكنين في بيتك أبدا. يسبحونك. سلاه. طوبى لأناس عِزّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم عابرين في وادي البكاء، يصيرونه ينبوعا. أيضا ببركات يغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يُرون قدام الله في صهيون.

يا رب إله الجنود، اسمع صلاتي، وأصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا أ الله، والتفت إلى وجه مسيحك. لأن يوما واحدا في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار. لأن الرب، الله، شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجدا. لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال. يا رب الجنود، طوبى للإنسان المتكل عليك».

البيان:

يتكلم النبي الآتي بظهر الغيب عن نفسه. فيقول: إنه يحب السكن في بيت الله، وهي أمنية غالية يتمناها. وقد كررها عن نفسه في قوله: «واحدة سألت من الرب، وإياها ألتمس؛ أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي..» [مز ٢٧: ٤] وأتباعه من بعده سيتفرقون في الأرض، وسيبنون لله مساكن. وهو يعني بسكن الله: استقرار شريعته فيها إلى يوم القيامة. وهو هنا يقول: «مساكنك» بصيغة الجمع بعدما قال قبلا بصيغة المفرد. وقال: إنه يشتاق إلى الحج «متى أجيء وأتراءى قدام الله» [مز ٤٢: ٢] كما يشتاق الإيّل إلى جداول المياه. وأتى بالتشبيه ليظهر أن أرض التراثى أرض غير ذي زرع. والكلمة العبرانية المترجمة ههنا بالهتاف تتضمن في أصلها معنى «الصياح

مكتبة المهتدين الإسلامية

بصوت عال» للتسميع بصوت الحمد. وأشار بالإله الحي إلى بئر الحي الرائي. وهو «بئر لَحي رئي» ليبين أنه يتكلم في هذا المزمور عن مكان الحج. والتراثي قدام الله: تعبير عن مكان حج. يريدون أن ينظر الله إليهم نظر رحمة. وكرر هذا المعنى في المزمور ٤٢ في قوله: «عطشت نفسي إلى الله. إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله» وأشار بالعطش إلى بئر زمزم الذي هو بئر لحي رئي، وأشار بالترائى إلى مكان الحج.

ويدل قوله إن العصفور أيضا وجد بيتا مع الحجاج؛ على أن البيت الذي يحجون إليه ليس مهجورا من الطائفين والعاكفين والركع السجود. وأنه كما أن الحجاج آمنون على أنفسهم؛ كذلك أضعف الطيور آمن على نفسه. والسنونة. وفي ترجمة «اليمامة» تجد الأمن أيضا عند الكعبة. وعبر بذلك ليدل على أن الله جعل مكة حرما آمنا. فإنه إذا كان الأمن للطير مصرحا به؛ فإن المقيمين عنده يكونون آمنين.

وقال النبي بظهر الغيب لله: «طوبى للساكنين في بيتك أبدا» وفسر السكن بأنه للتسبيح بقوله: «يسبحونك» والغرض من التسبيح: «تعظيم الشريعة والعمل بها. وقد كرر هذا المعنى في المزمور ٦٥ فقال: «طوبى للذي تختاره وتقربه ليسكن في ديارك. لنشبعن من خير بيتك. قدس هيكلك» وفي ترجمة «هيكلك المقدس» [٦٥:٤]

«طوبى لأناس عزهم بك»

إن محمدا ﷺ عزّ لبني إسماعيل شعبه. وليس عزا للكافرين به من اليهود. وذلك لأن داود لما تكلم عنه. تكلم عن شعبين. شعبه الذي سيخرج منه، وشعب اليهود الذي سيلحق بهم في الإيمان به إذا أراد العز لنفسه معهم. ومما يدل على أن العز لبني إسماعيل: قوله في المزمور ٢٨: «الرب عزّ لهم. وحصنُ خلاص مسيحه؛ هو. خلِّص شعبك وبارك ميراثهم وارعهم واحملهم إلى الأبد» [مز ٢٨:٨-٩]

«طرق بيتك في قلوبهم»

الكعبة البيت الحرام من يعرف طرقها؟ أهل مكة أدرى بشعابها. والذين لهم العزة هم أهل مكة الذين يحفظون طرق البيت في قلوبهم، ويدلون الحجاج إلى البيت. هؤلاء الآتين يعبرون في «وادي البكاء» ليصلوا إلى البيت الحرام. فههنا مكانان في

http://www.al-maktabeh.com

النص ١ ـ وادي البكاء. الذي يعبرونه ٢ ـ إلى الكعبة. والدليل على أن العبور للكعبة: قوله: «اختـرت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خـيام الأشرار» فقد جعل عبوره إلى بيت إلهه، وفضله على السكن في ديار اليهود الأشرار.

«وادي البكاء»

ووادي البكاء. يترجم فـي اللغة الانجليزية كـاسم علم على مكان هكذا: «Baca» الباء كابيتل. أي «مكة»

وذلك لأنهم بعد أن يكتـمل جمعـهم في «عرفات» يتـجهون إلى جبل الرحـمة. وعنده يكون جـميعـا بصوت مرتفع ويضـجّون بالبكاء. على خطايـاهم التي جاءوا نادمين عليها، وعـبر عن كثرة بكائهم بأنهم قد ملأوا الوادي مـاء. على سبيل الكناية «يصيرونه ينبوعا»

«يذهبون من قوة إلى قوة»

من بعد بكائهم الغزير على عرفات. يتجهون إلى «الكعبة» وعبر عن الكعبة بقوله: «يُرون قدام الله» إذ الترائى لا يكون إلا في موسم الحج.

وقوله «من قوة إلى قوة» مـعناها في النص العبراني: من مكان إلى مكان. أي من مكان معدّ للإقامة وحوله سور. شأنه شأن المدن المسورة. إلى مكان بعده معد للإقامة وحوله سور.

وقوله «يُرون قـدام الله في صهـيون» قوله في «صـهيون» تحـريف. لأن الحج عند كعبـة مكة. بدليل: أنه في زمان إبراهيم عليه السلام «دُعيت البـئر بئر لَحْي رئي» أي بئر الحي الرائي. وأنهـا حضرت مـوسمين للحج «أههنا أيضـا رأيت بعدُ رؤية»؟ ولما فدى الله الذبيح بكبش عظيم «دعا إبراهيم اسم ذلك المـوضع يَهْوَه يَرَاه. حتى أنه يقال اليوم: في جـبل الرب يُرى» وجبل الرب: هو جبل مكة من زمـان إبراهيم، لا جبل صهيون ولا جبل جرزيم.

«أيضا ببركات يُغطّون مورة»

وفي ترجمة: «وأيضا ببركات يكسبه المطر المبكر»

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفي ترجمة الفروجاتا والتوراة السبعينية: «ومعطي الناموس سيعطي البركات» ويقول المفسرون: إن كاتب المزمور يتلاعب بأسماء المعالم الهامة لطريق الحجاج. وقولهم صحيح. وذلك لأنهم يعرفون طرق البيت في قلوبهم. ومعرفتهم للطرق تدل على كثرة سنين الحج للوقوف أمام الله لينظر إليهم نظر رحمة. وفي الوقت الذي كان فيه داود على قيد الحياة، لم يكن جبل صهيون قد تعين للحج، ولم يكن الهيكل قد تأسس بعد. إذ هو ـ في زعمهم ـ قد جعل للحج بعد موت داود.

ولما كانت ضجة البكاء في عرفات، ولما كانت كلمة «أيضا» تدل على ثان شبيه بالأول؛ يكون قوله «وأيضا ببركات يغطون مورة» يدل على ضجة بكاء عند «المروة» التي حرفها بقوله «مورة» وعبر عن كثرة البكاء بطريق الكناية في عرفات بقوله: «يصيرون ينبوعا» أي أنه ينشئ ينبوعا في أرض قاحلة. وعبر بقوله «يغطون مورة» على أن «مورة» ليست أرضا قاحلة وإنما فيها ماء ينبع من بئر لحي رئي وهو بئر زمزم، وبكاؤهم الغزير من غزارته يغطي ماء زمزم. أما بكاؤهم عند جبل الرحمة فإنه لا يغطي على بئر، وإنما هو كناية عن إنشاء ينبوع.

ومفسرو الزبور يقولون: إن معنى «مورة» معلم الناموس. فإن التوراة السبعينية والفولجاتا تترجم بأن الله الذي نزل الكتاب سيعطي البركات. وهذا يدل على أن الحجاج ينحدرون إلى الكعبة من جبل عرفات؛ لأن شريعة النبي الآتي ستظهر في مكة عند البيت الذي يُرون قدام الله فيه؛ ويدل أيضا على أن هذا المزمور يتكلم عن النبي الآتي الذي سيعطيه الله الناموس.

والمفسرون لا يصرحون بأن هذا المزمور يتحدث عن محمد ﷺ وفيه كلام يدل على أن المزمور يتحدث عنه .ومن ذلك: قوله بظهر الغيب: «يارب إله الجنود اسمع صلاتي.» وقوله لله «يا مجننا» أي سندنا وعوننا في الحروب. «انظر يا ألله، والتفت إلى وجه مسيحك» أي انصر المسيح الذي هو بلسانهم محمد رسول الله. وداود ليس هو المسيح المنتظر. وقولهم بأنه يتحدث عن مسيح سيأتي من نسل داود. هو قول يدل على أن المزمور نبوءة عن النبي الآتي، لا عن داود نفسه. فلماذا يقولون: إنه يدل على داود نفسه؟

http://www.al-maktabeh.com

ثم قال النبي الآتي عن نفسه بظهر الغيب: «لأن يوما واحدا في ديارك خير من ألف» لم يقل ألف سنة ولا ألف يوم ولا ألف شهر. وفي ترجمة: «إن يوما واحدا أقضيه داخل ديارك خير من ألف يوم خارجها»

وقال النبي لله: «اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» إنه يظهر بهذه العبارة أن بيت الله أفضل من البيوت التي سيبنيها اليهود الأشرار. وإنه فضل الحج إليه مع فقره أو تواضعه على الحج إلى غيره مع غناه واستكباره. ولذلك جاء في بعض التراجم: «اخترت أن أكون بوابا في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» أي خدمتي في بيت الله خير من أن أكون مالكا لبيت وسط بيوت اليهود.

* * *

تطابق مزمور بكة Baca
مع القرآن الكريم:

بعدما ذكر الله مناسك الحج في سورة الحج. ومنها قضاء التفث - أي الطهارة - والوفاء بالنذر. والطواف بالكعبة. قال ما معناه: إننا أنذرنا اليهود بعذاب في يوم الرب في معركة هَرْمَجَدُّون، في سفر يوئيل وسفر الرؤيا وغيرهما إذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ولن نخلف وعدنا بإرسال محمد ﷺ ولا بالعذاب. ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ وأتى بالتمييز سنة.

وعبر المسيح عيسى عليه السلام عن معركة العذاب هذه بمعركة الساعة وقال: إنها ستأتي بغتة «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد..» وقال الله عن معركة الساعة هذه: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾

وقال عن هذا كله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

وقال لليهود: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾

مكتبة المهتدين الإسلامية

يريد أن يقـول: كنتم يا بني إسرائـيل أمواتا من قـبل نزول التوراة؛ فـصرتم بهـا أحيـاء. ثم يميتكم عن شـريعة مـوسى. أي ينسخهـا فتكونون في وقت تركـكم لها كالأموات. ثم يحـييكم بشريعة القرآن إن أردتم الحيـاة لا الموت. والحياة والموت ههنا مجاز عن معرفة الشريعة والعمل بها كما يقول تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ كنتم أمواتا من قبل موسى فأحياكم بشريعته، ثم يميتكم عنها، ثم يحييكم بالقرآن. ثم إليه ترجعون في الدار الآخرة.

* * *

http://www.al-maktabeh.com

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾

نص المزمور ٤٦ :

«الله لنا ملجأ وقوة، عونه متوافر لنا دائما في الضيقات. لذلك لا نخاف ولو تزحزحت الأرض وانقلبت الجبال إلى قلب البحار. تهيج وتزبد مياهها، تتزلزل الجبال من عنف جيشانها.

تفرح مدينة الله حيث مساكن العلي بنهر دائم الجريان. الله في وسط المدينة فلن تتزعزع. يعينها الله في الفجر المبكر. ماجت الأمم وهاجت، فتزلزلت الممالك، ولكن ما إن دوى بصوته حتى ذابت الأرض. رب الجنود معنا، ملجأنا إله يعقوب.

تعالوا وانظروا أعمال الله الذي صنع عجائب في الأرض يقضي على الحروب في الأرض كلها. يكسر القوس ويشق الرمح، ويحرق المركبات الحربية بالنار. استكينوا واعلموا أني أنا الله، أتعالى بين الأمم وأتعالى في الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب».

البيان:

يتكلم النبي الآتي بظهر الغيب عن نفسه فيقول: «الله لنا ملجأ وقوة» أي أنه سينصرني في الحروب على أعدائي. ولذلك لا أخاف من أعدائي.

وتكلم عن كثرة الخيرات في «مدينة الله» في زمن ظهوره. فقال: «نهر سواقيه تفرح مدينة الله. مقدس مساكن العلي»

ومدينة الله هي مكة المكرمة. وذلك لقوله: «عظيم هو الرب، وحميد جدا في مدينة إلهنا جبل قدسه» وجبل الرب هو جبل الكعبة الذي أراد إبراهيم أن يقدم ابنه عليه. وقال عن بقاء ملكها إلى الأبد من ظهور محمد ﷺ :«في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا الله يثبتها إلى الأبد»

وبعدما تكلم عن مكة بقوله: «الله في وسطها فلن تتزعزع، يُعينها الله..» شرع في الكلام على خراب أراضي اليهود في الأيام الأولى لظهور محمد ﷺ في معركة يوم الرب، فقال: «كيف جعل خربا في الأرض، مسكّن الحروب إلى أقصى الأرض» - الأرض التي فيها المسجد الأقصى - يكسر القوس ويقطع الرمح، المركبات يحرقها

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالنار» ذلك كله في الأيام الأخيرة لملك بني إسرائيل وشريعتهم، وهي نفسها الأيام الأولى لظهور ملك بني إسماعيل وشريعتهم من محمد ﷺ

يقول مفسرو الزبور: ما نصه:

«الأعداد ٨ ـ ١١: الرب يتمجد في الأرض

هذا منظر للأشياء التي لابد ستحدث في الأيام الأخيرة، ورغم أن انتصارات الحاضر مقدمة لها.. والقول (هلموا) يستخدم عادة للنظر بالعين الباطنية كما يرى (الرائي) أو (النبي).

ورغم أن النتيجة هي (سلام) فإن العملية نفسها دينونة.. والكلمات المطمئنة (مسكن الحروب) لم توضع في قرينة (أو أسلوب) اقناع لطيف بل كمن يتكلم عن عالم مخرب تم نزع سلاحه عنوة (٨ و٩ب) [الكلمة العبرية المترجمة (مربكات) تعني عادة (عربات) ولما كانت الكلمة العبرية التي تعني (عربة) لها نفس الحروف المتغيرة التي للكلمة (دروع) عدا واحدا فإن بعض الترجمات قالت «الدروع يحرقها بالنار»] وهذه النتيجة تتفق مع هدوء الجانب البعيد من الدينونة ومع العهد الجديد أيضا (مثلا إش ٦: ١٠ ـ ١٣، ٩: ٥ دانيال ١٢: ١، ٢ بط ٣: ١٢و١٣).

العددين ١١و ١٢: وهكذا أيضا فإن النصيحة (كُفوا) أو (اسكتوا) ليست في المقام الأول (راحة) للمنزعج بل هي توبيخ للعالم القلق الهائج (سكوت) بل بالحقيقة (توقف).. وهي تشبه الأمر الذي صدر لبحر هائج آخر «اسكت، إبكم» مرقس٤: ٣٩.. والنهاية التي أمامنا موضحة بعبارات لا تتكلم عن آمال إنسان بل عن مجد (الله) ـ والتعبير (أنا أتعالى) كاف ليثير حنق المتكبرين، لكنه أيضا يثير أشواق وعزم المتواضعين (ارتفع اللهم على السماوات) مز ٥٧: ١١ ـ وأيضا ثقتهم المتجددة.. ويعود (القرار) بقوة أكبر.. طالما كان مثل هذا الإله معنا.. وكان هذا الرب الممجد المتعالى هو حصننا» (١)

وفي القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس ـ سفر المزامير ـ دار الثقافة بالقاهرة الجزء الأول ـ ص ٢٢٢ .

http://www.al-maktabeh.com

أي قال اليهود للنبي ﷺ :إن في كتبنا أنه إذا ظهر النبي المنتظر يكثر الله على المؤمنين به الخيرات. فلتظهر الآن هذه الخيرات لنرى ونؤمن بك. والذي في كتبهم هو سفر النبي عاموس. ونصه:

«ألستم لي يا بني إسرائيل مثل الكوشيين يقول الرب؟ ألم أخرج إسرائيل من ديار مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير. ها إن عيني الرب مسلطتان على المملكة الخاطئة لأمحوها عن وجه الأرض، إلا إني لن أستأصل بيت يعقوب قاطبة يقول الرب. أغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما تغربل الحنطة في غربال، فلا تسقط حبة على الأرض. ويموت جميع خطاة شعبي بالسيف ممن يقولون: لن يدركنا الشر أو يلقانا.

رد السبي

في ذلك اليوم أقيم مسكن داود الذي تهاوى، وأشد ثغراته وأعمر خرائبه وأعيد بناءه كالعهد به في الأيام الغابرة. لكي يرث إسرائيل، ما تبقى من أدوم وجميع الأمم التي دعي اسمي عليها، يقول الرب صانع هذه الأمور. ها أيام تأتي يقول الرب، يدرك فيها الحارث الحاصد، ودائس العنب باذر الحب، وتسيل الخمور الطيبة من كروم الجبال وتفيض بها التلال كلها. وأرد سبي شعبي إسرائيل فيعيدون بناء المدن الخربة ويسكنونها، ويزرعون كروما ويشربون من خمرها، ويغرسون جنات ويأكلن من ثمارها. وأغرس شعبي في أرضهم فلا يستأصلون ثانية أبدا من الأرض التي وهبتها لهم، يقول الرب إلهكم» [عاموس ٩:٧-١٥]

البيان:

يقول: إن الله ليس إلها لليهود فقط، وإنما هو إله لجميع الأمم. ورحمته ليست لليهود فقط، وإنما هي لجميع الأمم. وقسم اليهود إلى قسمين قسم خاطئ لن يؤمن بالنبي في آخر الأيام. وهذا القسم يهلك في يوم الرب «بالسيف يموت كل خاطئ» وقسم طائع لله وسيؤمن بالنبي حال ظهوره. وهذا القسم لن يهلك. وسوف يرى خيرا عظيما «ها أيام تأتي يقول الرب: يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب باذر الزرع، وتقطر الجبال عصيرا، وتسيل جميع التلال»

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقال عن الجنة التي من نخيل وعنب: «ويغرسون كروماً ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها»

* * *

http://www.al-maktabeh.com

﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

المزمور ٦٩ النص:

«خلصني يا أ لله، لأن المياه قد دخلت إلى نفسي. غرقت في حمأة عميقة، وليس مقر. دخلت إلى أعماق المياه، والسيل غمرني. تعبت من صراخي. يبس حلقي. كلت عيناي من انتظار إلهي. أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. اعتز مستهلكي أعدائي ظلما. حينئذ رددت الذي لم أخطفه.

يا الله أنت عرفت حماقتي، وذنوبي عنك لم تخف. لا يخز بي منتظروك يا سيد رب الجنود. لا يخجل بي ملتمسوك يا إله إسرائيل. لأني من أجلك احتملت العار. غطى الخجل وجهي. صرت أجنبيا عند إخوتي، وغريبا عند بني أمي. لأن غيرة بيتك أكلتني، وتعبيرات معيريك وقعت عليَّ. وأبكيت بصوم نفسي، فصار ذلك عارا عليَّ. جعلت لباسي مسحا، وصرت لهم مثلا. يتكلم في الجالسون في الباب، وأعاني شرابي المسكر.

أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضى. يا الله، بكثرة رحمتك استجب لي، بحق خلاصك. نجني من الطين فلا أغرق. نجني من مبغضي ومن أعماق المياه. لا يغمرني سيل المياه، ولا يبتلعني العمق، ولا تطبق الهاوية على فاها. استجب لي يا رب لأن رحمتك صالحة. ككثرة مراحمك التفت إليَّ. ولا تحجب وجهك عن عبدك. لأن لي ضيقا. استجب لي سريعا. اقترب إلى نفسي. فكفها. بسبب أعدائي افدني. أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي. قدامك جميع مضايقي. العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد. ويجعلون في طعامي علقما، وفي عطشي يسقونني خلا.

لتصر مائدتهم قدامهم فخا. وللآمنين شركا. لتظلم عيونهم عن البصر، وقلقل متونهم دائما. صب عليهم سخطك، وليدركهم حمو غضبك. لتصر دارهم خرابا، وفي خيامهم لا يكن ساكن. لأن الذي ضربته أنت هم طردوه، وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون. اجعل إثما على إثمهم، ولا يدخلوا في برك. ليمحوا من سفر الأحياء، ومع الصديقين لا يكتبوا.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما أنا فمسكين وكئيب. خلاصك يا الله فيلرفعني. أسبح اسم الله بتسبيح، وأعظمه بحمد. فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر قرون وأظلاف. يرى ذلك الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله. لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه. تسبحه السماوات الأرض، البحار وكل ما يدب فيها. لأن الله يخلص صهيون ويبني مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها. ونسل عبيده يملكونها ومحبو اسمه يسكنو فيها».

البيان:

الحمية: هي الغيرة. لقوله في سفر الأمثال: «لأن الغيرة هي حمية الرجل؛ فلا يشفق في يوم الانتقام» [أم ٦:٣٤]

وقد حكى داود عن محمد قوله بظهر الغيب لله: «لأن غيرة بيتك أكلتني، وتعبيرات معيريك وقعت علي» أي أخذتني الحمية على الكعبة بيت الله وأريد تطهيرها؛ لأن عهد الله مع إسماعيل يبدأ بي؛ لأني أنا صاحب الشريعة، والشريعة التي كانت من قبلي؛ كانت مع أصحاب البركة الأولى.

ولأن اليهود يريدون أن يكون النبي الآتي منهم؛ نسبوا الحمية إليهم، على اعتبار أن النبي الآتي - بزعمهم - سيكون منهم. ورد الله عليهم بقوله: إن حميتكم هي حمية الجاهلية الأولى؛ لأنكم عبدتم الأصنام، وزينتم بنساء الأمم، ونسبتم الزنا إلى الأنبياء المكرمين. أما النبي الآتي فإنه آت ليسلك بالكمال. وأما اليهود فإن داود يقول عنهم: «لم يحفظوا عهد الله، وأبوا السلوك في شريعته» [مز ٧٨:١٠]

* * *

http://www.al-maktabeh.com

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾

ويقول داود عن النبي الآتي:

«رحمة وحكما أغني لك يارب أرنم. أتعقل في طريق كامل. متى تأتي إليّ؟ أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي. لا أضع قدام عينيّ أمرا رديئا. عمل الزيغان أبغضت. لا يلصق بي. قلب معوج يبيد عني. الشرير لا أعرفه. الذي يغتاب صاحبه سرا. هذا أقطعه. مستكبرا العين ومنتفخ القلب؛ لا أحتمله. عيناي على أمناء الأرض؛ لكي أجلسهم معي. السالك طريقا كاملا؛ هو يخدمني. لا يسكن وسط بيتي عامل غش. المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عيني. باكرا أبيد جميع أشرار الأرض؛ لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم» [مزمور ١٠١]

البيان:

وصف النبي بالكمال.

وقال: «في وسط بيتي» والمراد به الكعبة. ونسب الكعبة إليه؛ لأنها بيت جده إبراهيم وجده إسماعيل. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ وفي أيام نوح عليه السلام كانت الكعبة منسوبة إلى نوح لأنه هو أول وضعها في الأرض وسماها مذبحا، ولأنه صاحب الشريعة ذلك قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ وقد كان مقيما بمكة عند الكعبة البيت الحرام. وأكد على أن الذي يحج إلى بيته يكون مؤمنا «لا يسكن في وسط بيتي عامل غش» وقال عن مكة إنها «مدينة الرب» ولم يكن في زمن داود مدينة للرب مقدسة إلا مكة.

وفي المزمور ٦٩ وهو مزمور مَسِّياوي يقول النبي لله: «خلصني» وعبر عن تآمر أعدائه به وحرمهم له بتعبيرات كنائية تدل على ضيقه وحزنه فقال: «لأن المياه قد دخلت إلى نفسي» وقال: إن أيام حزنه طويلة؛ لأن الله تمهل على اليهود رجاء أن يفيئوا إلى أمر الله «كلّت عيناي من انتظار إلهي» وقال إن أعداءه كثيرون جدا، وأنهم يحاربونه بلا سبب «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب»

وطلب النصر من الله «لا يخز بي منتظروك يا سيد رب الجنود»

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقال: إن اليهود من نسل إبراهيم الذي هو منه. وقد اعتبروني غريبا عنهم وقطعوا المودة «صرت أجنبيا عند إخوتي، وغريبا عند بني أمي» وفي هذا المعنى يقول الله لنبيه في القرآن الكريم أن يقول لليهود: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وقال إنه احتمل العار والخجل؛ لأنه يريد تطهير البيت الحرام. ولم يتمكن بعد من تطهيره. ولما أعلن عن ذلك وأبطأ في عمله بسبب إحاطة الأعداء إليه صار في خجل شديد؛ لأنه قال ولم يفعل. وعيره أعداؤه.

وطلب من الله النصر «استجب لي» وصور حالته تجاه أعدائه بأساليب كنائية فقال: «نجني من الطين فلا أغرق» وتضرع إلى الله بقوله: «التفت إليّ» وأشار إلى حصار أعدائه له حتى أنه جاع وعطش. وإذا وجد ما يأكله أو ما يشربه؛ يجده طعاما مرا، وماء ممزوجا بالخل. كناية عن فقره وهوانه.

ولذلك دعا على اليهود بقوله: «لتصر مائدتهم قدامهم فخا، وللآمنين شَرَكا» وبعدما دعا عليهم قال لله: «خلاصك يا الله فليرفعني» وسبح الله وعظمه وحمده. وقال: إن الله نصره على أعدائه «لأن الرب سامع للمساكين» وهنا حرف الكاتب. فوضع جبل صهيون مكان جبل مكة، ووضع مدن اليهود العبرانيين المعبر عنهم في النص بيهوذا مكان مدن الإسماعيليين. والدليل على تحريفه: أن مدن اليهود في أيام داود لم تكن قد هدمت. وذلك لأنها هدمت في سبي بابل سنة ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذ ناصر ملك بابل من بعد داود بنحو خمسمائة عام.

وقد أخذ المسيحيون هذا المزمور وطبقوه على المسيح عيسى عليه السلام. وذلك لأنهم كتبوا في إنجيل يوحنا:

«وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياما ليست كثيرة. وكان فِصح اليهود قريبا فصعد يسوع إلى أورشليم. ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما والصيارف جلوسا. فصنع سوطا من حبال وطرد الجميع من الهيكل. الغنم والبقر وكبَّ دراهم الصيارف وقلب موائدهم. وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا. ا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة. فتذكر تلاميذه أنه

http://www.al-maktabeh.com

مكتوب: «غيرة بيتك أكلتني» [يوحنا ٢: ١٢-١٧]

البيان:

إن المحرف نقل عيد الحج إلى الكعبة إلى أورشليم ولم يقل إنه عيد حج وإنما قال «عيد الفصح» وهو عيد خروج اليهود من مصر مع موسى عليه السلام

وقال: إن عيد الفصح كان في هيكل سليمان الذي جعلوه كعبة بدل كعبة مكة.

وقال: إن الباعث على الغيرة هو أن اليهود كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما في الهيكل أي الحيوانات والطيور التي ستكون محرقات للوفاء بالنذر، ووجد الصيارف يستبدلون النقود للحجاج. وأوحى بالصيارف إلى العلماء أنه يكذب عليهم؛ لأن عيد الفصح لليهود فقط، وهم لا يحتاجون فيه إلى تغيير دراهم أو دنانير. وإذ قال صيارف فإنه يعني بها حجاج قد أتوا من جميع أمم الأرض. وهم لا يأتون إلا لكعبة مكة.

وقوله إن المسيح صنع سوطا من حبال. وفي ترجمة «من أسل» وطرد الجميع من الهيكل هو قول باطل؛ لأن المسيح كان يخاف من اليهود. ونسب المحرفون إلى المسيح قول داود عن محمد ﷺ لله: «غيرة بيتك أكلتني» ونسوا أن المسيح لم يحارب ولم ينتصر. والنبوءة التي فيها: «غيرة بيتك أكلتني» تصف القائل بأنه سيحارب وسينتصر «صب عليهم سخطك وليدركهم حمو غضبك. لتصر دارهم خرابا وفي خيامهم لا يكن ساكن» ومحمد هو الذي حارب اليهود وخرب ديارهم وورث أرضهم وأخرجهم من ديارهم سبايا إلى جميع الأمم.

وقد طلبوا منه آية على أنه هو صاحب هذه النبوءة. فقال لهم: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه». وقال المحرفون إنه يعني بالهيكل جسده. أي أنه بعدما يقتل ويصلب، سوف يقوم من الأموات، وينتصر على الموت. فإذا قام وانتصر فذلك دليل على أنه هو صاحب هذه النبوءة. وهذا تحريف للنص بالتأويل الفاسد؛ لأن المسيح لم يقتل ولم يصلب.

والمسيحيون وضعوا تحريفا لهذا المزمور في سفر أعمال الرسل: وهو أنهم قالوا: إن يهوذا الإسخريوطي صارت داره خرابا. وأخذ من بعد انتحاره وظيفته رجل آخر هو

مكتبة المهتدين الإسلامية

منيّاس. ذلك قولهم: «رويت لك في كـتابي الأول، يا ثاوفيلس، جميع أعـمال يسوع وتعاليـمه، منذ بدء رسـالته. حـتى اليوم الذي ارتفع فـيه إلى السمـاء، بعدمـا قدم وصاياه، بالروح القدس، إلى الرسـل الذين اختارهم. وخلال فتـرة أربعين يوما بعد آلامه، ظهر لهم مرات عديدة، وأثبت لهم أنه حي ببراهين كثيرة قاطعة، وحدثهم عن ملكوت الله. وبينما كـان مجتمـعا معهم، قال: «لا تـتركوا أورشليم، بل ابقوا فـيها منتظرين إتمام وعد الأب، الذي سبق أن حدثتكـم عنه. فإن يوحنا عمد الناس بالماء؛ أما أنتم فستعمدون بعد أيام قليلة بالروح القدس».

صعود المسيح إلى السماء

وقد سـأله المجـتمعـون: «يا رب، أفي هذا الوقت تعـيد الملك إلى إسـرائيل»؟. فأجابهم: «ليس لكم أن تـعرفوا المواعيد والأوقات التي حـددها الأب بسلطته. ولكن حيـنما يحل الروح القـدس عليكم تنالون القـوة، وتكونون لي شهـودا في أورشليم واليهـودية كلها، وفي السامـرة، وإلى أقاصي الأرض». قال هذا وارتفع إلى السـماء بمشهد منهم. ثم حجبته سحابة عن أنظارهم.

وبينما هم يحدقـون إلى السماء وهو ينطلق إليها، إذا رجلان قـد ظهرا لهم بثياب بيض. وقالا لهم: «أيهـا الجليليون، لماذا تقفون ناظرين إلى السـماء؟ إن يسوع، هذا الذي ارتفع عنكم إلى السـماء، سيعود منها مثلما رأيتموه منطلقا إليها!»

اختيار خلف ليهوذا

ثم رجع الرسل إلى أورشليم من الجـبل المعروف بجبل الزيتـون، وهو بالقرب من أورشليم على مـسافة يجـوز قطعهـا يوم السبت. ولما وصلوا صـعدوا إلى غـرفة في الطبقة العليا كانوا يقيمـون فيها، وهم: بطرس ويوحنا، ويعقوب وأندراوس، وفيلبس وتوما، وبرثلماوس ومتى، ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور، ويهوذا أخو يعقوب. وكانوا جـميعا يداومون على الصلاة بقلب واحـد، ومعهم بعض النـسـاء، ومريم أم يسوع وإخوته.

وكان قـد اجتـمع ذات يوم نحـو مئـة وعشـرين من الإخوة فـوقف بطرس بينهم وخاطبـهم قائلا: «أيها الإخوة كـان لابد من أن تتم النبوءة التي قالهـا الروح القدس

http://www.al-maktabeh.com

بلسان النبي داود، عن يهوذا الذي انقلب دليلا للذين قبضوا على يسوع. وكان يهوذا يعتبر واحدا منا، وقد شاركنا في خدمتنا. ثم إنه اشترى حقلا بالمال الذي تقاضاه ثمنا للخيانة، وفيه وقع على وجهه، فانشق من وسطه واندلقت أمعاؤه كلها. وعلم أهل أورشليم جميعا بهذه الحادثة، فأطلقوا على حقله اسم «حقل دمخ» بلغتهم، أي حقل الدم. فتمت النبوءة الواردة في كتاب المزامير: لتصر داره خرابا، ولا يسكنها ساكن. وأيضا: ليستلم وظيفته آخر!. فعلينا إذن أن نختار واحدا من الرجال الذين رافقونا طوال المدة التي قضاها الرب يسوع معنا. منذ أن عمده يوحنا إلي يوم ارتفاعه عنا إلى السماء، ليكون معنا شاهدا بقيامة يسوع».

فرشح الحاضرون رجلين هما: يوسف الذي يدعى بارسابا ويلقب بيستس، ومتياس. ثم صلوا قائلين: «أيها الرب العارف قلوب الناس جميعا، بين لنا أي هذين الرجلين تختار ليشاركنا في الخدمة والرسالة بدلا من يهوذا الذي ذهب إلى المكان الذي يستحقه».

ثم ألقوا القرعة، فوقعت على متيّاس، فضموه إلى الرسل الأحد عشر. [اعمال ١: ١٥-٢٦]

موضع التحريف:

في نص المزمور ٦٩: «لتصر دارهم خرابا، وفي خيامهم لا يكن ساكن» والنص المحرف هو: «لتصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر» والتحريف واضح من صيغة الجمع التي تدل على خراب دور اليهود في الحروب وإخراجهم مسبيين إلى جميع الأمم، إلى صيغة المفرد التي تدل على نظر المحرف على «يهوذا الإسخريوطي»

وقوله: «وليأخذ وظيفته آخر» تدل على أن المحرف أخذ المزمور المائة والتاسع أيضا وطبقه على يهوذا، وليس هو ليهوذا، وإنما هو لليهود جميعا. على معنى أن وظائفهم الدينية قد أخذها المسلمون منهم؛ لأن التوراة قد نسخت بالقرآن. والدليل على أنها لليهود جميعا: أنه في نص المزمور ١٠٩ يتكلم بصيغة الجمع فيقول: «في الجيل القادم ليمح اسمهم» - «وليقرض من الأرض ذكرهم» - «وأنا صرت عارا عندهم.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ينظرون إليّ وينغضون الرأس» ولاحظ: أن ذلك سيكون في الجيل القادم. جيل النبي الأمي الآتي. لا في الجيل المعاصر لشريعة موسى.

* * *

http://www.al-maktabeh.com

مدينة الله في
أقاصي الشمال

نص المزمور ٤٨:

«ما أعظم الرب وما أجدره بالتسبيح في مدينة إلهنا، في جبل قداسته! . جبل صهيون جميل في شموخه. (هو) فرح كل الأرض حتى أقاصي الشمال. هو مدينة الملك العظيم. الله المقيم في قصورها معروف بأنه حصن منيع.

هوذا الملوك قد احتشدوا وعبروا معا. رأوا بيت الله فذهلوا. ارتاعوا وفروا. هناك اعترتهم رعدة فتوجعوا كامرأة في مخاضها. تحطم سفن ترشيش بريح شرقية. كما سمعنا رأينا في مدينة رب الجنود. مدينة إلهنا. حقا إن الله يثبتها إلى الأبد.

تأملنا يا الله في رحمتك في وسط هيكلك. تسبيحك يا الله مثل اسمك يبلغ أقاصي الأرض. يمينك ملآنة صلاحا. ليفرح جبل صهيون ولتبتهج بنات يهوذا من أجل أحكام قضائك.

جولوا في صهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها. تفرسوا في متاريسها وتأملوا قصورها لتخبروا بها الأجيال القادمة. لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد، وهو هادينا حتى الموت»

البيان:

في ترجمة: «الرب عظيم. وله التهليل في مدينة إلهنا. في جبله المقدس. الجميل الارتفاع، وبهجة كل الأرض. في أقصى الشمال»

«مدينة الله» تعبير ورد في مزمور ٤٦: ٤و٨٧: ٣ «قد قيل: بك أمجاد يا مدينة الله» لا يمكن أن تكون مدينة الله أورشليم. كما يزعم المفسرون؛ لأنها موصوفة في التوراة وفي الإنجيل بأوصاف سيئة. ومن كلام المسيح عيسى عليه السلام في وصف أورشليم: «ولما اقترب من أورشليم نظر إلى المدينة وبكى عليها. وقال: ليتك عرفت اليوم طريق السلام. ولكنه الآن محجوب عن عينيك. سيجيء زمان يُحيط بك أعداؤك بالمتاريس ويحاصرونك ويُطبقون عليك من كل جهة ويهدمونك عل أبنائك

مكتبة المهتدين الإسلامية

الذين هم فيك، ولا يتركون فيك حجرا على حجر؛ لأنك ما عرفت زمان مجيء الله لخلاصك» [لوقا ١٩: ٤١-٤٤]

يقول: إنها ليست مدينة السلام بل مدينة البلبلة، ولا تعرف طريق السلام أي أنها مدينة الخصام وسفك الدماء. ولذلك فإنه إذا ظهر النبي المنتظر فإنها ستهلك على يديه؛ لأنها ما استعدت لتعرف زمان مجيء نبي الله ليخلصها من سيطرة الأجانب، وانضمت إلى أعدائه وكفرت به.

وقال المسيح: إنها مدينة الدماء. ذلك قوله: «يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها..» [متى ٢٣: ٣٧ -]

وقال داود عليه السلام: إن مدينة الله في جبله المقدس. وجبله المقدس في أرض الجنوب وهو الذي قدَّم إبراهيم ابنه «حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يُرى» [تك ٢٢: ١٤] وفي هذا المزمور يقول داود: إن مدينة الله في أقصى الشمال. ومكة في جنوب فلسطين. فعندنا شمال وجنوب. الشمال فلسطين والجنوب مكة. وإبراهيم كان مقيما إقامة دائمة في أرض الجنوب [تك ١٣: ١]

وقال المسيح في إنجيل برنابا: إن محمدا سيظهر من أرض الجنوب [بر٩٦]

فمدينة الله تكون في مكة؛ لأنها في أقصى الشمال.

ويحدد إشعياء النبي أقاصي الشمال بقوله إن فيها جبل الاجتماع. الذي يجتمع عليه المؤمنون الذين هم مثل كواكب الله. وجبل الاجتماع هو جبل عرفات «وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السموات. أرفع كرسي فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال» [إش ١٤: ١٣] وقال داود: إن مدينة إلهنا في جبل قدسه. وهي مدينة الملك العظيم. فمن هو الملك العظيم؟ من المحتمل أن الملك العظيم: هو محمد رسول الله الذي سيظهر منها. وذلك لأن كل يهودي هو ملك في أيام شريعة موسى. إذ هو الحاكم بها على الأمم. كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني جعلكم سادة على الأمم للتمكين للشريعة. ولما نسخت الشريعة صار الشعب القائم بها هم الملوك. والنبي الآتي الذي أتى بها هو «الملك العظيم» ومن

http://www.al-maktabeh.com

المحتمل أن «الملك العظيم» هو الله. يريد أن يقول: مدينة إلهنا مدينة الملك العظيم. وقال داود: إن ملوك العالم سيجتمعون لحرب النبي الآتي ولكنه سيغلبهم «اجتمعوا. مضوا جميعا. لما رأوا بهتوا وارتاعوا. فروا»

وتكلم داود عن الكعبة باسم الهيكل بلغة آبائه. فقال: «ذكرنا يا الله رحمتك في وسط هيكلك» وقال: إن يمين الله ملآنة برا وعدلا. كناية عن شريعته التي ستكون في الجيل الآخر.

وأشار إلى هزيمة اليهود على يد النبي الآتي بقوله: «طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متارسها، تأملوا قصورها لكي تحدثوا بها جيلا آخر» أي اعرفوا قوة اليهود. لتخبروا الجيل الآتي بأنه لا فائدة منها.

* * *

مكتبة المهتدين الإسلامية

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾

المزمور ٤٢و ٤٣

النص:

«كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله؟ صارت لي دموعي خبزا نهارا وليلا إذ قيل لي كل يوم: «أين إلهك»؟. هذه أذكرها فأسكب نفسي علي: لأني كنت أمر مع الجماع، أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد، جمهور معيد. لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين في؟ ارتجي الله، لأني بعد أحمده، لأجل خلاص وجهه» [مزمور ٤٢]

المزمور ٤٣

«اقض لي يا ألله، وخاصم مخاصمي، مع أمّة غير راحمة، ومن إنسان غش، وظلم؛ نجني. لأنك أنت إله حصني. لماذا رفضتني؟ لماذا أتمشى حزينا من مضايقة العدو. أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك، وإلى مساكنك. فآتي إلى مذبح الله. إلى الله بهجة فرحي. أحمدك بالعود يا ألله إلهي.

لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيّ. ترجّي الله؛ لأني بعد أحمده. خلاص وجهي وإلهي» [مزمور ٤٣]

البيان:

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والمراد بالناس: اليهود خاصة. وهذا يدل على أن اليهود كانوا يحجون إلى الكعبة من قبل ظهور الإسلام.

وفي هذا المزمور يتكلم النبي محمد ﷺ عن نفسه بظهر الغيب. وداود النبي ينقل كلامه. فيقول: إنني مشتاق إلى الحج. كاشتياق الإيَّل إلى جداول المياه. وهو بهذا التشبيه يعرفنا إن رحلة الحج في مكان صحراوي يندر فيه وجود الماء. وقال: إنه كما يعطش الإيل، عطشت نفسه إلى الترائي أمام الله مع الحجاج عند كعبة مكة؛ لأن

http://www.al-maktabeh.com

المجيء والترائي يدلان على حج وطلب رحمة من الله. ولما طال الزمن به ولم يفتح مكة، وغار عليها مما يحدث فيها من المكاء والتصدية. وعيره أعداؤه بأن غير قادر على نزعها منهم؛ صور حالته بأسلوب كنائي فقال: «صارت لي دموعي خبزا. نهارا وليلا. إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك»؟ لينصرك ويحفظك. وقال: إنني أذكر هذا المعنى «فأسكب نفسي علي»أي أتذلل له طالبا منه تحقيق رجائي وإجابة دعائي. وقد كرر هذا المعنى فقال: «توكلوا عليه في كل حين يا قوم. اسكبوا قدامه قلوبكم. الله ملجأ لنا» [مز ٦٢:٨]

وبين السبب في غيرته على بيت الله بقوله: «لأني كنت أمر مع الجماع؛ أتدرج معهم إلى بيت الله بصوت ترنم وحمد» أي أنه كان يوجد مكان يتجمع فيه الناس من كل مكان وأنا فيهم. وكنت معهم أتدرج إلى بيت الله. أي أهبط إلى الكعبة. ونحن جميعا نهتف بصوت مرتفع ترنم فيه لله ونحمده. ولم يكن ذلك في كل يوم، بل كان في يوم عيد سنوي. هو عيد الحج «جمهور مُعيِّد»

وهذا هو ما يفعله الحجاج في مكة إلى هذا اليوم فإنهم يقفون على جبل عرفات، ثم يهبطون إلى الكعبة وهم يصيحون: «لبيك اللهم لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك لبيك» وهذا هو معنى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ورجع النبي ﷺ إلى تصوير حاله. فقال لله تعالى: «يا إلهي نفسي منحنية في» أي أنا حزين. لأني غير قادر على الحج كالمسالمين من الناس، وغير قادر على تطهير بيتك المحرم بسبب الذين كفروا من بني إسرائيل ويصدون عن المسجد الحرام. فأعني عليهم. وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وقد أشار بقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ إلى المزمور وفيه يقول النبي لله: «غيرة بيتك أكلتني» أي أن عنده الحمية والغيرة على بيت

مكتبة المهتدين الإسلامية

الله ويريد تطهيره وإرجاعه إلى عهد إبراهيم. وهم بقولهم إن النبي الآتي سيأتي منا. يكونون قد جعلوا الحمية في قلوبهم. وقد رد الله عليهم على سبيل مشاكلة الفكر للفكر بقوله: إن الحمية التي في قلوبكم هي ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ لأنكم تعبدون الأصنام من دون الله كما عبدها الوثنيون. وإلى عصر محمد أنتم تعبدونها. وفي المزمور المائة والسادس(١) ما يدل على أنكم قتلتم الموءودة إرضاء للأصنام.

وفي ترجمة: «ارتجى الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهي، وإلهي» وهي تدل على اثنين هما النبي والله.

وفي ترجمة: «فإني سأظل أحمده؛ لأنه عوني وإلهي»

وفي ترجمة: «مخلّصي هو، وإلهي»

والمعنى: ليخلصني من أعدائي وينصرني عليهم، وهذا الخلاص من أجل الله؛ لأن الشريعة له.

وصور النبي حالة ضعفه وكثرة مصائبه من اليهود فقال: «غمر ينادي غمرا عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمت عليّ» وذكر من أحواله أنه مع الله بالنهار وبالليل. وتضرع إلى الله بقوله: «لماذا نسيتني»؟ أي انصرني في الحروب على أعدائي، وبين أن النصر في الحروب بقوله: «لماذا ذهب حزينا من مضايقة العدو»؟

---

(١) المزمور ١٠٦:

النص: «صنعوا عجلا في حوريب، وسجدوا لتمثال مسبوك، وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب. نسوا الله مخلصهم، الصانع عظائم في مصر، وعجائب في أرض حام، ومخاوف على بحر سوف، فقال بإهلاكهم. لولا موسى مختاره وقف في الثغر قدامه ليصرف غضبه عن إتلافهم. ورذلوا الأرض الشهية. لم يؤمنوا بكلمته. بل تمرمروا في خيامهم. لم يسمعوا لصوت الرب، فرفع يده عليهم ليسقطهم في البرية، وليسقط نسلهم بين الأمم، وليبددهم في الأراضي. وتعلقوا ببعل فغور، وأكلوا ذبائح الموتى. وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوبأ. فوقف فينحاس ودان، فامتنع الوبأ. فحسب له ذلك برا إلى دور فدور، إلى الأبد.

وأسخطوه على ماء مريبة حتى تأذى موسى بسببهم. لأنهم أمروا روحه حتى فرط بشفتيه. لم يستأصلوا الأمم الذين قال لهم الرب عنهم، بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم. وعبدوا أصنامهم، فصارت لهم شركا. وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان. وأهرقوا دما زكيا، دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوا لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء. وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم.

http://www.al-maktabeh.com

وقال: إن أعداءه من كثرة مضايقاتهم له يقولون له في كل يوم: «أين إلهك»؟ أي أنه نبي كاذب؛ لأنه لو كان صادقا لنصره الله. وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم. ففي سورة ص: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾

وفي المزمور الثالث والأربعين:

يبين النبي أن «أمة غير راحمة» هي أمة اليهود. تعاديه وتحاربه ويقول الله: «أرسل نورك وحقك. هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك» وهذا دليل على أنه نبي سيهديه الله إلى جبله المقدس. وهو جبل الكعبة في مكة؛ لأن إبراهيم عليه السلام سماه جبل الرب. وقدّم ابنه عليه ذبيحة لله. وفداه بذبح عظيم «فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه. فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَ يراه. حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يرى» [تك ٢٢: ١٣-١٤]

وقال النبي لله: «فآتي إلى مذبح الله»

في أي مكان مذبح الله؟ في مكة؛ لأن نوحا عليه السلام بنى «مذبحا» بعد الطوفان، وأصعد عليه محرقات طاهرة [١]. ومن الذي سيأتي إلى مذبح الله ليطهره؟ أليس الله يقول: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ والعهد مع إسماعيل بالتطهير يبدأ من محمد ﷺ لأن التطهير من قبله كان فرضا على بني إسرائيل؛ لأنهم هم القائمون على بركة إسحق من موسى صاحب التوراة.

مزامير الحجاج

يقول كاتب «المشنا» ـ وهي الشروح عليها. يعرفون بالتلمود ـ: إن خمس عشرة

---

(١) مفسرو القرآن الكريم أخطأوا في قولهم إن ﴿الْبُدْنَ﴾ هي الإبل «وقال مجاهد: وإنما ﴿الْبُدْنَ﴾ من الإبل. قلت: أما إطلاق البدنة على البعير؛ فمتفق عليه». هذا في تفسير الشيخ ابن كثير الدمشقي.

ومعنى قوله: هو أنه نقل الاتفاق. والصحيح أن الإبل لكونها محرمة في التوراة؛ لا تكون من شعائر الله. فيكون القول الصحيح في ﴿الْبُدْنَ﴾ هو أنها البقر السمين وكباش الغنم السمينة وتيوس الماعز السمينة. وهي جمع بدن للذكر وليست جمع بدينة للأنثى.

مكتبة المهتدين الإسلامية

درجة تقود صاعدة من ساحة النساء إلى الدار الخارجية توازي ترانيم المصاعد الخمس عشرة. وقد اعتاد اللاويون أن يرغنوا هذه المزامير. ويقول المفسرون: والأرجح أن يكون العنوان يشير إلى مواكب الصعود إلى جبل الرب [إش ٣٠:٢٩] «تكون لكم أغنية. كليلة تقديس عيد وفرح قلب. كالسائر بالناي؛ ليأتي إلى جبل الرب» ويقول إشعياء: إنه في آخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة؛ سيكون جبل الرب ثابتا فوق الجبال. ومعلوم أنه في آخر أيام بني إسرائيل وبدء أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة؛ خربت أورشليم وملك المسلمون عليها، وأهلكوا الكافرين من اليهود بالنبي ﷺ فيكون جبل الرب على ما يشهد به التاريخ هو جبل مكة.

ونص كلام إشعياء هو:

«ويحدث[1] في آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك في سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب. فيقضي بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد.

حض بني إسرائيل على التوبة

يا بيت يعقوب، هيا لنسلك في نور الرب. فأنت يا رب قد نبذت شعبك، بيت يعقوب، فكثر بينهم العرافون من أبناء الشرق والمتنبئون كالفلسطينيين، وتعاهدوا مع الغرباء. امتلأت أرضهم فضة وذهبا، وكنوزهم لا نهاية لها، واكتظت بلادهم بالخيل، ومركباتهم لا تحصى. غصت أرضهم بالأصنام، وعبدوا صنعة أيديهم، وسجدوا لعمل أصابعهم. لذلك ينحط الإنسان، ويذل البشر، ولا تصفح عنهم.

اختفت في مغاور الجبال، واختبئ في حفر الأرض خشية من هيبة الرب ومن جلال مجده. فعيون البشر المتشامخة تخفض، وكبرياؤهم تذل، ويتعظم الرب وحده

(١) إشعياء ٢

http://www.al-maktabeh.com

في ذلك اليوم.

ضرورة الاتضاع

فإن للرب القدير يوما فيه يوضع كل متعظم ومتكبر ومتغطرس. ويسمو على أرز لبنان المتعالي الشامخ وعلى كل بلوط باشان، وعلى كل جبل أشم، وعلى التلال المرتفعة. وعلى كل برج عال، وسور حصين، وعلى كل سفن ترشيش، وعلى كل صنعة جميلة. فيعتري الهوان غطرسة كل إنسان، ويذل تشامخ البشر، ويتعظم الرب وحده في ذلك اليوم، وتباد الأصنام كلها، ويلجأ الناس إلى مغاور الجبال، وإلى حفر الأرض، متوارين من هيبة الرب ومن مجد جلاله، عندما يهب ليزلزل الأرض. في ذلك اليوم يطرح الناس للجرذان والخفافيش أوثانهم الفضية وأصنامهم الذهبية التي صنعوها ليعبدوها. ويدخلون في كهوف الصخر، وفي شقوق الجروف الجبلية هربا من هيبة الرب ومن مجد جلاله عندما يهب ليزلزل الأرض. كفوا عن الاتكال على الإنسان المعرض للموت؛ فأي قيمة له»؟ [إشعياء:٢]

* * *

والمزامير التي يقولون إن الحجاج كانوا يتلونها وهم صاعدون إلى جبل الرب في يوم الحج إلى الكعبة هي تدل على أن حج اليهود كان إلى الكعبة؛ لأن حجهم إلى فلسطين كان من بعد موت داود. وفي هذه المزامير ما يدل على أن سفر الزبور محرف في مدينة بابل أيام السبي من بعد سنة ٥٨٦ ق.م

وهأنذا أنقلها ههنا بنصها لأدلل بها على أن حج اليهود كان إلى مكة من قبل بناء هيكل سليمان الذي يُعرف بأنه «المسجد الأقصى»

المزمور ١٢٠

«إلى الرب في ضيقي صرخت فاستجاب لي. يا رب، نج نفسي من شفاه الكذب، من لسان غش. ماذا يعطيك وماذا يزيد لك لسان الغش؟ سهام جبار مسنونة مع جمر الرتم. ويلي لغربتي في ماشك لسكني في خيام قيدار! طال على نفسي سكنها مع مبغض السلام. أنا سلام، وحينما أتكلم فهم للحرب».

المزمور ١٢١

مكتبة المهتدين الإسلامية

«أرفع عيني إلى الجبال، من حيث يأتي عوني! معونتي من عند الرب، صانع السماوات والأرض. لا يدع رجلك تزل. لا ينعس حافظك. إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل. الرب حافظك. الرب ظل لك عن يدك اليمنى. لا تضربك الشمس في النهار، ولا القمر في الليل. الرب يحفظك من كل شر. يحفظ نفسك. الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر»

المزمور ١٢٢

«فرحت بالقائلين لي: «إلى بيت الرب نذهب». تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم. أورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها، حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب، شهادة لإسرائيل، ليحمدوا اسم الرب. لأنه هناك استوت الكَرَاسي للقضاء، كراسي بيت داود. اسألوا سلامة أورشليم: «ليسترح محبوك. ليكن سلام في أبراجك، راحة في قصورك». من أجل إخوتي وأصحابي لأقولن: «سلام بك». من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيرا»

المزمور ١٢٣

«إليك رفعت عيني يا ساكنا في السماوات. هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا. ارحمنا يا رب ارحمنا، لأننا كثيرا ما امتلأنا هوانا. كثيرا ما شبعت أنفسنا من هزء المستريحين وإهانة المستكبرين»

المزمور ١٢٤

«لولا الرب الذي كان لنا». ليقل إسرائيل: «لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا، إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا، إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا. إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية». مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم. انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر، ونحن انفلتنا. عوننا باسم الرب، الصانع السماوات والأرض»

المزمور ١٢٥

«المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون، الذي لا يتزعزع، بل يسكن إلى الدهر.

http://www.al-maktabeh.com

أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر. لأنه لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصديقين، لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم. أحسن يا رب إلى الصالحين وإلى المستقيمي القلوب. أما العادلون إلى طرق معوجة فيذهبهم الرب مع فعلة الإثم. سلام على إسرائيل»

المزمور ١٢٦

«عندما رب الرب سبي صهيون، صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكا، وألسنتنا ترنما. حينئذ قالوا بين الأمم: «إن الرب قد عظم العمل مع هؤلاء». عظم الرب العمل معنا، وصرنا فرحين. أردد يا رب سبينا، مثل السواقي في الجنوب. الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج. الذاهب ذهابا بالبكاء حاملا مبذر الزرع، مجيئا يجيء بالترنم حاملا حزمه».

المزمور ١٢٧

«إن لم يبن الرب البيت، فباطلا يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلا يسهر الحارس. باطل هو لكم أن تبكروا إلى القيام، مؤخرين الجلوس، آكلين خبز الأتعاب. لكنه يعطي حبيبه نوما. هوذا البنون ميراث من عند الرب، ثمرة البطن أجرة. كسهام بيد جبار. هكذا أبناء الشبيبة. طوبى للذي ملأ جعبته منهم. لا يخزون بل يكلمون الأعداء في الباب».

المزمور ١٢٨

«طوبى لكل من يتقي الرب، ويسلك في طرقه. لأنك تأكل تعب يديك، طوباك وخيرا لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك. هكذا يبارك الرب من صهيون، وتبصر خير أورشليم كل أيام حياتك، وترى بني بنيك. سلام على إسرائيل».

المزمور ١٢٩

«كثيرا ما ضايقوني منذ شبابي». ليقل إسرائيل: «كثيرا ما ضايقوني منذ شبابي، لكن لم يقدروا عليّ. على ظهري حرث الحراث. طولوا أتلامهم». الرب صديق. قطع ربط الأشرار. فليخز وليرتد إلى الوراء كل مبغضي صهيون. ليكونوا كعشب

مكتبة المهتدين الإسلامية

السطوح الذي ييبس قبل أن يقلع، الذي لا يملأ الحاصد كفه منه ولا المحزم حصنه. ولا يقول العابرون: «بركة الرب عليكم. باركناكم باسم الرب»

المزمور ١٣٠

«من الأعماق صرخت إليك يا رب. يارب، اسمع صوتي. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعاتي. إن كنت تراقب الآثام يا رب، يا سيد، فمن يقف؟ لأن عندك المغفرة. لكي يخاف منك. انتظرتك يارب. انتظرت نفسي، وبكلامه رجوت. نفسي تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح. أكثر من المراقبين الصبح. ليرج إسرائيل الرب، لأن عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير، وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه»

المزمور ١٣١

«يا رب، لم يرتفع قلبي، ولم تستعل عيناي، ولم أسلك في العظائم، ولا في عجائب فوقي. بل هدأت وسكت نفسي كفطيم نحو أمه. نفسي كفطيم. ليرج إسرائيل الرب من الآن وإلى الدهر»

المزمور ١٣٢

«اذكر يا رب داود، كل ذله. كيف حلف للرب، نذر لعزيز يعقوب: «لا أدخل خيمة بيتي. لا أصعد على سرير فراشي. لا أعطي وسنا لعيني، ولا نوما لأجفاني، أو أجد مقاما للرب. مسكنا لعزيز يعقوب». هوذا قد سمعنا به في أفرات. وجدناه في حقول الوعر. «لندخل إلى مساكنه. لنسجد عند موطئ قدميه»

قم يا رب إلى راحتك، أنت وتابوت عزك. كهنتك يلبسون البر، وأتقياؤك يهتفون. من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك. أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه: «من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك. إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلمهم إياها، فبنوهم أيضا إلى الأبد يجلسون على كرسيك». لأن الرب قد اختار صهيون. اشتهاها مسكنا له: «هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيتها. طعامها أبارك بركة. مساكينها أشبع خبزا. كهنتها ألبس خلاصا، وأتقياؤها يهتفون هتافا. هناك أنبت قرنا لداود. رتبت سراجا لمسيحي. أعداءه ألبس خزيا، وعليه يزهر إكليله».

http://www.al-maktabeh.com

المزمور ١٣٣

«هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معا! مثل الدهن الطيب على الرأس، النازل على اللحية، لحية هارون، النازل إلى طرف ثيابه. مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون. لأنه هناك أمر الرب بالبركة، حياة إلى الأبد».

المزمور ١٣٤

«هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب بالليالي. ارفعوا أيديكم نحو القدس، وباركوا الرب. يباركك الرب من صهيون، الصانع السماوات والأرض».

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

الفصل السابع
في
جبل الرب في مزامير الحجّاج

في التفسير الحديث للكتاب المقدس - دار الثقافة بالقاهرة:

أ - أن سفر المزامير. فيه نبوءات عن «المسِيًّا» الذي هو «المسيح الرئيس» وهو النبي الأمي الآتي إلى العالم خلَفًا لموسى عليه السلام. وأن كتبة الأناجيل اقتبسوا في أناجيلهم من سفر الزبور خمسة عشرة مزمورا للدلالة على هذا النبي. وأن داود عبر عن هذا النبي ١ - بالملك الممسوح ٢ - ابن الله ٣ - نبي الله. كما في المزمور ٤٥ «كرسيك يا ألله. أو قال كرسيك يا نبي الله؛ فإن المعنى واحد ٤ - عبد الرب ٥ - ابن الإنسان ٦ - الملك المحارب ٧ - الحجر المرفوض من البناءين

وقد استشهد عيسى عليه السلام كثيرا بالمزمور الثاني والمائة والعاشر على النبي الآتي ولقبه بلقب «سيده» [مزمور ١١٠:١]

ب - وقال هؤلاء المفسرون: إن المزامير من ١٢٠ إلى ١٣٤ تعرف بمزامير الحجاج. وقالوا: إن العلماء مختلفون في مكان الحج على رأيين الرأي الأول: إنه أورشليم. والرأي الآخر: إنه جبل الرب. كما في سفر إشعياء ٣٠:٢٩

وهذا هو نص كلامهم:

«ترنيمة المصاعد: المزامير من ١٢٠ - ١٣٢. تقول: «المشنا»: إن خمس عشرة درجة تقود صاعدة من ساحة النساء إلى الدار الخارجية توازي ترانيم المصاعد الخمس عشرة. وقد اعتاد اللاويون أن يرنموا هذه المزامير لكن كما يشير «س. س. كيت» فإنه ليس هناك سجل مّا يفيد أنهم كانوا يرنمون نفس هذه المزامير. وإن كان الكثيرون قد عزّزوا ذلك. والأرجح أن يكون العنوان يشير إلى الحج إلى أورشليم أو إلى مواكب الصعود إلى جبل الرب إش ٣٠:٢٩» [انتهى بنصه]

مكتبة المهتدين الإسلامية

البيان:

إن هؤلاء المفسرين يقولون: «والأرجح أن يكون العنوان يشير إلى الحج إلى «أورشليم» أو إلى مواكب الصعود إلى جبل الرب» (١)

وقولهم هذا لا يؤكد أن الحج كان إلى أورشليم. فلنبحث في التوراة عن مكان الحج. وفي التوراة أنه إلى جبل الرب.

ففي سفر إشعياء كلام عن قدوم «اسم الرب» وهو محمد ﷺ لأن موسى في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية قال: إنه سيأتي باسم الرب «وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أحاسبه عليه. وأي نبي تكلم باسمي كلاما زائدا لم آمره به. . . إلخ»

وكلام عن أن «اسم الرب» هذا في حال قدومه سيشن حربا على الكافرين به من اليهود والأمم. وأن اليهود الذين سيؤمنون به «فيكون لكم غناء كما في ليلة عيد. حين تفرح قلوب السائرين إلى جبل الرب. إلى صخرة إسرائيل على صوت مزمار»

ثم قال: «سيأتي ملك يملك بالحق. وحكام يحكمون بالعدل. . . . إلخ»

قوله إن المؤمنين به سيكون لهم غناء. حين تفرح قلوب السائرين إلى جبل الرب. يدل على السير إلى جبل الرب. ثم وبيّن أن السير سيكون في «عيد» فما هو هذا العيد؟

يقول المفسرون: إنه عيد المظال، أو هو عيد الفصح.

وقولهم باطل؛ لأن عيد المظال أو عيد الفصح لا يكون كلا منهما في جبل الرب.

وقد بيّن داود عليه السلام أن هذا العيد هو عيد الحج إلى مكة المكرمة فإنه قال في المزمور ٤٢:

«كما يشتاق الإيّل إلى مجاري المياه، كذلك تشتاق نفسي إليك يا ألله. إليك. إلى الإله الحي عطشت نفسي. فمتى أجيئ وأرى وجه الله؟ دموعي: خبزي نهارا وليلا. ويقال لي كل يوم: أين إلهك؟ أتذكر فتذوب نفسي بي. كيف كنت أعبر مع

---

(١) ص ٥٢ تفسير سفر المزامير / الجزء الأول ـ دار الثقافة بمصر.

http://www.al-maktabeh.com

الجموع في موكب نحو بيت الله. أقودهم بصوت الترنيم والحمد وبالهتاف كأنهم في عيد.
لماذا تكتئبين يا نفسي؟ لماذا تئنين في داخلي؟ إرتجي الله؛ لأني سأحمده بعدُ. مخلّصي هو إلهي. نفسي تكتئب. فأذكرك من حَرَمون وأرض الأردن. ومن مِصعر الجبل الصغير. الغمر يشكو الغمر ستوط أمطارك. أمواجك وتياراتك عبرت عليّ. في النهار يضيء الرب رحمته، وفي الليل أُنشد وأصلّي للإله الحي. أقول لله خالقي: لماذا نسيتني؟ ألأمشي بالحداد من اضطهاد العدو؟ ترضضت عظامي؛ فعيّرني خصومي. ونهارا وليلا يقولون: أين إلهك؟ لماذا تكتئبين يا نفسي؟ لماذا تئنين في داخلي؟ إرتجي الله؛ لأني سأحمده بعدُ. مخلصي هو، وإلهي» [مزمور ٤٢]

هذه ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. وقد سبق أن ذكرنا هذا النص من ترجمة البروتستانت.

لاحظ: «كنت أعبر مع الجموع في موكب نحو بيت الله، أقودهم بصوت الترنيم والحمد، وبالهتاف. كأنهم في عيد»

ومكان التجمع: هل جبل عرفات. ثم ينحدرون منه في موكب نحو «بيت الله» الذي هو الكعبة. يقودهم رئيسهم بصوت مرتفع «إن الحمد لك والملك لا شريك لكَ لَبَّيك» كأنهم في عيد.

والسؤال المطلوب إجابته ههنا الآن هو أين بيت الله الذي يتجهون نحوه؟ هل هو في فلسطين؟ هل هو في نابلس؟ هل هو في أورشليم؟ ليس هو إلا الكعبة التي بناها نوح عليه السلام في مكة وسماها «مذبح الرب» وأمر المؤمنين بالحج إليها

وقال إشعياء عن جبل الرب:

«ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم»

وآخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة هو أول أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة من محمد رسول الله ﷺ. وفي حال ظهوره تأتي الأمم إلى مكة بكثرة الحج.

ثم قال إشعياء: إنه في الأيام الأولى لظهور هذا النبي سيشن حربا على الكافرين به من اليهود، وسيأخذ منهم أرضهم وديارهم «ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند

مكتبة المهتدين الإسلامية

والركن» فإذا نزع منهم أرضهم وديارهم؟ فأين تجري الأمم إلى أورشليم؟

وسمى إشعياء يوم المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود بأنه يوم الرب؛ لأن الحرب للرب وهو يدفعهم لأيدي المسلمين. وبيّن أن نزع الملك من اليهود. سببه أن اليهود عبدوا الأصنام.

ولقب النبي الأمي الآتي بلقب «غُصن الرب» وقال إنه في الأيام الأولى لظهوره «يرفع راية للأمم من بعيد، ويصفر لهم من أقصي الأرض....»

ثم تكلم عن الحج فقال: «هوذا اسم الرب يأتي من بعيد. غضبه مشتعل والحريق عظيم. . . إلخ»

ثم تنبأ عن بركات مملكة المسيح الرئيس - الذي هو بحسب لسانهم - النبي الأمي الآتي إلى العالم فقال: «هو ذا بالعدل يملك ملك، ورؤساء بالحق يترأسون. . . إلخ»

وهذه هي النصوص من ترجمة البروتستانت:

في الأصحاح الثاني من سفر إشعياء وما بعده:

نبوة بإقامة مملكة المسيح وامتدادها ذكر الشرور التي لأجلها ترك الرب شعبهُ. نبوة بملاشاة العبادة الباطلة

«الأمور التي رآها إشعياء بن آموص من جهة أورشليم:

ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب؛ فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككا، ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد. يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب. فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم امتلأوا من المشرق، وهم عائفون كالفلسطينيين، ويصافحون أولاد الأجانب. وامتلأت أرضهم فضة وذهبا ولا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلا ولا نهاية لمركباتهم. وامتلأت أرضهم أوثانا. يسجدون لعمل أيديهم لِمَا صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان وينطرح الرجل؛ فلا تغفر لهم.

http://www.al-maktabeh.com

ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته. توضع عينا تشامخ الإنسان، وتخفض رفعة الناس، ويسمو وحدهُ في ذلك اليوم. فإن لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال، وعلى كل مرتفع، فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان وعلى كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة وعلى كل برج عال، وعلى كل سور منيع وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة. فينخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. وتزول الأوثان بتمامها. ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمته، عند قيامه ليرعب الأرض. في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. كفوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة؛ لأنه ماذا يحسب؟

* * *

نبوة بالمصائب الآتية على أورشليم ويهوذا وعلى بنات صهيون لأجل ترفهن الزائد

فإنه هوذا السيد الرب ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن. كل سند خبز وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب. القاضي والنبي والعراف والشيخ الخمسين والمعتبر، والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالرقية. وأجعل صبيانا رؤساء لهم وأطفالا تتسلط عليهم، ويظلم الشعب بعضهم بعضا، والرجل صاحبه يتمرد الصبي على الشيخ والدنئ على الشريف. إذا أمسك الإنسان بأخيه في بيت أبيه قائلا: لك ثوب، فتكون لنا رئيسا، وهذا الخراب تحت يدك يرفع صوته في ذلك اليوم قائلا: لا أكون عاصبا، وفي بيتي لا خبز ولا ثوب. لا تجعلوني رئيس الشعب. لأن أورشليم عثرت، ويهوذا سقطت لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مجده. نظر وجوههم يشهد عليهم، وهم يخبرون بخطيتهم، كسدوم. لا يخفونها. ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرا. قولوا للصديق خير. لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير: شر. لأن مجازاة يديه تعمل به. شعبي ظالموه أولاد. ونساء يتسلطن عليه. يا

مكتبة المهتدين الإسلامية

شعبي مرشدوك مضلون ويبلعون طريق مسالكك.

قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. وأنتم قد أكلتم الكرم. سلب البائس في بيوتكم. مالكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين؟ يقول السيد رب الجنود.

وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق، وغامزات بعيونهن، وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن؛ يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن. ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع. والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس والمرائي والقمصان والعمائم والأزر. فيكون عوض الطيب عفونة، وعوض المنطقة حبل، وعوض الجدائل قرعة، وعوض الديباج ونار مسح، وعوض الجمال كي. رجالك يسقطون بالسيف، وأبطالك في الحرب. فتئن وتنوح أبوابها. وهي فارغة تجلس على الأرض.

فتمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا، نلبس ثيابنا. ليدع فقط اسمك علينا. انزع عارنا

* * *

نبوة بأن مملكة المسيح تكون ملجأ في الشدائد

في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدا، وثمر الأرض فخرا وزينة، للناجين من إسرائيل. ويكون أن الذي يبقى في صهيون، والذي يترك في أورشليم يسمى قدوسا. كل من كتب للحياة في أورشليم، إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها، بروح القضاء وبروح الإحراق، يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهارا ودخانا ولمعان نار ملتهبة ليلا. لأن على كل مجد غطاء وتكون مظلة للفيء نهارا من الحر وللملجإ ولمخبإ من السيل ومن المطر.

* * *

توبيخ أهل أورشليم ويهوذا على خطاياهم بمثل الكرم. ذكر بعض خطاياهم مفصلة

http://www.al-maktabeh.com

إنباؤهم بوقوع غضب الرب عليهم. وصف القوم الذي عن يده يجري ضرباته

لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمة.

كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبة ونقى حجارته، وغرسه كرم سورق وبنى برجا في وسطه، ونقر فيه أيضا معصرة. فانتظر أن يصنع عنبا فصنع عنبا رديئا.

والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذا انتظرت أن يصنع عنبا صنع عنبا رديئا. فالآن اعرفكم ماذا أصنع بكرمي؟ أنزع سياجه فيصير للري. أهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خرابا لا يقضب ولا ينقب، فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم لا يمطر عليه مطرا. إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل، وغرس لذته رجال يهوذا. فانتظر حقا فإذا سفك دم، وعدلا فإذا صراخ.

ويل للذين يصلون بيتا ببيت، ويقرنون حقلا بحقل، حتى لم يبق موضع. فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الأرض. في أذني قال رب الجنود ألا إن بيوتا كثيرة تصير خرابا، بيوتا كثيرة وحسنة بلا ساكن. لأن عشرة فدادين كرن تصنع بثا واحدا، وحومر بذار يصنع إيفة.

ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر. للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر. وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم، وإلى فعل الرب لا ينظرون، وعمل يديه لا يرون. لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة. وتصيز شرفاؤه رجال جوع، وعامته يابسين من العطش. لذلك وسعت الهاوية نفسها، وفغزت فاها بلا حد، فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها. ويذل الإنسان ويحط الرجل وعيون المستعلين توضع. ويتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدس الإله قدوس بالبر. وترعى الخرقان حيثما تساق وخرب السمان تأكلها الغرباء.

ويل للجاذبين الإثم بحبال البُطل، والخطية كأنه بربط العجلة القائلين: ليسرع ليعجل عمله لكي نرى، وليقرب ويأت مقصد قدوس إسرائيل؛ لنعلم. ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا. الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما. الجاعلين المر حلوا والحلو مرا. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم. ويل للأبطال على شرب

مكتبة المهتدين الإسلامية

الخمـر ولذوي القدرة على مزج المسكر. الـذين يبررون الشرير من أجل الرشـوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم.

لذلك كما يأكل لهيب النار القش ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كـالعفونة ويصعـد زهرهم كالغبـار؛ لأنهم رذلوا شريعـة رب الجنود، واستهـانوا بكلام قدوس إسرائيل. من أجل ذلك حمى غـضب الرب على شعبه، ومد يده عليـه وضربه حتى ارتعدت الجبال وصارت جثـهم كالزبل في الأزقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد فيرفع راية للأمم من بعيد ويصـفر لهم من أقصي الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سـريعا. ليس فـيهم زارخ ولا عـاثر. لا ينعسـون ولا ينامون ولا تنحـل حزم أحقائهم، ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة، وجميع قسيهم ممدودة. حوافر خيلهم تحسب كالصوان، وبكراتهم كالزوبعة. لهم زمجرة كاللبوة، ويزمجرون كالشبل، ويهرون ويمسكون الفريسة ويستـخلصونها ولا منقذ. يهرون عليهم في ذلك اليـوم كهـدير البـحر. فـإن نظر إلى الأرض؛ فـهوذا ظلام الضـيق والنور قـد أظلم بسبحها» أ.هـ

ويقول إشعياء عن مجد الكعبة

بعد فناء اليهود في يوم الرب

«تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيدٍ، وفرح قلب، كالسائر بالنّاي؛ ليأتي إلى جبل الرب، إلى صخر إسرائيل...»

ففي الأصحاح الثلاثين من سفر إشعياء:

«ويل للبنين المتمـردين يقول الرب، حتى إنهم يجـرون رأيا وليس مني، ويسكبون سكيبا وليس بروحي، ليـزيدوا خطيئة على خطيئة. الذين يذهبـون لينزلوا إلى مصر، ولم يسألوا فمي ليلتجئوا إلى حصن فرعون، ويحتموا بظل مصر. فيصير لكم حصن فرعـون خجلا، والاحتـماء بظل مصـر خزيا. لأن رؤساءه صـاروا في صُوعن وبلغ رسله إلى حانيس. قد خجل الجميع من شعب لا ينفعهم. ليس للمعونة ولا للمنفعة بل للخجل وللخـزي. وحي من جهة بهـائم الجنوب. في أرض شدة وضيقـة، منها اللبوة والأسد، الأفعى والثعبان السام الطيار يحملون على أكتاف الحمير ثروتهم وعلى

http://www.al-maktabeh.com

أسنمة الجمال كنوزهم إلى شعب لا ينفع. فإن مصر تعين باطلا وعبثا. لذلك دعوتها رهب الجلوس.

تعال الآن اكتب هذا عندهم على لوح وارسمه في سفر، ليكون لزمن آت للأبد إلى الدهور. لأنه شعب متمرد أولاد كذبة، أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب. الذين يقولون للرائين: لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات. كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات. حيدوا عن الطريق. ميلوا عن السبيل. اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل.

لذلك هكذا يقول قدوس إسرائيل. لأنكم رفضتم هذا القول، وتوكلتم على الظلم والاعوجاج، واستندتم عليهما لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدع منقض نأتي في جدار مرتفع، يأتي هذه بغتة في لحظة. ويكسر ككسر إناء الخزافين مسحوقا بلا شفقة، حتى لا يوجد في مسحوقة شفقة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب.

«لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل: بالرجوع والسكون؛ تخلصون بالهدوء والطمأنينة؛ تكون قوتكم. فلم تشاءوا. وقلتم: لا بل على خيل نهرب. لذلك تهربون. وعلى خيل سريعة نركب. لذلك يُسرع طاردوكم. يهرب ألف من زجرة واحد. من زجرة خمسة تهربون، حتى أنكم تبقون كسارية على رأس جبل، وكراية على أكمة.

ولذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم، ولذلك يقوم ليرحمكم، لأن الرب إله حق طوبى لجميع منتظريه. لأن الشعب في صهيون يسكن في أورشليم. لا تبكي بكاء. يتراءف عليك. عند صوت صراخك. حينما يسمع. يستجيبُ لك. ويعطيكم السيد خبزا في الضيق، وماء في الشدة. لا يختبئ معلموك بعد بل تكون عيناك تريان معلميك. وأذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هي الطريق. اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين، وحينما تميلون إلى اليسار. وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك. تطرحها مثل فرصة حائض. تقول لها: اخرجي.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثم يعطي مطر زرعك الذي تزرع الأرض به، وخبز غلة الأرض؛ فيكون دسما وسمينا وترعى ماشيتك في ذلك اليوم في مرعي واسع. والأبقار والحمير التي تعمل الأرض تأكل علفا مملحا مذري بالمنسف والمذارة. ويكون على كل جبل عال وعلى كل أكمة مرتفعة سواق ومجاري مياه في يوم المقتلة العظيمة، حينما تسقط الأبراج. ويكون نور القمر كنور الشمس، ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام، في يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفي رض ضربه.

هو ذا اسم الرب يأتي من بعيد، غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطا ولسانه كنار آكلة. ونفخته كنهر غامر يبلغ الرقبة. لغربلة الأمم بغربال السوء. وعلى فكوك الشعوب رسن مضل. تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد، وفرح قلب كالسائر بالناي؛ ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل. ويسمع الرب جلال صوته، ويرى نزول ذراعه بهيحان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد» [إشعياء ٣٠]

* * *

http://www.al-maktabeh.com

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

١ - في سفر النبي إشعياء: «من صدَّق خبرنا؟ ولمن استُعلِنت ذراع الرب»؟ [إش ٥٣:١]

٢ - في إنجيل يوحنا: أن اليهود طلبوا من المسيح عيسى عليه السلام أن يوضح لهم معنى «ابن الإنسان» وهو لقب محمد ﷺ في سفر دانيال «من هو هذا ابن الإنسان؟ فقال لهم يسوع: النور معكم زمانا قليلا بعد. فسيروا مادام لكم النور؛ لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب. مادام لكم النور؟ آمنوا بالنور. لتصيروا أبناء النور»

وقال يوحنا كاتب الإنجيل: «تكلم يسوع بهذا، ثم مضى واختفى عنهم. ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها؛ لم يؤمنوا به. ليتم قول إشعياء النبي الذي قاله: «يا رب من صدق خبرنا؟ ولمن استُعلنت ذراع الرب؟» لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا. لأن إشعياء قال أيضا: «قد أعمى عيونهم، وأغلظ قلوبهم؛ لئلا يبصروا بعيونهم، ويشعروا بقلوبهم، ويرجعوا؛ فأشفيهم»

قال إشعياء هذا حين رأى مجده، وتكلم عنه»

وقال يوحنا: «فنادى يسوع وقال: الذي يؤمن بي؛ ليس يؤمن بي، بل بالذي أرسلني. والذي يراني؛ يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بي؛ لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن؛ فأنا لا أدينه. لأني لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي؛ فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير» [يوحنا ١٢:٣٧ -]

قوله: «فله من يدينه» يدل على أن الإدانة وهي هلاك اليهود بالحرب لغيره وأن الحرب ستكون «في اليوم الأخير» وهو نهاية الملك والنبوة في بني إسرائيل، وهو بدء الملك والنبوة في بني إسماعيل.

معنى الكلام:

١ - تكلم النبي إشعياء عن النبي الأمي الآتي إلى العالم. وهو محمد رسول الله. وقال: إن الله وعد بمجيئه، ووعده حق. فمن يصدق؟ صدقوا لأنه إذا جاء سيحارب

مكتبة المهتدين الإسلامية

من لا يؤمن به، وسيتصر عليهم. وعبر عن الانتصار باستعلان ذراع الرب أي ظهور قدرته.

٢ - وكان من عادة المسيح عيسى عليه السلام إنه إذا تكلم في الدين أنه يستدل على ما يقول بآيات من التوراة. كما هو حال العالم المسلم إذا تكلم في الدين أنه يستدل بالقرآن. وفي التوراة آيات كثيرة عن محمد ﷺ منها كلام النبي دانيال عنه بلقب «ابن الإنسان» ومنها كلام إشعياء عنه بلقب «غصن الرب» و«عبد الرب المسالم» و«عبد الرب المتألم من إعراض الناس عن دعوته»

وفي الموضع الذي ذكرناه من إنجيل يوحنا؛ نجد المسيح يستدل على مجيء محمد رسول الله بنصين من سفر إشعياء هما:

النص الأول:

«ثم سمعت صوت السيد قائلا: من أُرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟ فقلت: هأنذا أرسلني. فقال: اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلِّظ قلبَ هذا الشعب، وثقّل أذنيه، واطمس عينيه؛ لئلا يبصر بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه، ويرجع؛ فيُشفى....» [إش ٦:٨-١٠]

أي أن اليهود سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم؛ لا يؤمنون. وقد استدل المسيح بهذا النص أيضا في إنجيل متى. فإن اليهود لما انصرفوا عنه ولم يؤمنوا بكلامه قال عنهم: «فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة: «تسمعون سمعا ولا تفهمون. ومبصرين تُبصرون ولا تنظرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم؛ لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا؛ فأشفيهم» [متى ١٣:١٤-١٥]

وفي القرآن الكريم معنى هذا النص وهو: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وأيضا: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

والنص الآخر:

«هو ذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا... من صدق خبرنا؟ ولمن

http://www.al-maktabeh.com

استعلنت ذراع الرب؟» إلى أن قال: «وشفع في المذنبين» وقد شرحنا في غير هذا الكتاب.

٣ - ويوجد فرق بين «قال» و«قيل» فقال تدل على شخص معلوم ينقل عنه القائل. وقيل تدل على قائل. قد يكون معلوما وقد يكون مجهولا.

ومن هذا القول المنسوب للنبي ﷺ :«إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» فقيل تدل على خبر من مجهول أو من معلوم. وقال تدل على خبر من معلوم. وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نجد أن الناقل عن المسيح هو يوحنا (١). وإنجيل يوحنا قد غيره النصارى من بعد موته. فلذلك يحتمل

---

(١) «وكان أناس يونانيون من الذين صعدوا يسجدوا في العيد. فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذي من بيت صيدا الجليل، وسألوه قائلين: يا سيد نريد أن نرى يسوع. فأتى فيلبس وقال لأندراوس فقال أندرواس وفيلبس ليسوع. وأما يسوع فأجابهما قائلا: قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت؛ فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية. إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك أيضا يكون خادمي، وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب. الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضا.

فالجمع الذي كان واقفا وسمع قال: قد حدث رعد. وآخرون قالوا: قد كلمه ملاك. أجاب يسوع وقال: ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم. الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع. قال هذا مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت.

فأجابه الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إن ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟ من هو هذا ابن الإنسان؟ فقال لهم يسوع: النور معكم زمانا قليلا بعد. فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب. مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور.

تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم

ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به. ليتم قول إشعياء النبي الذي قاله: «يا رب من صدق خبره؟ ولمن استعلنت ذراع الرب؟» لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا. لأن إشعياء قال أيضا: «قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم». قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أنه هو القائل ويحتمل أن المغيرين هم القائلون. ولذلك لم يقل «وقال يا رب. . .»

٤ - وفي كتب تفسير القرآن أن ﴿وَقِيلِهِ﴾ إما أن يراد به عيسى، وإما أن يراد به محمد ﷺ. والصحيح: أن القائل هو يوحنا كاتب الإنجيل نقلا عن عيسى عليه السلام. وعيسى نقلا عن إشعياء. كما ذكرنا. يقول القرطبي رحمه الله: «والهاء في ﴿قِيلِهِ﴾ لعيسى، وقيل لمحمد ﷺ»

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ عبر الله بالقيل على طريقة المشاكلة. أي أنني أقول مثل ما يقال. والفرق بيني وبينكم: أن القيل في حقي خبر محقق.

* * *

= ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضا غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع. لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله.

فنادى يسوع وقال: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي فله م يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير. لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول؟ وبماذا أتكلم؟ وأنا أعلم وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلم أن به، فكما قال لي الآب هكذا أتكلم» [يوحنا ١٢]

http://www.al-maktabeh.com

﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾

من القائل؟ «احكم ببراءتي يا رب إلهي، حسب عدلك، ولا تدعهم يشمتون بي» وفي ترجمة: «اقض لي حسب عدلك يا رب إلهي؛ فلا يشمتوا بي» من القائل؟

إنه محمد رسول الله ﷺ

وهذا هو نص المزمور ٣٥:

«خاصم يا رب مخاصمي. قاتل مقاتلي. أمسك مجنا وترسا وانهض إلى معونتي وأشرع رمحا وصدد لقاء مصردي. قل لنفسي: خلاصك أنا. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتي. ليكونوا مثل العصافة قدام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلاما وزلقا، وملاك الرب طاردهم. لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم. بلا سبب حفروا لنفسي. لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع. أما نفسي فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه. جميع عظامي تقول: يا رب من مثلك. المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه.

شهود زور يقومون وعما لم أعلم يسألونني. يجازونني عن الخير شرا ثكلا لنفسي. أما أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحا. أذللت بالصوم نفسي. وصلاتي إلى حضني ترجع. كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشى. كمن ينوح على أمه انحنيت حزينا. ولكنهم في ظلعي فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا عليَّ شاتمين ولم أعلم. مزقوا ولم يكفوا. بين الفجار المجان لأجل كعكة حرقوا عليَّ أسنانهم.

يا رب إلى متى تنظر. استرد نفسي من تهلكاتهم وحيدتي من الأشبال. أحمدك في الجماعة الكثيرة في شعب عظيم أسبحك. لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلا، ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب. لأنهم لا يتكلمون بالسلام، وعلى الهادئين في الأرض يتفكرون بكلام مكر. فغروا عليَّ أفواههم. قالوا: هه هه قد رأت أعيننا. قد رأيت يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبتعد عني. استيقظ وانتبه إلى حكمي يا إلهي وسيدي إلى دعواي. اقض لي حسب عدلك يا رب إلهي؛ فلا يشمتوا بي. لا يقولوا في قلوبهم: هه شهوتنا. لا يقولوا: قد ابتلعناه. ليخز وليخجل معا الفرحون

مكتبة المهتدين الإسلامية

بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل المتعظمون عليَّ. ليهتف ويفرح المبتغون حقي، وليقولوا دائما: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده. ولساني يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك» [مز ٣٥]

البيان:

ملاك الرب:

في سفر الخروج ٢٣: ٢٠- ٢٢ أن الله سيرسل ملاكا أمام بني إسرائيل ليسير أمامهم. لينصرهم على أعدائهم حتى يصلوا إلى أرض كنعان. ويسمى بملاك الرب، ومهمته: هي نصرة اليهود على أعدائهم في الحروب، إذا كانوا مع الله: «ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريق، وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه. لأنه لا يصفح عن ذنوبكم؛ لأن اسمي فيه. ولكن إن سمعت لصوته، وفعلت كل ما أتكلم به؛ أعادي أعداءك، وأضايق مضايقيك...» [خر ٢٣: ٢٠-٢٢]

واليهود الكافرون بمحمد ﷺ من أعدائه. كما كان عبّادُ الأصنام أعدائهم في بدء ظهور التوراة. وكما نصر الله اليهود عليهم بالملاك؛ ينصر الله المسلمين على اليهود بالملاك. ذلك قوله: «ليكونوا مثل العصافة قدام الريح، وملاك الرب داحرهم»

وداود عليه السلام يتكلم بظهر الغيب على لسان محمد ﷺ فيقول لله: «خاصم يا رب مخاصمي...» أي انصرني على أعدائي. ويبين أن الله استجاب له ونصره «ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده»

وقال محمد ﷺ: إن اليهود يعلمون أنني أمي. لا أدري ما الكتاب ولا الإيمان. ومع ذلك «عما لم أعلم يسألونني» كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾؟ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾... إلخ

وقال بظهر الغيب: «شهود زور يقومون عليَّ» أي أن اليهود شهدوا زورا بأنني من

http://www.al-maktabeh.com

الأنبياء الكذبة. وهم يعلمون أنني أنا المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

وقال لله تعالى: «أحمدك في الجماعة الكثيرة، في شعب عظيم أسبحك» وهم بنو إسماعيل عليه السلام ومن يلحق بهم في الإيمان، وطلب من الله النصر لئلا «يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب»

وهذه النبوءة لا تنطبق على المسيح عيسى عليه السلام لأن النبي بظهر الغيب قد شتم اليهود جميعا بقوله: «لتأته التهلكة وهو لا يعلم، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها، وفي التهلكة نفسها ليقع» وفي هذا المعنى: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ - ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

والمسيح يقول: «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» [متى:٥:٤٤]

وقوله: «وصلاتي إلى حضني؛ ترجع» معناه: أن ثواب الصلاة سيعود إليه على صورة بركة كما قال المسيح: «فإن كان البيت مستحقا؛ فليأت سلامكم عليه. ولكن إن لم يكن مستحقا؛ فليرجع سلامكم إليكم» [متى:١٠:١٣]

وقوله: «ولكنهم في ظِلعي فرحوا واجتمعوا. اجتمعوا عليّ شاتمين ولم أعلم» في ظلعي: أي في كارثة أو مصيبة لقول داود نفسه على لسانه: «لأني قلت: لئلا يشمتوا بي. عندما زلّت قدمي؛ تعظموا عليّ؛ لأني موشك أن أظلع، ووجعي مقابلي دائما» [مز ٣٨:١٦-١٧]

وقوله: «اجتمعوا عليّ شاتمين ولم أعلم» يشير به إلى شتم اليهود له بقولهم ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ وشبهه

وقوله: «بين الفجار المجان؛ لأجل كعكة؛ حرّقوا عليّ أسنانهم» أي لأجل متاع قليل يحصلون عليه في هذه الحياة الدنيا. استهزأوا بي، ورفضوا شريعتي.

وقوله: «استرد نفسي من تهلكاتهم، وحيدتي من الأشبال» الوحيدة: هي النفس. أي كل ما تُرك لي، وأغلى مقتنياتي هي نفسي. وهم يريدون سلبها مني لأموت.

وقوله: «أحمدك في الجماعة الكثيرة. في شعب عظيم أسبحك»

مكتبة المهتدين الإسلامية

فسره بولس بالمسيح عيسى عليه السلام في العبرانيين ٢: ١١ ـ ١٢ وتفسيره باطل؛ لأن المسيح لم يحارب ولم ينتصر.

وقوله: «بلا سبب» يدل على الاستجابة الأساسية للشر.

وقد استدل المسيح عيسى عليه السلام بقوله: «بلا سبب» على محمد ﷺ وهو يتكلم عن «بيراكليت» المترجمة الآن بالمعزِّى. وذلك قوله: «وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: «إنهم أبغضوني بلا سبب» [يوحنا ١٥: ٢٥]

وقد نقل ابن هشام هذا النص في السيرة النبوية. وترجم المعزي بالمنحمنا وهو تصحيف لكلمة المنهمنا. لأن مناهيم هي المعزي وهي أيضا «المَسِيّا» وقوله: «اقض لي حسب عدلك»

اقرأ المزمور الخامس:

«لكلماتي أصغ يا رب. تأمل صراخي. استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي؛ لأني إليك أصلي. يا رب بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجع صلاتي نحوك وأنتظر. لأنك أنت لست إلها يُسر بالشر. لا يساكناك الشرير. لا يقف المفتخرون قدام عينيك. أبغضت كل فاعلي الإثم. تُهلك المتكلمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب. أما أنا فبكثرة رحمتك؛ ادخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك.

يا رب اهدني إلى برِّك، بسبب أعدائي. سهّل قدامي طريقك؛ لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوّة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها. دنهم يا ألله. ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم. طوّح بهم؛ لأنهم تمردوا عليك.

ويفرح جميع المتكلمين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك. لأنك تبارك الصدّيق يا رب كأنه بتُرس تحيطه بالرضا» [مزمور ٥]

يقول النبي لله بظهر الغيب:

«أما أنا فبكثرة رحمتك؛ أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك»

يعني بالبيت: الكعبة البيت الحرام. وعبر عنها بالهيكل المقدس؛ بحسب تعابير أهل الكتاب عن أماكن العبادة.

http://www.al-maktabeh.com

وبين في هذه النبوءة: أن الله يقضي بالحق «لأنك أنت لست إلها يُسرُّ بالشر... .إلخ».

ويقول المفسرون: إن القائل كل كلام هذه النبوءة هو داود عن نفسه. ثم يختلفون في معنى: «أما أنا فبكثرة رحمتك؛ أدخل بيتك» في أي مكان هذا البيت؟ لأنه في زمان داود لم يكن بيت مقدس في ديار اليهود. فإن التابوت كان لم يزل موجودا في خيمة كما في سفر صموئيل الثاني الأصحاح السابع الآية الثانية. ولم يبن هيكل سليمان بعد. وقد قال المفسرون في حل هذا الإشكال: «قد جرى تعديل لغة داود لتتوافق مع لغة العابدين المتأخرين» ومعنى قولهم هذا: هو أن المزمور قد أصابه التحريف. وعلى ذلك يكون حالهم مماثل لقول الشاعر:

وداوِ بالتي كانت هي الداء

وفي المزمور السابع والعشرين ما يبطل حلهم هذا. وهو أن داود قد اعترف فيه بوجود بيت الرب في أيامه. وحيث لم يكن في زمن داود بيت للرب في ديار اليهود. فإنه يكون متكلما عن بيت موجود يعرفه الناس جميعا.

انظر إلى قوله: «واحدة سألت من الرب، وإياها ألتمس؛ أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي؛ لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرس في هيكله...»

وفي هذا المزمور: «استمع يا رب. بصوتي أدعو؛ فارحمني واستجب لي. لك قال قلبي: قلت: اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب. لا تحجب وجهك عني. لا تخيب بسخط عبدك. قد كنت عوني؛ فلا ترفضني، ولا تتركني يا إله خلاصي. إن أبي وأمي قد تركاني، والرب يضمني...» وفي القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾؟

* * *

إلى هنا وندعو فنقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

مكتبة المهتدين الإسلامية

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلَّم. وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب في السابع من يونيه سنة ألفين وثلاثة من الميلاد.

تم الكتاب

http://www.al-maktabeh.com

فهرس كتاب الحج إلى الكعبة
في
التوراة والزبور والإنجيل والقرآن

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
مقدمة الكتاب	٩
الفصل الأول: في مواعيد إبراهيم ﷺ.	٢٧
كيفية انطباق النبوة على محمد ﷺ	٣٣
صفات أتبا الرسول ﷺ في التوراة والزبور والإنجيل.	٣٧
قول موسى لله.	٤٠
معنى الافتقاد.	٤٧
افتقاد الله لشعبه.	٤٧
مشيئة الله.	٥٠
الافتقاد في يوم الرب	٥١
الفصل الثاني: في إمامة إبراهيم عليه السلام.	٥٣
تفسير وإذا جلعنا	٦٠
ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام.	٨٤
الفصل الثالث في كعبة أصحاب الفيل	٩٣
تفسير سورة الفيل	٩٣
الفصل الرابع في مساجد الله	١٠٥
توصية إبراهيم لبنيه	١٠٥

al-maktabeh www. .com
مكتبة المهتدين

مكتبة المهتدين الإسلامية

المساجد الثلاثة البعيدة ١٠٩
معنى المسجد أنه مكان حج. ١١٠
دفن إبراهيم في مكة. ١١١
هدم آثار اليهود ١١٤
حديث القرآن عن القبلة في بني إسرائيل ١٢٤
قبلة العرب قبل قبلة محمد ﷺ ١٢٧
ابتداء انفصال اليهود عن العرب ١٣٠
فيه آيات بينات ١٣٣
من دخله كان آمنًا. ١٥٥
أعلام الحرم. ١٥٦
الطرق الحديثة لمكة المكرمة ١٥٨
ولله على الناس حج البيت. ١٥٨
الفصل الخامس: في قبلة بني إسرائيل. ١٦١
تأسيس الهيكل. ١٦٧
مساجد بني إسرائيل ١٦٧
الحج إلى الكعبة ١٦٩
مناسك الحج في الزبور ١٧٠
أحاديث نبوية تدل على أن الإسراء كان على مسجد قبة الصخرة ١٧٥
معجزة موسى عليه السلام هي من أجل محمد ﷺ ١٨١
شهادة الملائكة لمحمد ﷺ. ١٨١
العبرانيون يمنعون السامريين من تأسيس الهيكل المنسوب إلى سليمان. ١٨٢
جبل جرزيم وجبل عيبال ١٨٤
حجج السامريين في رفضهم الهيكل المنسوب إلى سليمان عليه السلام. ١٨٥
ابتعاد الملائكة عن اليهود بسبب انصرافهم عن مكة ... ١٨٧

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://www.al-maktabeh.com

هدف داود عليه السلام في بناء هيكل سليمان ١٨٨
خطبة سليمان بعد بناء الهيكل ١٨٩
رد الله على خطبة سليمان ١٩١
متى ابتدئ في بناء هيكل سليمان؟ ١٩٢
انقسام اليهود بعد موت سليمان ١٩٣
مدة المعبد الثاني ١٩٣
هيكل السامريين ١٩٤
ثانياً نصوص الإنجيل ١٩٥
رواية برنابا عن المرأة السامرية ٢٠٦
اختلاف المسيحيين في القبلة ومكان الحج ٢٠٨
استقرار السفينة في مكة ٢١٠
مشتهى الأمم هو محمد ﷺ ٢١٨
الفصل السادس: الحج إلى الكعبة في سفر الزبور ٢١٩
الجبل المقدس ٢٢٢
مزمور جبل بيت الرب ٢٢٥
بيت الله ٢٣٤
محمد ﷺ يتكلم في سفر الزبور عن نفسه ٢٣٧
مبارك الآتي باسم الرب ٢٤٧
أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح ٢٤٨
بكّة في سفر الزبور ٢٥٥
تطابق مزمور بكة مع القرآن الكريم ٢٥٩
حمية الجاهلية ٢٦٥
كما أخرجك ربك من بيتك ٢٦٧
صعود المسيح إلى السماء ٢٧٠

al-maktabeh www. .com
مكتبة المهتدين

مكتبة المهتدين الإسلامية

مدينة الله في أقاصي الشمال ٢٧٣
ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ٢٧٦
مزامير الحجاج ٢٧٩
ضرورة الاتضاع ٢٨١
الفصل السابع: في جبل الرب في مزامير الحجاج ٢٨٧
مجد الكعبة بعد فناء اليهود في يوم الرب ٢٩٤
وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ٢٩٧
ملاك الرب ٣٠٦
الفهرس ٣٠٧

http://www.al-maktabeh.com